عقد الدرر واللآلي

في فضائل الشهور والأيام والليالي

تأليف
أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الرسام الحنبلي
توفي ٨٤٤هـ

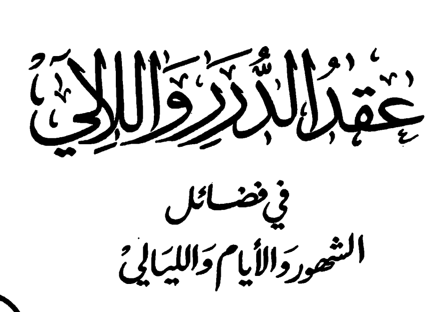
تحقيق
سمير محمد إسماعيل محمد

الجزء الأول



بينونة للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم


عقد الدرر واللآلي
في فضائل
الشهور والأيام والليالي

رقم الإيداع بجمهورية مصر العربية

٩٥٤٨ / ٢٠١٣م

الطّبعَة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع

دولة الإمارات العربية المتحدة

ص. ب: ٥٠٤٠٣ - فاكس ٠٠٩٧١٢٨٨٤٤٠٧٧

* * * * *

ركن بينونة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع جرير - حي الملز

www.baynouna.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة.

اللهم صلِّ سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وآل بيته الطيبين الطاهرين وعلى من سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنه مما لا شك فيه أن لله في أيام دهره نفحات وعطايا، ومِنن وهدايا كما جاء في الأثر: «إن لله في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها»،

ونحن مأمورون بالتعرض لهذه الهدايا الربانية، واقتناص تلك العطايا الإلهية، وبيان ذلك أنَّ الله فضَّل بعض الأيام على بعض، وميّز بعض الساعات على بعض، فعلى مستوى اليوم فضّل الله ساعات السَّحر، والأوقات التي بين الآذان والإقامة، وعلى مستوى الأسبوع فضَّل يوم الاثنين والخميس والجمعة، وعلى مستوى العام فضَّل شهر رمضان على سائر الأشهر، وعلى مستوى الليالي فضّل ليلة القدر على غيرها.

وقد ألَّف علماء الإسلام الكثير من كتب الآداب والمواعظ في هذا الباب، فبعض هذه الكتب في فضل الأيام، وبعضها في فضل الشهور، والبعض الآخر في بيان فضائل بعض الليالي المباركة الميمونة مثل ليلة القدر وليلة النصف من شعبان وغير ذلك.

ولكثرة الكتب في هذا الباب جاء كتابنا هذا؛ فجمع زبدها وقرب متباعدها، ونظم متناثرها في كتاب واحد، فكان جامعًا لكثير من الآداب الشرعية، دالاً على كثير من هدي الرسول ﷺ في المناسبات المختلفة، وقد كان هذا هو الغرض الذي حمل الإمام ابن الرسام الحنبلي على تأليف كتابه فقال في مقدمة كتابه: «قد رأيت المواعظ النافعة المتعلقة بالشهور والأعوام، والأوقات الفاضلة من الليالي والأيام، متفرقةً في كتب علماء الإسلام ووعَّاظ السلف الكرام، ورأيت أن استصحاب مجموعها ربما عسر؛ فاستخرت الله تعالى في جمع ذلك في هذا الكتاب؛ ليكون تذكرة لأولي الألباب، وسميته «**عقد الدرر واللآلي في فضائل الشهور والأيام والليالي**»أعني بذلك شهور العام، وما فيها من الفضل الخاص والعام، وفضل الليالي المباركة الميمونة على العاملين

العظيم قدرها عند العالمِين مثل ليلة الجمعة وفضائلها المجتمعة، وليلة نصف شعبان، وليلة القدر، وأسند في الغالب كل نقل إلى ناقلة وأكشف لك سر نفيس جليل، وكل قول فالله تعالى عند لسان قائله وجزاءه بحسبه وعلى قدر نية فاعله، وحسبنا الله وبه المستعان وهو اعتمادي وعليه التكلان، ورتبته في ثمانية وعشرين مجلسًا». وقد وفَّى رَحِمَهُ اللهُ في قوله: وأسند في الغالب كل نقل إلى ناقلة؛ إلا في مواضع قليلة فقمت بعزوها وتخريجها من مصادرها.

وقد كان العمل في هذا الكتاب الجميل كما يلي:

١- الصف والمقابلة وإثبات الفروق بين النسختين، وإهمال الفروق غير الجوهرية.

٢- تخريج الأحاديث تخريجًا متوسطًا، ونقل حكم أهل العلم على الحديث، وإذا أطلقت النقل عن المنذري والعراقي والبوصيري والهيثمي؛ فأقصد المنذري في «الترغيب»، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار»، والبوصيري في «زوائد ابن ماجة»، والهيثمي في «مجمع الزوائد».

٣- ضبط النص؛ فاعتبرت نسخة دار الكتب هي الأصل، وذلك لأنها كاملة وقليلة الأخطاء، إلا أن يكون الصواب في نسخة وزارة الأوقاف فاعتمد ما فيها، وأنبه على ذلك في الحاشية، واستفدت من المراجع ومصادر التخريج في تصحيح بعض التحريفات والتصحيفات.

٥- ما كان من زيادة في نسخة «ق»أثبته في المتن إذا كان السياق

يقتضيه، ونبهت عليه في الحاشية بقولي: مثبت من (ق).

٥- التعريف بالمؤلف وكتابه في فصلين صغيرين.

٦- عمل فهارس للأحاديث النبوية.

٧- عملت بعض العناوين الجانبية في الكتاب؛ لمساعدة القارئ الكريم على القراءة الواعية، وميزتها بوضعها بين معكوفتين.

٨- شرح الكلمات الغريبة من كتب اللغة وكتب الغريب.

٩-لم أترجم للكثير من الأعلام حتى لا يكبر الكتاب دون فائدة.

وصف المخطوطات

لقد تم تحقيق هذا الكتاب اعتمادًا على مخطوطتين:

الأولى: مصدرها المكتبة المركزية للمخطوطات التابعة لوزارة الأوقاف، وعدد لوحاتها (١٩٦) لوحة، واللوحة وجهان، ومقياسها ١٧ط ٢٤سم، وتحمل الرقم (٣٢٤)، وعدد الأسطر (٢١) سطر في السطر (١٤) كلمة تقريبًا وعلى أول صفحة كتب اسم المؤلف، التملكات: السيد محمد بن السيد إبراهيم.

الناسخ: إبراهيم بن علي الحسيني الحنفي، تاريخ النسخ فرغ من نسخها يوم الأحد الباقي من شهر رمضان من شهور سنة خمس وثمانين وثمانمائة.

ونوع الخط رقعة جميل، والكلمات مشكولة، والخط مختلف في بعض اللوحات.

وفي هذه النسخة خرم في أكثر من موطن، وقد نبهت على موضعه أثناء التحقيق.

ومصدر الأصل لهذه النسخة هو المسجد الأحمدي برقم (٥٦٨).

النسخة الثانية التي تم التحقيق عليها: هي نسخة دار الكتب المصرية، وتحمل رقم (٣٠٨٦١)، وعليها تمليك باسم السيد محمد بن السيد حسين النحاس الحلبي خطيب جامع شاكر أغا، وأفاد أنه تملكه في عهد إبراهيم ابن محمد علي باشا في شهر محرم الحرام سنة ١٢٥٤ بثلاثين قرشًا.

وعلى طرة هذه النسخة كسابقتها اسم المؤلف، وعليها أن المؤلف انتهى من تأليفه يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة سنة ٨١٦ نقلاً عن فهرسة الكتبخانة المصرية ١٥٦ .

عدد اللوحات ١٩٩ لوحة واللوحة وجهان المسطرة ٢٥ وعدد الكلمات في السطر ١١ كلمة تقريبًا والخط جيد ومقروء.

تاريخ النسخ يوم الأحد المبارك ثالث يوم من شهر جمادى الثاني سنة ١١٤٤هـ واسم الناسخ علي بن منصور المقرئ.

التعريف بالمؤلف

هو القاضي الفاضل أحمد بن أبي بكر واسمه عبد الرحمن -على ما ذكره الزركلي في حاشية «الأعلام»- بن أحمد بن علي بن إسماعيل، الشهاب أبو العباس ابن سيف الدين الحموي الأصل الحلبي الحنبلي.

تاريخ الميلاد ومحله: ولد ابن الرسام في عام ٧٦٣هـ في حماة بسوريا، وولي قضاء طرابلس الشام وحلب. قال السخاوي في الضوء اللامع: ولد تقريباً كما قرأته بخطه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أو ثلاث وستين كما كتبه بعضهم، وأما ابن حجر فقال في «معجمه»: أنه في حدود السبعين.

وتوفي بحلب وهو على قضائها عام ٨٤٤ هـ وتكاد جميع المراجع التي ترجمت لابن الرسام تجمع على ذلك خلافا للبغدادي في «هدية العارفين» فأرَّخ وفاته سنة ٨٧٠ هـ، وهو خطأ سببه فيما اعتقد انتقال نظر من الناسخ فجعل تاريخ وفاة أحمد بن محمد بن أبى بكر الموصلي، وهي الترجمة السابقة مباشرة لابن الرسام للأخير، والوهم في ذلك وارد بنسبة كبيرة؛ فقد اتفقت الترجمتين في الاسم والبلد، واللقب والمذهب.

شيوخ ابن الرسام

لقد تتلمذ ابن الرسام على كبار شيوخ عصره، ومن هؤلاء:

١- أحمد بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الولي بن جبارة المقدسي المرداوي ثم الصالحي المعروف بالحريري يكنى بأبي العباس الحنبلي المولود سنة ٦٦٣ والمتوفى فِي شهر رَمَضَان سنة ٧٥٨هـ. انظر «الدرر الكامنة» (١/ ٢٠٠).

٢- إسماعيل بن محمد بن بردس بن نصر بن بردس بن رسلان البعلبكي، المحدث الفاضل، المولود سنة عشرين وسبعمائة المتوفى في شوال سنة ٧٨٦ . انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (١/ ٤٥٠) و«المقصد الأرشد» (١/ ٢٧٣).

٣- الحسن بن أبي المجد. له ترجمة موجزة جدا في «الدرر الكامنة» (٢/ ١٤٠).

٤- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الحافظ زين الدين، بن رجب المولود ببغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة المتوفى سنة ٧٩٥ هـ. انظر «إنباء الغمر بأبناء العمر» (١/ ٤٦٠) والدرر الكامنة (٣/ ١٠٨).

٥-عبد الرحيم بن الحسين العراقي علم الحفاظ بالديار المصرية وهو أشهر من أن يعرف به قال ابن حجر عنه: شيخنا وأستاذنا حافظ العصر شيخ الإسلام زين الدين. انظر في ترجمته في «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٢/ ٢٧٥).

٦- عبد الرحيم بن محمود بن محمّد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب ابن علي بن عقيل السلمي البعلبكي خطيب بعلبك وابن خطيبها. وانظر ترجمته في «إنباء الغمر» (٢/ ٤٤١).

٧- علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي الشيخ نور الدين أبو الحسن ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وصحب الشيخ زين الدين العراقي وتوفى سنة سبع وثمانمائة. «إنباء الغمر» (٢/ ٣٠٩-٣١٠) «الضوء اللامع» (٥/ ٢٠٠-٢٠٣).

٨- عمر بن رسلان بن نصير بن صالح السراج البلقيني شيخ الإسلام المولود في شعبان سنة ٧٢٤ هـ والمتوفى سنة ٨٠٥ هـ. قال ابن حجّي: كان أحفظ الناس لمذهب الشافعي واشتهر بذلك. انظر ترجمته في «إنباء الغمر» (٢/ ٢٤٧).

٩- محمد بن أحمد بن علي بن سليمان شمس الدين المعري ثم الحلبي بن الركن الشافعي كما في «شذرات الذهب» (٧/ ٣٣)، «إنباء الغمر» (٤/ ٣٢٠)، «الضوء اللامع» (٣/ ٣٥٦).

١٠- محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن المقدسي الصالحي الحنبلي. بن المحب الصامت المولود سنة ٧١٣هـ والمتوفى بالصالحية سنة ٧٨٩هـ. انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٥/ ٢٠٩).

١١- محمد بن علي بن أحمد بن محمد اليونيني البعلي، الحنبلي، المعروف بابن اليونانية مفسر، فقيه، من أهل بعلبك المولود سنة ٧٠٧هـ

والمتوفى سنة ٧٩٣ هـ. انظر «معجم المؤلفين» (١٠/ ٣٠٦) «إنباء الغمر بأبناء العمر» (١/ ٤٢٩) «الدرر الكامنة» (٥/ ٣٠٨).

١٢- محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي: متصوف حنبلي. أصله من منبج. سكن الصالحية بدمشق توفي٧٨٥ هـ. له كتب منها منهاج السالكين وعمدة البصراء السائرين «الأعلام» للزركلي (٧/ ٤١).

١٣- محمد بن موسى بن محمد بن سند بن تميم اللخمي الدمشقي المحدث شمس الدين، المولود في ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة المتوفى ٧٩٢هـ. «إنباء الغمر» (١/ ٤٠٩).

١٤- يحيى بن يوسف بن يعقوب بن يحيى بن زعيب الرحبي محيي الدين التاجر، ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة ومات في ربيع الأول. «إنباء الغمر» (١/ ٤٩٩).

تلاميذه

لقد سمع من ابن الرسام الكثير من أهل العلم منهم:

١- إبراهيم بن أيبك بن عبد الله الصفدي جمال الدين أبو إسحاق. أخو مؤلف الوافي بالوفيات ولد تقريباً في سنة سبع مائة والمتوفى في رابع جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وسبع. «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢١٢).

٢-أحمد بن محمد الشهاب الحلبي الحنفي ويعرف بابن الأقرب. ولد في سنة بضع وثمانمائة بحلب، ومات بعد التسعين. انظر «الضوء اللامع» (١/ ٤٠٠)

٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الحافظ الكبير والعلامة النحرير علامة دهره ووحيد عصره المولود سنة٧٧٣هـ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ،وهو أشهر من أن يعرف به.

٤- عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير بن فهد الشافعي المولود سنة اثنتي عشرة وثمانمائة والمتوفى سنة ٨٨٥ هـ. انظر «معجم المؤلفين» (٧/ ٣١٨). «الضوء اللامع» (٦/ ١٢٦).

٥- علي بن إبراهيم بن علي بن راشد الموفق أبو الحسن الإبي -بكسر الهمزة ثم موحدة مشددة- اليماني ثم المكي الشافعي ويعرف بالإبي. المولود قبيل التسعين وسبعمائة بتعز من بلاد اليمن، والمتوفى في ذي الحجة سنة تسع وخمسين بمكة. «الضوء اللامع» (٣/ ١٦).

٦-محمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن سليمان بن عمر ابن محمد الشمس الحلبي الحنفي الماضي ويعرف بابن أمير حاج وبابن الموقت. «الضوء اللامع» (٤/ ٤٠٤).

٧- محمد بن محمد بن هبة الله بن عمر بن إبراهيم بن الشرف هبة الله ابن النجم الصدر بن ناصر الدين بن الشرف الجهني الحموي الشافعي. «الضوء اللامع» (٤/ ٤٩١).

٨- محمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد الجمال أبو المحاسن المراكشي المولود سنة سبع وثمانين وسبعمائة والمتوفى سنة ٩٢٣هـ. انظر «الضوء اللامع» (١٠/ ٥٦-٥٧).

٩- أبو بكر بن أحمد بن إبراهيم التقي بن الشهاب أبي العباس بن البرهان

الحلبي المصري الأصل الشافعي. انظر «الضوء اللامع» (٥/ ٢٢٣).

أولاده

١- عبد القادر بن الشهاب أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي الزين الحموي الحلبي ويعرف كأبيه بابن الرسام؛ ولي كتابة السر بحلب ونظر جيشها، وصاهر العلم البلقيني على ابنته، مات بحماة سنة بضع وستين بعد أخيه. «الضوء اللامع» (٢/ ٣٦٧).

٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد المحب أبو الوليد بن الشهاب الحموي المالكي، ويعرف كأبيه بابن الرسام. ولي قضاء المالكية ببلده، ومات بها سنة بضع وستين. «الضوء اللامع» (٣/ ٣٢٥).

أحفاده

عبد الكافي بن عبد القادر بن الشهاب أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي التقي الحموي الأصل القاهري الشافعي سبط العلم البلقيني؛ نشأ في كنف أبيه فحفظ القرآن، وتميز بحيث ناب في القضاء ومات بحماة في أثناء رمضان سنة أربع وثمانين ودفن بمقبرتهم هناك ولم يكمل الأربعين. في طاعون سنة سبع وتسعين. «الضوء اللامع» (٢/ ٣٩٤).

مؤلفاته

١- «الأربعين من الأحاديث النبوية عن أربعين من مشائخ الإسلام مروية»؛ عليه خطه بالإجازة، في مكتبة خدابخش بالهند برقم (٣٨١) (٢).

٢- «عقد الدرر واللآلي، في فضائل الشهور والأيام والليالي» -وهو كتابنا هذا-.

٣- «معادن الجواهر في فضل الذكر والذاكر» وقد طبع بتحقيق الأستاذين مسعد عبد الحميد السعدني ومحمد حسن إسماعيل.

ثناء العلماء عليه

لقد أثنى العلماء كثيرا على ابن الرسام الحنبلي فقال ابن الأخضر في «المقصد الأرشد» (١/ ٨٠): الشيخ الإمام الفاضل قاضي القضاة بحماة.

قال ابن العماد في «شذرات الذهب» (٦/ ١٦٧) وهو يترجم لشهاب الدين أحمد بن موسى بن خفاجا الصفدي الشافعي؛ شيخ صفد مع ابن الرسام، وقام بالفتوى بعد ابن الرسام؛ فيستفاد من ذلك أن ابن الرسام كان شيخا مفتيا.

مصادر الترجمة

الضوء اللامع ١: ٢٥١ وحسن المحاضرة ١: ٢٠٦ و«هدية العارفين» ١: ١٢٤ ودار الكتب ١: ١٣٦ والأزهرية ١: ٣٨٩ وفهرس المخطوطات المصورة ١: ٥٢، ٩١ . إنباء الغمر بأبناء العمر (٨/ ٣٦٠)، «معجم المؤلفين» (١/ ١٧٥) شذرات الذهب (٧/ ٣٣). «المقصد الأرشد» (١/ ٨٠) الضوء اللامع (٣/ ٣٢٥) الوافي بالوفيات (٢/ ٢١٢) وذكره في معجم شيوخ ابن فهد (٥٤)، تحفة «المجالس» في التعليق على فهرس الفهارس (١/ ٣).

منهج ابن الرسام في كتابه

١- من خلال قراءتي لكتاب «عقد الدرر واللآلي في فضل الشهور والأيام والليالي» ومعايشتي له؛ ظهر لي أن هذا الكتاب توفرت فيه سمات كتب الآداب الناجحة، وذلك لأن أسلوبه جمع بين الترغيب والترهيب، والتوظيف الجيد للأدلة الشرعية من أجل المعنى الذي يريد توصيله للقارئ.

٢- قسم ابن الرسام الحنبلي كتابه إلى ثمانية وعشرين مجلسًا، وقد يعالج الموضوع الواحد في أكثر من مجلس، وقد يقسِّم المجلس الواحد إلى أكثر من فصل.

٣- اختار لكل مجلس عنوانا، وراعى فيه ألفاظ العنوان السجع.

٤- جعل كل مجلس في مقدمة وموضوع وخاتمة، وهذا يعين القارئ على حسن الاستيعاب والفهم.

٥- يذكر الآيات والأحاديث التي تفيد في الموضوع الذي يعالجه، وفي ذكره للأحاديث لا يشترط الصحة؛ بل يذكر الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وقد ينقل حكم أهل العلم على الحديث.

٦- يذكر الأشعار التي تخدم فكرته، ويعزوها لأصحابها.

٧- يشرح الألفاظ الغريبة من كتب اللغة والغريب.

٨- يعلق على بعض الآيات والأحاديث بكلام جميل يراعى فيه السجع والنثر، وهو متأثر في ذلك بابن الجوزي وغيره من علماء الرقائق والزهديات.

٩-يستخدم الإشارات في كلامه على طريقة الصوفية في الوعظ والتوجيه.

١٠- قد يترجم أحيانًا لبعض الأعلام التي يذكرها بترجمة صغيرة موجزة جدًا.

١١- ينقل أحيانا كلام أهل العلم على بعض الرجال.

١٢-النقل كثيرًا من كتاب «لطائف المعارف» لشيخه ابن رجب الحنبلي.

١٣- عزو الأحاديث إلى من أخرجها، والأقوال إلى من قالها؛ وذكر أسماء الكتب الواردة فيها.

١٤- في بحث المسائل الفقهية لا يتقيد بمذهب معين، بل يذكر المسألة في المذاهب المختلفة ويطيل البحث في دراستها، وينقل أقوال العلماء، وأحيانًا لا يذكر اسم العالم الذي نقل كلامه كما فعل مع العلامة ابن القيم عندما ذكر خصائص يوم الجمعة.

١٥- كثرة المصادر التي استقى منها ابن الرسام مادة كتابه؛ فقد طاف بنا في أغلب الكتب الشرعية من تفسير وحديث وفقه وآداب وتاريخ ورجال.

١٦- التأثر بالواقع الذي كان يحياه فيذكر بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الجهال ويناقشها ويرد عليها ويحذر من فعلها.

١٧- يذكر القصص والحكايات المفيدة في المواعظ ويستخرج منها الدروس والعبر؛ فالكتاب مزاياه كثيرة وفوائده عديدة وسيراها القارئ في ثنايا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وإن كان من مأخذ:

١- عزو الأحاديث لأصحاب الأسانيد النازلة، مع أنها موجودة في كتب عصور الرواية، وهذا يغتفر لأن الكتاب كتاب آداب.

٢- التقليد لشيخه ابن رجب في التخريج ونقل المتن بالنص، وإن كان فيه سهو أو خطأ.

نسبة الكتاب للمؤلف

لا شك في نسبة هذا الكتاب لابن الرسام الحنبلي، ويؤكد هذا أمرين؛

الأول: أن جميع المصادر التي ترجمت له نصت على أنَّ هذا الكتاب من مؤلفاته، والمصادر التي لم تنص على ذلك صراحة؛ أفادت أن له كتاب في فضل الأيام والشهور والليالي كما يظهر ذلك في ترجمة ابن الرسام.

الثاني: أن على طرة النسختين اللتين أعتمدنا عليهما في التحقيق، نسبة هذا الكتاب لابن الرسام.

وقبلْ أن انتهي من كتابة هذه المقدمة فلابد أن أشكر إخواني الكرام؛ محمود معروف الذي قام بصف هذا الكتاب، وعبد العزيز مرزوق وزياد أبو السعود وأنس العياري؛ فقد ساعدوني في بعض الأعمال في هذا الكتاب.

وختامًا فهذا العمل جهد المقل فمن رأى فيه عيبا فليدلني عليه ونسأل الله السداد في الدنيا، والفوز في الآخرة، إنه ﷻ ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه

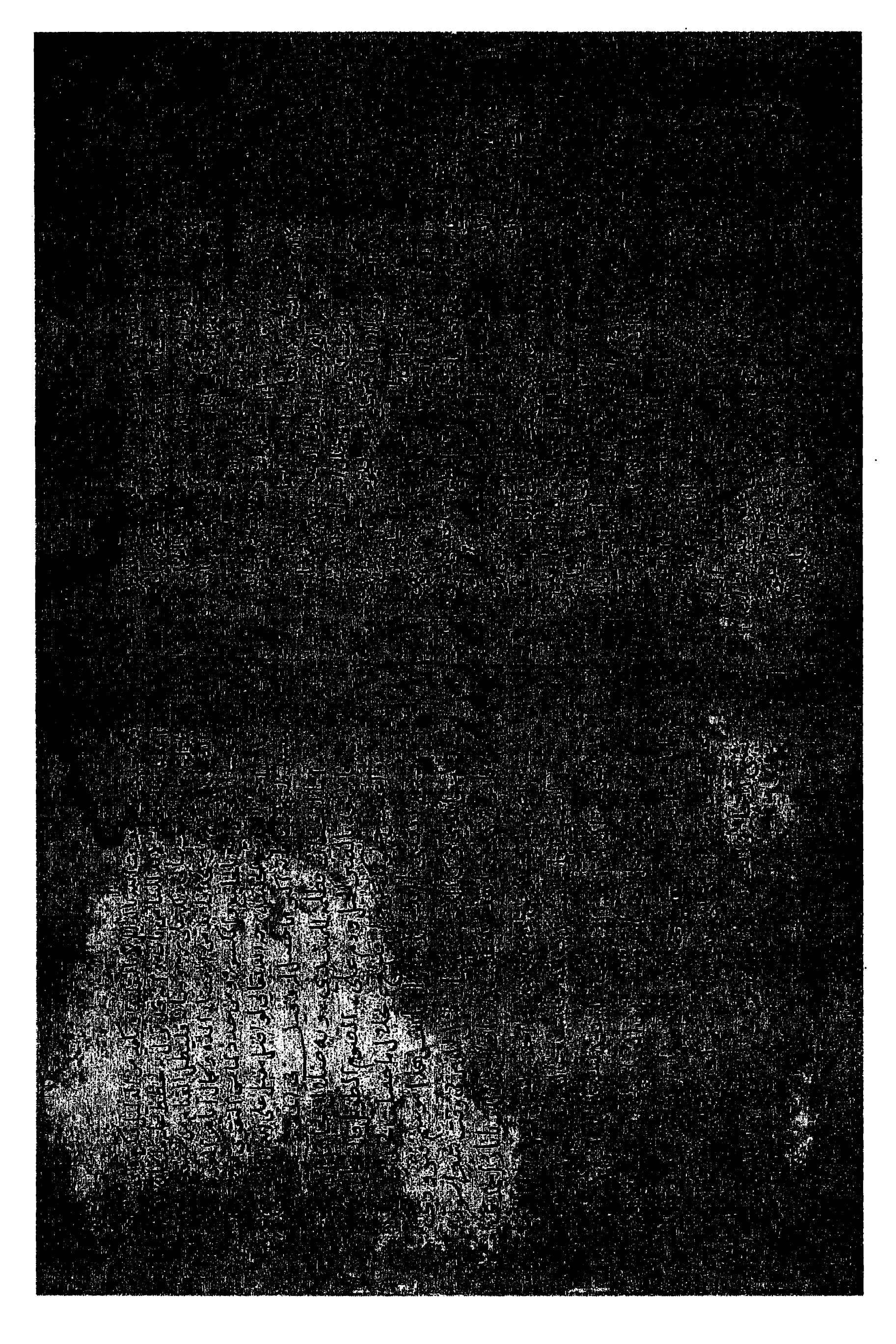
سمير محمد اسماعيل

صور المخطوطات

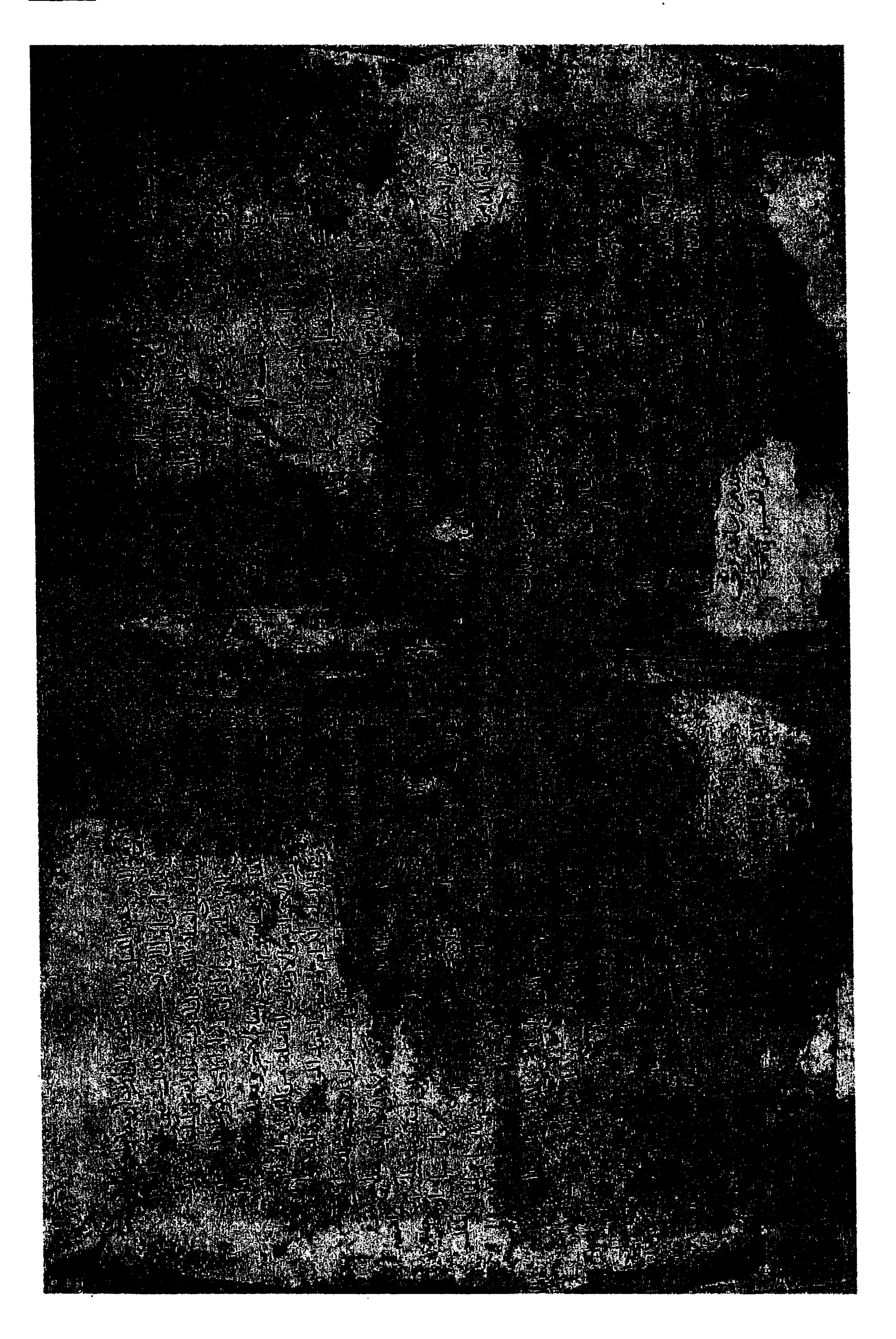
الورقة الأولى من النسخة (ك)

الورقة الثانية من النسخة (ك)

الورقة الثالثة من النسخة (ك)



الورقة الأولى من النسخة (ق)



الورقة الثانية من النسخة (ق)



الورقة الثالثة من النسخة (ق)

النص المحقق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ربَّ ودنا وما غاب، ولبى دعوة المضطرين وأجاب، ودبَّ معروفه نحو من ذاب في الآداب، سار (الفكر)[1] نحو عظمته فإذا عزته تهاب، وطالت بيداء معرفته حتى كلَّ كلُ الركاب، وطمح الحجى بعين العقل نحو ذاته المقدسة فرُدَّ خاسئًا بالحجاب، فنظر في عجائب مصنوعاته فرأى العجب العجاب، وتلمح أثار قدرته وتلى الآيات وطاب، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

ثم كرر المكرر المنزل من رب الأرباب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]. جعل الأرض مهادًا ممدودًا، وخيمة السماء لا بأطناب[2]، والنهار للمعاش والليل للفراش؛ إذ لا بد من مناخ للركاب؛ فإذا لاح نور الفجر هيت[3] البياض الأصلي بطارئ الخضاب.

فنادى تغير الأحوال ينبه على المغير فأنصت للجواب: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؛

---

(١) في (ك): «الذكر» وهو خطأ.

(٢) واحدها طنب بضم الطاء والنون وهوأحد أطراف الخيمة. انظر النهاية في «غريب الحديث» (٣/ ٣١٢).

(٣) معناه نادى عليه ودعاه. «تاج العروس» (١/ ١٢٠٣).

فتلمح جود الجواد كيف عمَّ خيره الثرى والهضاب يخرج به: ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، أوما هذه المبتدأت تدل العقلاء على ما آت، تالله ما البيوت للثبوت لا بد من تقريض الخيم لسفر (الإياب)(١)، وكأنكم بكم وقد أنقض لعقاب راتع الطير عقاب؛ فإذا لقى المفرط في أمره أمرَّ العذاب ذاب، [وحصل له الخجل والوجل وخاف سوء المنقلب والمآب](٢) ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. أحمده حمدًا من ارعوى وتاب وأناب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ فيؤتى له باب، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وحبيبه وخليله؛ أشرف الخلق من العالم العلوي والسفلي أعني الملائكة المقربين، وأهل سرادقات الحجاب والمخلوقين من تراب ﷺ، وعلى جميع السادة والأصحاب والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والجزاء والحساب.

أما بعد،،،

فإن الله تعالى جعل للأعمار مواسم يربح فيها متمثل المراسم؛ فهي موضوعة لبلاغ الأمل، وفعل الصالحات من العمل؛ وافرة الأرباح لمن جنو بهلكة الأرواح؛ لمن فجرّ الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف وأكثر، والسيئة ترد إلى حال محتقر، وبهذا العمر اليسير يشتري العبد الخلود الدائم في الجنان، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرحمن، ومن

---

(١) في (ق) «التراب».

(٢) مثبت من (ق).

فرط في عمره وقع في الخسران.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر في أمره فيغتنمه قبل أن يفوت استدراكه، وربما حصل لمضيعه هلاكه، وليعلم العاقل أنه من يوم بلوغه قد وجبت عليه معرفة الله بالدليل لا بالتقليد، ويكفيه من الدليل؛ فكره في نفسه وترتيب أعضائه فيعلم أنه لا بد للبناء من بان، وأنه قد نزل به لحفظ عمله ملكان يصحبانه طول زمانه، ويعرضان ذلك على ربه وديّانه؛ فليطل القيام من سيقعد، وليكثر الصيام ويركع ويسجد؛ فلا بد من انقضاء المدة وكمال أيام العدة؛ فمن خرق ثوب التقوى بيع بالخليع والمكسور، ومن جدد لباس التقوى فرح يوم النشور.

قال أبو القاسم الجنيد -رحمه الله تعالى-: لو أقبل مقبل على الله ﷻ ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة؛ كان ما فاته أكثر مما حصل له، وقيل في المعنى شعر.

أما الشباب فظلمة (للمبتدي)[1]
وبه ضلالُ الجاهلِ المتمردِ
فاقمعهُ بالصبر الجميل ودُم على
الصومِ الطويلِ فإنه كالمبردِ
واغضض جفونك عن حرامٍ واقتنع
بحلال ما حصَّلت تُحمد في غدِ
ودع الصِّبا فالله يَحمد صابرًا
يا نفسُ هذا موسمٌ فتزودي

---

(١) في (ك) «للمعتدى».

ليس الذي ترك الذنوبَ مشيبًا
مثل الذي في وقت شعرٍ أسود
فافرح إذا جاهدتَ نفسكَ صابرًا
يا صاح [صِح](١) في اللهو يا نار اخمدي
واغنم مديحةَ يوسف في صبره
واحذر تَعجل آدم في المفسد
والصبر (عن آفات)(٢) نفسك نومة
فأنب وغالط شهوةً لم ترقدِ
تُحمد هناك إذا هواك تركتَه
يا سعد تسعدُ بالمعاش الأرغدِ
إذا رُمت نيل الفخر فاصبر واصطبر
إن الغنائم في الطريق الأبعدِ(٣)

قال: وكان سري السقطي -رحمه الله تعالى- لا ينام إلا غَلبة. قال: ودخلوا على الجنيد -رحمه الله تعالى- وهو في الموت يركع ويسجد وأراد أن يثني رجله في الصلاة فما أمكن لخروج الروح منها فقال له رجل: ما هذا؟ قال: هذه نِعم، الله أكبر.

---

(١) سقط من النسختين والمثبت من كتاب تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي (١/ ٥٠).

(٢) تحرفت في (ك): إلى «غرفات» والبيت كما في المطبوع من كتاب تنبيه الغمر
الصَبرُ عَن شَهوَاتِ نَفسِكَ تَوبَةٌ. فَاثبُت وَغالِط شَهوَةً لَم تَرقُدِ

(٣) هذه الأبيات لابن الجوزي، وانظر كتاب تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي (١/ ٥٠).

وعن محمد بن ثابت البناني أنه قال: ذهبت ألقن أبي، وهو في الموت فقلت: يا أبة قل لا إله إلا الله. فقال: يا بني خلي عني فإني في وردي السادس أو السابع. قال: وكان عون بن عبد الله يقول: ما أنزل الموت كنه منزلته، من عدَّ غدا من أجله. كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغدٍ لا يدركه، أنكم لو رأيتم الأجل ومسيره؛ لأبغضتم الأمل وغروره. قال: كنه الشيء غايته، تقول: بلغت كنه هذا الأمر؛ أي غايته.

وروى ابن الجوزي رحمه الله في «الحدائق» عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **«اليوم الرهان، وغدًا السباق، والغاية الجنة، والهالك من دخل النار»**[1].

وروى ابن الجوزي رحمه الله في «مناقب الإمام أحمد» رحمه الله عن صالح بن أحمد قال: رأى رجل مع أبي محبرة فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين. فقال: مع المحبرة إلى المقبرة، وفي رواية أنا أطلب العلم حتى أدخل القبر. وذكر الحافظ ابن الأخضر في كتابه «المقصد الأرشد» فيمن روى عن أحمد أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١١٨/ ١٢٦٤٥)، و«الأوسط» (٦٠٥، ٤٠١٠، ٧٨٨٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٣١)، وضعفه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٤٠٤) بأصرم بن حوشب، وقال: عامة رواياته غير محفوظة، وهو بين الضعف.
وقال الهيثمي (١٧٦٩٦): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» بنحوه، وفيه أصرم بن حوشب وهو متروك، وفي إسناد «الأوسط»؛ الوليد بن الفضل العنزي، ضعيف جدا.

قيل له: يا أبا عبد الله إلى متى أنت مع الصبيان؟ يعني في طلب الحديث وكتابته، قال: من المحابر إلى المقابر.

ومن نظر في شرف عمره اغتنمه، ولم يفرط في لحظة منه، وقيل لعبد الله ابن المبارك: إلى متى يحسن للمرء أن يتعلم؟ قال: ما دام يقبح به الجهل؛ يحسن له أن يتعلم، وكان رَحِمَهُ اللهُ في حالة الموت وكاتب عنده يكتب له العلم، فقيل له: في مثل هذا الحال وأنت تطلب العلم؟ فقال: لعل الكلمة التي تنفعني لم تبلغني بعد. ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة**»[(١)] .

فليجتهد الشاب في حراسة بضاعته، وليتحفظ (الكهل)[(٢)] بقدر استطاعته، وليتزود الشيخ للحاق جماعته، ولينظر الغمر أن يؤخذ من ساعته. وفي تفسير عبد بن حميد وغيره من التفاسير «المسند»ة عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن

---

(١) من حديث أبي سعيد رواه بلفظه العسكري كما في «كشف الخفا» (٢/ ١٦٥٧) وهو عند الترمذي (٢٦٨٦)، وابن حبان (٩٠٣) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٧١٧٥) وأقره الذهبي. أ هـ ومدار إسناده على دراج عن أبي الهيثم ولذا قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٨٣)، وذكره العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ١٦٥٧) شاهدا لحديث؛ «**منهومان لا يشبعان؛ طالب العلم وطالب دنيا**». ثم قال: وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وهي وإن كانت مفرداتها ضعيفة؛ فبمجموعها يتقوى الحديث.

(٢) في (ك): «الجاهل».

يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، قال: من عجز بالليل كان له في أول النهار مستعتب.

وقال شقيق: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: فاتتني الصلاةُ الليلة. قال: أدرك ما (فاتك)[1] من ليلتك في نهارك؛ فإن الله ﷻ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا.

قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفًا وعوضًا يقوم أحدهما مقام صاحبه.

وبعد:

فقد رأيت المواعظ النافعة المتعلقة بالشهور والأعوام والأوقات الفاضلة من الليالي والأيام؛ متفرقةً في كتب علماء الإسلام ووعَّاظ السلف الكرام، وقصد العبد الموعظة بذلك لإخواني المسلمين والسادة الصالحين، ورأيت أن استصحاب مجموعها ربما عسر، وإذا تتبعت ذلك زاد وكثر؛ فاستخرت الله تعالى في جمع ذلك في هذا الكتاب؛ ليكون تذكرة لأولي الألباب؛ هذا مع كثرة الشواغل (والعُلق)[2] لكن أعانني على ذلك من خلق الإنسان من عَلق؛ فتتبعت ذلك من مواضعه رجاء النفع به لقارئه وسامعه، وأن يحصل للعبد دعوة من ذي قلب صافي أو صاحب منصف موافي.

---

(١) في (ق): «خلفك».

(٢) في (ك): «والقلق».

ورجوت أن يكون ذلك مقبولاً عند ذي الجلال نافعًا في الحال والمآل، وسميته «**عقد الدرر واللآلي في فضائل الشهور والأيام والليالي**»؛ أعني بذلك شهور العام وما فيها من الفضل الخاص والعام، وفضل الليالي المباركة الميمونة على العاملين؛ الكثير أجرها العظيم قدرها عند العالمين؛ مثل ليلة الجمعة وفضائلها المجتمعة، وليلة نصف شعبان، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر من الزمان، والله تعالى المستعان وعليه التكلان، وأُسند في الغالب كل نقل إلى ناقله، وأكشف لك سر نفيس (جليل)[1]، وكل قول؛ فالله تعالى عند لسان قائله وجزاءه بحسبه، وعلى قدر نية فاعله، وحسبنا الله وبه المستعان وهو اعتمادي وعليه التكلان ورتبته في ثمانية وعشرين مجلسًا.

المجلس الأول: في فضائل المحرم.

المجلس الثاني: في فضائل عاشوراء المحرم.

المجلس الثالث: في قدوم الحاج في المجلس الرابع في شهر صفر الميمون.

المجلس الخامس: في شهر ربيع الأول، وفيه مولد النبي ﷺ.

المجلس السادس: في ذكر وفاة النبي ﷺ.

المجلس السابع: لسلخ جمادي الآخرة.

المجلس الثامن: لافتتاح شهر رجب الفرد الحرام.

---

(١) في (ك): «حاصله».

المجلس التاسع: لليلة المسرى والمعراج ووداع شهر رجب الفرد الحرام.

المجلس العاشر: لافتتاح شعبان المبارك.

المجلس الحادي عشر: لليلة النصف من شعبان.

المجلس الثاني عشر: لوداع شهر شعبان.

المجلس الثالث عشر: لافتتاح شهر رمضان.

المجلس الرابع عشر: في العشر الأوسط من شهر رمضان.

المجلس الخامس عشر: في العشر الأخير منه.

المجلس السادس عشر: في السبع الأواخر وليلة القدر.

المجلس السابع عشر: لوداع شهر رمضان، وزكاة الفطر.

المجلس الثامن عشر: ليوم عيد الفطر ومتعلقاته.

المجلس التاسع عشر: في شوال وإتباع رمضان بصيام ستة أيام منه وفضلها، واختلاف العلماء في ذلك.

المجلس العشرين: في الحج، وفضله والحث عليه.

المجلس الحادي والعشرون: في شهر ذي القعدة الحرام.

المجلس الثاني والعشرون: في فضائل عشر ذي الحجة الحرام، وما يتعلق به من الأحكام.

المجلس الثالث والعشرون: في فضائل يوم عرفة مع عيد النحر، وما في ذلك من ثبوت الأجر.

المجلس الرابع والعشرون: في الأضاحي وفضلها وذكر أيام التشريق ورفعة محلها.

المجلس الخامس والعشرون: في وداع السنة.

المجلس السادس والعشرون: في فضائل يوم الجمعة أحد أعياد المسلمين ويوم حج المساكين.

المجلس السابع والعشرون: في فضائل ليلة الجمعة وما فيها من الخيرات المجتمعة وفضل قيام الليل.

المجلس الثامن والعشرون: في اليوم والليلة والجد والاجتهاد في بقية العمر والله الموفق للصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المجلس الأول

في فضائل شهر الله المحرم.

الحمد لله الذي جاد على العباد وتكرَّم، وأغنى وأفقر، وأهان وأكرم، وأوجد الأشياء كما شاء ثم أعدم، وأشقى وأسعد وأخرَّ وقدم، وأمات وأحيا وعافى وأسقم، وقدَّر ودبَّر وقسَّم وأقسم، وخاطب أولي الألباب ومن يعقل ويفهم، وأمر ونهى وأباح وحرَّم، وجعل مبدأ كل عامٍ الشهر المحرم.

أحمده على الإسلام والإيمان، وأشكره على اختياره لنا خير الأديان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرجو بها الخلاص من النيران، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى وشرفه بالقرآن، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين لهم بإحسان، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وسلم، وأهِلْ علينا عامنا بالإيمان والأمن، وأسكنا عندك في جنات عدن، وقوِّم إيماننا باليقين من عوارض الوهن، وارحمنا يوم عرضنا عليك، إذا علق الرهن، وانفعنا بما نقول وكل حاضر، واغفر ذنوبنا فأنت القادر، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله؛ إن هذا الشهر المحرم هو شهر عند الله مُعظَّم مُكرَّم، وذكر قوم من المفسرين أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢] أن الفجر، فجرُ أول يوم من المحرم، وليالٍ عشر؛ أراد

العشر الأوائل منه أيضًا على قول أخرين. وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦]، والشهر سُمي شهرًا من الشهور والشُهرة، ويقال: هو الهلال سُميت به هذه الأيام، والشُهرة؛ وُضوح الأمر، واشتهرت بالمكان أقمت به شهرًا، والمراد بالشهور الهلالية التي يعتد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم، وسائر أمورهم، أولها المحرم إلى ذي الحجة اثنا عشر شهرًا وقوله تعالى: في كتابه؛ يعني اللوح المحفوظ.

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، وهي رجب الفرد وذو القعدة، وذو الحجة والمحرم ؛ واحدٌ فرد، وثلاثةٌ سرد. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾؛ أي الحساب المستقيم. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، قيل: في جميع شهور السنة، أي لا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية، وترك الطاعة، وقيل: في الأشهر الحرم.

قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرًا في الأشهر الحرم، والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا، وتعظيم حرماتها هو الدين القيم. وقيل الدين القيم: الحساب المستقيم. قاله جماعة من المفسرين، ومنه قوله ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله تعالى»**(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجة (٤٢٦٠) وأحمد (١٧١٦٤) والحاكم (١٩١) قال الترمذي: حديث حسن. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري. =

وقال ابن عباس رضي الله عنه: يريد تحفظوا من أنفسكم فيهن واجتنبوا الخطايا؛ فإن الحسنات فيهن تُضاعف، والسيئات فيهن تُضاعف، وتبعه جماعة من أصحابه، وكتاب الله هنا المراد به اللوح المحفوظ؛ كتب الله فيه أحكامه في خلقه، ومقاديره الجارية على المخلوقات قبل خلق الخلائق بخمسين ألف عام.

وفي «صحيح مسلم» و«سنن أبي داود» و«جامع الترمذي» والنسائي(١) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان؛ شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة؛ صلاة الليل**». وفي الترمذي و«مسند الإمام أحمد»(٢) وفي إسناده مقال من حديث علي رضي الله عنه أنه سأله رجل فقال: أيُّ شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ فقال له: ما سمعت أحدًا يسأل عن هذا إلا رجل سمعته يسأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده فقال: يا رسول الله أيُّ شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ فقال: «**إن كنت صائمًا بعد شهر رمضان فصم**

= قال الذهبي في «التلخيص»: لا والله ليس على شرط البخاري كما قال الحاكم؛ أبو بكر واه. و(٧٦٣٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. وضعفه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٩) بأبي بكر بن أبي مريم وقال: له غير ما ذكرت من الحديث، والغالب على حديثه الغرائب، وقلما يوافقه عليه «الثقات»، وأحاديثه صالحة وهو ممن لا يحتج بحديثه، ولكن يكتب حديثه.

(١) رواه مسلم (١١٦٣)، وأبو داود (٢٤٢٩)، والترمذي (٤٣٨)، والنسائي (١٦١٣) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٧٤١)، وأحمد (١٣٢١)، والبزار (٦٩٩) قال الترمذي: حسن غريب.

المحرم؛ فإنه شهر الله، فيه يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على قومٍ آخرين».

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الغريب» له: في حديث النبي ﷺ أنه سُئل أي الصوم أفضل بعد شهر رمضان؟ قال: «**شهر الله المحرم**» قوله شهر الله المحرم. قال أبو عبيد: أراه قد نسبه إلى الله تبارك وتعالى، وقد علمنا أن الشهور كلها لله تعالى، ولكنه إنما ينسب إليه تعالى كل شيء يُعظم ويُشرف، وكان سفيان بن عيينة يقول: أن قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧]، فنسب المغنم والفيء إلى نفسه، وذلك (أنما هما)[1] أشرف الكسب؛ أنهما بمجاهدة العدو، وقال: ولم يذكر ذلك عند الصدقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ولم يقل لله وللفقراء؛ لأن الصدقة أوساخ الناس، واكتسابها مكروهٌ إلا للمضطر إليها.

قال أبو عبيد: فكذلك قوله: «**شهر الله المحرم**» إنما هو على جهة التعظيم له، وذلك لأنه جعله حرامًا لا يحل فيه قتال ولا سفك دم، قال: وفي بعض الحديث «**شهر الله الأصم**».

ويقال: إنما سماه الأصم؛ لأنه حرمه فلا تسمع فيه قعقعة السلاح، ولا حركة قتال، وقد حرم غيره من الشهور، وهو ذو القعدة وذو الحجة ورجب، وإنما لم يذكر في هذا الحديث غير المحرم، وذلك فيما يُرى

---

(١) كذا في النسخين والذي في «غريب الحديث» (٣/ ٤) «إنهما».

والله أعلم؛ لأن فيه يوم عاشوراء فضله بذلك على ذي القعدة ورجب.

وأما ذو الحجة؛ فنرى أنه إنما ترك ذكره عند الصوم؛ لأن فيه العيد وأيام التشريق، وأما الحديث الآخر في ذكر الأشهر الحرم فقال: «**ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**»؛ فإنما سماه رجب مضر؛ لأن مُضر كانت تعظمه وتحترمه، ولم يكن يستحله أحد من العرب إلا حيان؛ خثعم وطيء؛ فإنهما كانا يستحلان الشهور والله أعلم. انتهى

وذكر صاحب كتاب «الوظائف» بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام تسعة أيام من أول المحرم؛ بنى الله له قبة في الهواء ميلاً في ميل لها أربعة أبواب**»[1]، وعن وهب بن منبه قال: أمر الله موسى عليه السلام أن مُر قومك أن يتقربوا إليَّ في أول شهر الله المحرم، فإذا كان اليوم العاشر؛ فليخرجوا إليَّ أغفر لهم. انتهى

وقد تقدم ما رواه أيضًا ابن الجوزي في كتاب «النور» عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صام آخر يوم من ذي الحجة، وأول يوم من المحرم -فقد ختم السنة الماضية بصوم وافتتح السنة المقبلة بصوم- جعله الله كفارة خمسين سنة**»[2].

وروى عن عبد الرحمن بن حبيب بن بسطام أنه قال: إذا كان أول يوم

---

(١) ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ٩٦) وقال: رواه أبو نعيم عن أنس مرفوعًا، وهو موضوع آفته موسى الطويل.

(٢) ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ٩٦) وقال: رواه ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعًا، وقال: فيه كذابان. أ هـ ولم أجده في المطبوع من سنن ابن ماجة.

من المحرم فقال العبد: اللهم أنت الأبدي القديم، وهذه سنة جديدة؛ أسألك فيها العصمة من الشيطان وأعوانه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك يا كريم يا ذا الجلال والإكرام؛ إلا وكّل الله به ملكًا يذب عنه الشيطان، وأعانه على نفسه ووفقه لمرضاته، ويرى التيسير في أموره إن عاش، ويقول الشيطان قد أيسنا منه؛ فإن كان نيته ترك الذنوب فيصلي ركعتين يقرأ فيهما بما شاء ويرفع يديه ويدعوا بهذا الدعاء المذكور. انتهى

فائدة في سؤال: وقد كان النبي ﷺ يصوم شعبان، ولم ينقل عنه أنه كان يصوم المحرم إنما كان يصوم عاشوراء وقوله ﷺ: «**لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع**»(١)؛ يدل على أنه كان لا يصوم التاسع قبل ذلك. قال ابن رجب في «اللطائف» له: وقد أجاب الناس عن هذا السؤال بأجوبة فيها ضعف، والذي ظهر لي والله أعلم أن التطوع بالصيام نوعان:

أحدهما: التطوع المطلق بالصوم؛ فهذا أفضله المحرم، كما أن أفضل التطوع المطلق بالصلاة؛ قيام الليل.

والثاني: ما صيامه تبع لصيام رمضان، وهو ملتحق بصيام رمضان، ولهذا قيل: أن صيام ستة أيام من شوال يلتحق بصيام رمضان، ويكتب لمن صامها مع رمضان صيام الدهر فرضًا. وقد روي أن أسامة بن زيد رضي الله عنه كان يصوم الأشهر الحرم؛ فأمره النبي ﷺ بصيام شوال وسنذكر ذلك في

---

(١) من حديث ابن عباس رواه عبد بن حميد (٦٧١)، ومسلم (١١٣٤).

موضعه إن شاء الله تعالى، فهذا النوع من الصيام ملتحق برمضان، وصيامه أفضل التطوع مطلقًا.

فأما التطوع المطلق فأفضله؛ صيام الأشهر الحرم، وقد روي عن النبي ﷺ أنه أمر رجلا أن يصوم الأشهر الحرم، وأفضل صيام الأشهر الحرم صيام شهر الله المحرم، ويشهد لهذا أنه ﷺ قال في هذا الحديث: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل**»(١)، ومراده بعد المكتوبة ولواحقها من سننها الرواتب؛ فإن الرواتب قبل الفرائض وبعدها؛ أفضل من قيام الليل عند جمهور العلماء؛ لالتحاقها بالفرائض، وإنما خالف في ذلك بعض الشافعية؛ فكذلك الصيام قبل رمضان وبعده ملتحق برمضان، وصيامه أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع المطلق صيام المحرم.

وقد اختلف العلماء في أي الأشهر الحرم أفضل؟.

فقال الحسن وغيره: أفضلها شهر الله المحرم ورجحه طائفة من المتأخرين، وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام، وختمها بشهر حرام فليس شهر في السنة بعد رمضان أعظم عند الله من المحرم. قال: وكان يسمى شهر الله الأصم من شدة تحريمه، وقد روى ذلك عنه مرفوعًا ومرسلاً. قال آدم بن أبي إياس، حدثنا أبو هلال الراسبي، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة؛ الصلاة في جوف الليل الأوسط، وأفضل**

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه مسلم بنحوه (١١٦٣).

الشهور بعد شهر رمضان؛ المحرم وهو شهر الله الأصم»[١] .

وخرَّج النسائي[٢] من حديث أبي ذر ﵁ قال: سألت النبي ﷺ أي الليل خير وأي الأشهر أفضل؟ قال: «**خير الليل جوفه، وأفضل الأشهر؛ شهر الله الذي تدعونه المحرم**»، وإطلاقه في هذا الحديث أفضل الأشهر محمول على ما بعد رمضان كما في رواية الحسن المرسلة. وقال سعيد بن جبير وغيره: أفضل الأشهر الحرم ذو الحجة؛ بل قد قيل: أنه أفضل الأشهر مطلقًا.

قال ابن رجب في «لطائفه»: وزعم بعض الشافعية أن أفضل الأشهر الحرم رجب وهو قول مردود، وأفضل شهر الله المحرم عشره الأول، وقد زعم يمان بن رئاب أنه العشر الذي أقسم الله به في كتابه، ولكن الصحيح أن العشر المقسم به عشر ذي الحجة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال أبو عثمان النهدي: كانوا يُعظمون ثلاثة أعشار؛ الأخير من

---

(١) ذكره ابن رجب في «اللطائف» (١/ ٣٦) ورواه ابن أبي شيبة (٦٦١٤) بسنده عن الحسن مرسلا مقتصرا على أوله. وورد في فضل الصلاة في جوف الليل الأوسط أحاديث منها ما رواه ابن ماجة (١٣٦٤) من حديث عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: هل من ساعة أحب إلى الله من أخرى؟ قال: «نعم. جوف الليل الأوسط...» الحديث قال البوصيري: فيه عبد الرحمن بن البيلماني قيل: لا يعرف أنه سمع من أحد من الصحابة؛ إلا من سرف ويزيد بن طلق. قال ابن حبان: يروي المراسيل.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٢١٦)، وصححه المنذري (١٥٢٨).

رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم، وقد وقع هذا في بعض نسخ كتاب «فضائل العشر» لابن أبي الدنيا عن أبي عثمان عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه كان يعظم هذه العشرات الثلاث، وليس ذلك بمحفوظ، وقد قيل: أنه العشر الذي أتمَّ الله به ميقات موسى عليه السلام أربعين ليلة، وإن التكلم وقع في عاشره.

وعن قتادة إن الفجر الذي أقسم الله تعالى به في أول سورة الفجر، هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة، وإضافته إلى الله تعالى تدل على شرفه وفضله؛ فإنه لا يضيف إليه إلا الخواص من مخلوقاته؛ كما نسب محمد وابن مريم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- إلى عبوديته، ونسب إليه بيته وناقته، ولما كان هذا الشهر مضافًا إلى الله تعالى، وكان الصيام مضافًا إلى الله تعالى، فإنه له من بين الأعمال؛ ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله تعالى بالعمل المضاف إليه أن يختص به وهو الصيام وقد سمى النبي ﷺ شهر المحرم شهر الله.

فصل

وينبغي استفتاح العام بتوبة نصوح، تمحو ما سلف من الذنوب السالفة في الأيام الخالية.

قطعت شهور العام سهوًا وغفلة
ولم تحترم فيما أتيت المحارما

فـلا رجـب وفـيـت فـيـه بـحـقـه
ولا صمت شهر الصوم صوما متمما(١)

ولا في ليالي عشر ذي الحجة الذي
مضى كنت قوامًا ولا كنت محرما

فهل لك أن تمحو الذنوب بعَبرةٍ
وتبكي عليها حسرةً وتندما

وتستقبلُ العام الجديدَ بتوبةٍ
لعلك أن تمحو بها ما تقدَّما

وقد قيل: في معنى إضافة هذا الشهر إلى الله تعالى؛ إشارة إلى تحريمه ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه، ويحرمون مكانه صفر؛ فأشار ﷺ إلى أنه شهر الله الذي حرَّمه؛ فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك ولا تغييره بوجه. شعر

شهرُ الحرامِ مباركٌ ميمونُ
والصوم فيه مضاعفٌ مسنونُ

وثوابُ صائمهِ لأجل إلاهه
في الخلد عند مليكهِ مخزونُ

الصيام: سر بين العبد وبين ربه، ولهذا يقول الله تعالى: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»**(٢) وممن سرد الصوم عمر بن الخطاب وأبو طلحة

---

(١) سقطت من (ك).

(٢) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٧٠٥٤).

وعائشة وغيرهم من الصحابة وخلق كثير من السلف ﷺ، وممن صام الأشهر الحرم كلها ابن عمر والحسن البصري وغيرهما.

ورُوي: «**أن الصائمين توضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون والناس في الحساب؛ فيقول الناس: ما بال هؤلاء يأكلون ونحن نحاسب؟ فيقال: كانوا يصومون وأنتم تفطرون**»[١].

وفي التوراة: طوبى لمن جوَّع نفسه ليوم الشِبع الأكبر، طوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الري الأكبر، طوبى لمن ترك طعامًا ينفد في دار تنفد لدار أكلها دائم وظلها. شعر

مــن يُــرد مُــلــك الــجِــنــان
فــلــيــذرْ عــنــه الــتــوانــي
ولــيــقُــمْ فــي ظــلــمــة الــلــيــل
إلـــى نـــور الـــقـــرآنِ
ولـــيــصِـــلْ صــومًــا بــصــومٍ
إن هـــذا الـــعـــيـــش فـــانـــي
إنـــمـــا الـــعـــيـــشُ جـــوارُ الله
فـــــي دار الأمـــــانِ

وكان بعض الصالحين يكثر الصوم؛ فرأى في منامه كأنه دخل الجنة؛ فنودي من ورائه: يا فلان تذكر إنك صمت لله يومًا قط؟ قال: أي والله

(١) سيأتي تخريجه قريبا.

يوم ويوم ويوم؛ فإذا صواني النثار[١] قد أخذته يُمنة ويسرة. قال: واحتضر إبراهيم بن هانئ صاحب الإمام أحمد، وهو صائم فطلب ماء وسأل أغربت الشمس؟ فقالوا: لا، وقالوا له: قد رخص لك في الفطر وأنت متطوع، قال: أأمهل ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت نفسه، وما أفطر.

(موعظة)[٢]: الدنيا كلها شهر صيام للمتقين، وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم، ومعظم نهار الصيام قد ذهب، وعيد اللقاء قد اقترب. شعر

وقد صمت عن لذات دهري كلها
ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

قال: وصام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد، وكان له دكان؛ فكان يأخذ كل يوم من بيته رغيفين، ويخرج إلى دكانه فيتصدق بهما في طريقه؛ فيظن أهله أنه يأكلهما في السوق، ويظن أهل السوق أنه قد أكل في بيته، قبل أن يجيء.

قال[٣]: كم يستر الصادقون أحوالهم، وريح الصدق ينمُّ عليهم. ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله ردائها علانية.

شعر:

---

(١) هو اسمٌ للجوز والسُكَّر وما ينثر من الأشياء في الفرح ونحوه من المناسبات. انظر العين (٨/ ٢٢٠).

(٢) في (ق): «قال».

(٣) يعني شيخه ابن رجب.

كم أكتم حبكم عن الأغيار
والدمع يذيع في الهوى أسراري
كم أستركم هتكتموا أستار
من يخفي في الهوى لهيب النار

ولما دفن عبد الله بن غالب، كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرُؤي في المنام فسئل عن ذلك فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ، قال: وجاء في حديث مرفوع «**يخرج الصائمون من قبورهم؛ يعرفون بريح المسك من صيامهم، وأفواههم أطيب من ريح المسك**»(١)، اللهم اجعلنا كذلك، آمين يا رب العالمين. وقال في المعنى شعر:

وهبني كتمت السر أو قلت غيره
أيخفى على أهل القلوب السرائر؟
أبى ذاك إن السر في الوجه ناطق
وأن ضمير القلب في العين ظاهر

انتهى كلام شيخنا رحمه الله.

فصل

من كتاب «نزهة التأميل للطالب الرشيد النبيل» للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله قال: سيرُ الأيام عِبرُ الأفهام، فأيام الحياة كالأحلام للأنام، وفي الشهور أعشار احترام هي لها نفوس، وبالنفوس تشرف

---

(١) رواه أبو الشيخ في «الثواب»، والديلمي عن أنس كما في «كنز العمال» (٢٣٦٤٤)، وسنده ضعيف كما قال ابن رجب في «اللطائف» (١/ ١٧٦).

الأجسام، ولاستدراك الفائت فوائد ضمتها عوائد، وعندنا لها شواهد، وأفضل العباد الزاهد؛ فابتهج لعشر وارد، وانتهج سبيل القاصد؛ فللحق ﷻ نظرات، وللخير مظنات، وللأمور معقبات، وفي الأيام شبات غر زهر محجلات؛ فعشر المحرم سناها وصبح ديجور دجاها؛ قدَّمه الله تعالى فلم يحجم، ومنحه وسائل الفضائل فلم يهضم، وأقسم به لمن يدر فقال [: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢].

سُئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال: فجر شهر المحرم سماه فجرًا؛ لأنه فجر السنة، وهو أحد الأشهر الحرم التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦].

وقال الشيخ الإمام العالم الشيخ ابن إبراهيم البرقي -رحمه الله تعالى-:

سبحان الله ما تعاقبت الليالي والأيام والحمد لله ما تعاقبت الشهور والأعوام. تفنى الأزمنة والأعصار وبقاء الله تعالى سرمدًا لا يبيد ولا يفنى، وتُدرس المراسم والآثار، وأمر الله ثابت لا يضمحل ولا يبلى

وأشهد أن كل معبود دون الله باطل، وأن كل شيء غيره لعزه؛ خاضع ومن فضله سائل. تفنى الأواخر والأوائل والرب باقي غير زائل؛ لا ينقضي سلطانه أبدًا ولا يحفيه سائل. يا جاهلا معبوده؛ عُج بالخبير وسائل؛ يخبرك أن جميع معبود سوى الرحمن باطل.

كيف يكون مع الله معبودًا سواه، وكل من سواه يرجوه ويخشاه أليس الأفلاك بتسخيره على أفلاكها دائرات؟، أليس العقول في تيه معرفته حائرات؟. سبحانه سبحانه ما أعظم شأنه، سبحانه سبحانه ما أقهر سلطانه.

يا من أتى من العمر سبع سنين دخلت في سن التمييز؛ فقلل من رعونة الأطفال، يا من استكمل مولده عشر سنين قد ناهزت الاحتلام؛ فتشبه بأخلاق الرجال. يا من بلغ من السنة خمس عشرة سنة تحفظ؛ فقد جرت عليك الأقلام، يا من دخل في السنة السادسة والعشرين، قد ابتدأت حرارتك الغريزية في النقصان فعلى ما حصلت منها وقت التمام؟.

يا من ختم السنة الثامنة والعشرين، هذا أوان كمال عقلك؛ فانظر ماذا اخترت لنفسك، يا من عمَّره الله ثلاثة وثلاثين سنة؛ اليوم انتهت شبيبتك ووقف عمرك وبلغت رشدك؛ فلا تجعل يومك هذا مِثل أمسك

يا من بلَّغه الله الأربعين استويت في العمر، فهل استويت في العمل؟، يا من افتتح سنة ستة وأربعين، قد شرعت قوتك في الخرف؛ فالحذر من ضعف الكبر الحذر. يا من[1] عاش في الإسلام ستين سنة، لقد عمِّرت فما يتذكر فيه من تذكر؛ فاستيقظ من هذه السِنة، ومن دخل في عشر السبعين فقد شارف من رحى المنون أن تطحنه. ويا من بلغ سن الثمانين فقد حطمه الكبر وأوهنه؛ فإذا ناهز التسعين فقد أنشب الموت فيه بُرثُنه[2]، ومن أنشب الموت به بُرثُنه فليعد الحبيب له كفنه.

---

(١) كتب أمامها في «ق»: وقد حكي أنه كان في زمن رسول الله ﷺ امرأة من المسلمات فمرضت في بعض الأيام مرضة شديدة وتوفيت؛ فلما كان في تلك الليل التي توفيت فيها رؤيت في المنام وعليها ثياب المنام عليها ثياب ...وعلى رأسها ...نار ووجهها أسود ولسانها على صدرها مدلع يلهتب نارًا ...مسمارات نار وحولها نساء تنادي يا ولیتاه والله ما سرقت ولا زنيت.

(٢) البُرثن: هو مخلب الأسد. «لسان العرب» (١٣/ ٥٠).

شعر

كم قد أتت لك في حياتك من سَنة
ورقاد عقلك ما تنبه من سِنة
يا من تراعن في الشبيبة والصبا
وأتى التكهل وهو ذا ما أرعنه
ما عذر من شابت مفارقه وقد
جعل التمادي في المعاصي ديدنه
يقوى على الأيام قُوة ناشئ
والشيب قد أوهى قواه وأوهنه
من صاحب القرآن حتى أدرك
الشيب النذير ولم يتابع أحسنه
فلم ينتفع بحياته ولو أنها
تمثل له من عمره ألفي سنة

يا من تمر أيامه مرَّ السحاب، يا من تطوى أعوامه كطي السجل للكتاب، لا يبقى على التبذير مال، ولايحسن على سوء التدبير حال، لولا الغفلة عن هجوم الحِمام لأَخَسَنا مصاحبة الليالي والأيام.

نحن والله أموات الأحياء ومجانين العقلاء، وليس الموت خروج من الأجسام، إنما الموت أن لا تعي لسماع الكلام. ليس الجنون تخريق الثياب عن الأبدان، إنما الجنون تمزيق لباس التقوى بأكف العصيان. غائص في الماء عطشان، مكتسي الثياب عريان، فيه عن داعي الهدى صمم وله سمع وآذان.

حافظ القرآن ليس يرى منه في الأخلاق قرآن، يهتدى أهل السلوك به في سُراهم وهو حيران، كسراج يستضاء به؛ حظه من ذاك نيران. العمر أرض، والعمل بذر، ومن حين الموت يقع المنجل في الحصاد، العمر سفر، والسنون مراحل، وعند الموت يحصل المسافر غرا التراحيل.

الدنيا دار العمارة، والآخرة دار السكنى، والموت ينقل كل بان إلى ما بنى. أيام الحياة رضاع، والموت فاطم، فمن كان في دنياه لثدي المعصية رضيعًا، كان غذاه بعد فطام الموت زقيمًا وضريعًا.

العارفون بالله؛ يعظمون شعائره ويمتثلون أوامره، ويقفون عند حدوده ويشيدون من بناء الدين ما أمر الله بتشييده][1] فهم كالخيل الكريمة أحسابها تزيدك جريًا إذا همزتها، وكالشجرة المدركة ثمارها؛ تساقط عليك كل ما هزرتها﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ [الأعراف: ٥٨]﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ [الأعراف: ٥٨]

من طابت أرض قلبه أثمر الأعمال الصالحة وأحرز المتاجر الرابحة، ومن خبثت أرض قلبه، أثمر العيوب الفاضحة وصافح الشفار الذابحة؛ لأن قلبه من خشية الله خالي، ومن محبة الله مولاه سالي، إن فاتته الدنيا اغتمَّ وحزن، وإذا فاتته الآخرة لا يفكر ولا يبالي كما قال الشاعر شعر:

لا عاش صب عن جمالك سالي

لا كان قلب من ودادك خالي.

---

(١) مثبت من (ق).

يا كعبة القصاد يا من ذكره
يجلو عن القلب الصدى المتعالي.
إمنن عليّ بنظرة يحيا بها
ما مات من قلبي وتصلح حالي.

طوبى لمن أمسى وأصبح بذكر الله مشتهرًا، طوبى لمن كان بطاعة الله بين شهداء الله بأرضه مشتهرا؛ شهد له ملائكة الله الحافظون بأنه لم يبرح بالباب واقفًا، ويخبر عنه عباد الله (الصالحين)[١] أنه لم يزل على الطاعة عاكفًا، فلو قيل للأمكنة: ما عمل فيك لقالت الأعمال الصالحة، ولو سئلت الأزمنة ما استودعك؟ لقالت: المتاجر الرابحة، فالشهر الحرام يشهد له بالورع عن الحرام، والشهر الحلال يعترف له ب«الزهد» الحلال.

أوقاته كلها بالمراقبة محفوظة، وحركاته وسكناته بالعناية من الله ملحوظة؛ إن ندبه القرآن العظيم إلى قيام ليل قام، وإن رغبه الرسول الكريم في صيام يوم صام؛ فهل فيكم عباد الله من هو موصوف بهذه الأوصاف؟ وهل فيكم من ندم على التفريط في العام الماضي؛ فأزمع التلافي في هذا العام.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب «النور» بسنده عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس

(١) في (ك): «الصالحون».

والجمعة والسبت كتب الله له عباده تسعمائة عام. وذكره في كتابه «التبصرة»[(١)] بغير سند بصيغة رُوي للتمريض وقال: رويت أحاديث من هذا الجنس لا تثبت؛ فلهذا (تركناها)[(٢)].

وثبت في «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صام يومًا في سبيل الله؛ باعد الله عز وجل وجهه عن النار سبعين خريفًا**». وروى أبو أحمد حميد بن زنجويه في «الترغيب والترهيب» له بسنده عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «**الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة؛ يقول الصيام: يا رب إني منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: يا رب إني منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان فيه**»[(٤)].

وفي «جامع الترمذي» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يومًا في سبيل الله؛ جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض**»[(٥)].

---

(١) «التبصرة» (٢/ ٢).

(٢) في (ك): « تنكبناها» والمثبت هو الموافق لما في المطبوع من «التبصرة».

(٣) رواه البخاري (٢٦٨٥)، ومسلم (١١٥٣).

(٤) ورد مرفوعا عن عبد الله بن عمرو عند أحمد (٦٦٢٦)، والحاكم (٢٠٣٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمي (٥٠٨١): رواه أحمد والطبراني في «الكبير» ورجال الطبراني رجال الصحيح. أهـ، وصححه المنذري (١٤٥٥) والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٢٩).

(٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رواه الترمذي (١٦٢٤) وقال: غريب من حديث أبي أمامة. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٣٣).

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صام يومًا جعل الله بينه وبين النار خندقًا؛ عرضه ما بين المشرق والمغرب**»(١). وفي كتاب «تنبيه الغافلين»(٢) عن أبي صدقة اليماني قال: دخل بلال على النبي ﷺ، وهو يأكل طعامًا فقال النبي ﷺ: «**يا بلال الطعام الطعام**»، فقال بلال: يا رسول الله إني صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا نأكل أرزاقنا، ورزق بلالٍ في الجنة، إن الصائم إذا كان جالسًا عند قوم وهم يأكلون تسبح أعضاؤه، وتصلى عليه الملائكة، وتقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما دام في مجلسه**».

وقد كان بعض السلف عند الموت يبكي فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي على يوم ما صُمتُه، وليلة ما قمتها.

[فوائد الصيام]

ومن فوائد الصيام؛ أن فيه الاقتداء بالملائكة الكرام فإنهم منزهون عن الشراب والطعام؛ طعامهم التسبيح، وشرابهم التحميد للحميد المجيد. ويروى عن الأحنف بن قيس أنه قيل له: إنك شيخ كبير وأن

---

(١) بنحوه من حديث أبي الدرداء رواه الحارث كما في «بغية الباحث» (٣٤٤)، وفيه داود بن المحبر متروك.

(٢) من حديث بريدة رواه ابن ماجة (١٧٤٩) والبيهقي في «الشُعب» (٣٥٨٦) وقال البوصيري: في إسناده محمد بن عبد الرحمن؛ متفق على تضعيف، وكذبه أبو حاتم والأزدي. قال المنذري (١٦٤٠): رواه ابن ماجه والبيهقي كلاهما من رواية بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن سليمان، ومحمد بن عبد الرحمن مجهول، وبقية مدلس وتصريحه بالتحديث لا يفيد مع الجهالة. قال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٩٥٢): موضوع.

الصيام يضعفك، قال: إنني أعده لشر[١] طويل، والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله أعاذنا الله من عذابه وجعلنا من أحبابه. ورؤي بعض العلماء المتقدمين في المنام فسُئل عن حاله فقال: غفر لي بصيام عاشوراء ستين سنة.

فبادر عمرك مبادرة مجتهد محق، وارفض فضول الدنيا وتخلص من الرق، قبل أن تلقى ساعة حسرة، تُلقى بعدها في ظلمات حفرة، كأني بك وقد تبدلت من الصحة بالسقم، وعدمت العافية وجرى بالبلاء القلم، وانقضى العمر كما قضى الله وحكم، وأقبل الموت الذي قدره الله وحتم، وبقيت رهينًا والروح تخترم، وبلغت الروح التراقي؛ فنسيت لذة النعم، وتحسر القلب لفراق الأحباب؛ فاظهر الدمع ما كتم، وما كان إلا ساعة حتى ذهبت الروح، وسكن الألم، ثم تنقل إلى منزل وعر شديد الظلم. فيا أسفى إن زلت على الصراط منك القدم.

فيامن هذا حاله إلى كم هذه الغفلة في الهوى وكم، متى تُقبل إلى طاعة مولاك مصالحًا، متى تَقبل ممن أصبح لك ناصحًا، يا خاسرًا متى تكون رابحًا، يا مستأنسًا بداره ستصبح نازحًا؛ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا. شعر

[يا غاديًا في غفلة ورائحًا
إلى متى تستحسن القبائحا][٢]

---

(١) كذا في النسختين، وفي كثير من المصادر «السفر».
(٢) سقط من (ق).

وكم إلى كم لا تخافُ موقفًا
يستنطِقُ الله به الجوارحا
يا عجبًا منك وأنت مبصرٌ
كيف تجتنبُ الطريقَ الواضحا
كيف تكون حين تقرأ في غدٍ
صحيفةً قد حوت الفضائحا
وكيف ترضى أن (تكون)[1] خاسرًا
يوم يفوزُ من يكون رابحا
فاعمل لميزانك خيرًا فعسى
يكون في يوم الحساب راجحا
فليس يغني عملٌ عن عاملٍ
في الحشر إلا أن يكون صالحا

عباد الله أين القلوب الحاضرة؟ أين البصائر الناظرة؟ إلى متى الفهوم قاصرة؟ إلى متى الصفقة خاسرة؟ إلى متى تنسى الآخرة؟. من لك إذا فات المقصود؟ من لك إذا نطقت الجلود؟ من لك إذا شاب المولود؟ من لك إذا غضب المعبود؟ من لك إذا بَعُد الناصر؟ من لك إذا أثقلت الأواصر؟ من لك إذا (ناقش)[2] المحاسب؟ من لك إذا فر المناسب؟ من لك إذا أوبقت المكاسب؟ من لك إذا تحسر النادم؟ من لك إذا تلَّهَف القادم؟ من لك إذا قل السالم؟ من لك إذا تعلق المظلوم بالظالم؟.

---

(١) في (ك): «ترضى».
(٢) في نسخة (ق): «ناض».

من لك إذا ذل المتجبر وهان؟ من لك إذا قوي الإذلال والامتهان؟ من لك إذا شهد عليك الجلد والأركان؟ من لك إذا عُدمت الاقتدار والإمكان؟ من لك إذا ندمت على كل قبيح سلف وكان؟ من لك إذا خرس اللسان؟ [من لك إذا تحير الإنسان؟][(١)] من لك إذا وضع الميزان؟ من لك إذا تكاثفت الأحزان؟ من لك إذا بدت النيران؟ من لك إذا قلق الحيران؟ من لك إذا زلت القدمان؟ من لك إذا عزَّ الأمان؟ من لك إذا جلَّ الخطب وطال الزمان؟ الملك يومئذ الحق للرحمن.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد وأصحابه، واغفر لنا ذنوبا جمعها التفريط، وأعذنا من أفات الزلل وفتون التخبيط، وانظر إلينا نظرة تعقبنا الهدى، وتجنبنا من طرق الردى، وسلمنا وجميع المسلمين من الزيغ أبدًا وآتنا في الدنيا حسنة، والآخرة حسنة، وقنا عذاب النار آمين واكتبنا من السالمين الآمنين، واجعلنا من حزبك المفلحين، واحشرنا في زمرة سيد المرسلين وتوفنا على سنته، وأدخلنا في زمرته، واجعل هذا البلد آمنًا وسائر بلاد المسلمين، واجعلنا في عامنا هذا من المقبولين وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) مثبت من (ق).

المجلس الثاني

النفيس المعلم المحترم في فضائل يوم عاشوراء المحرم

بلغنا الله في خير.

الحمد لله الذي طهر بتأديبه من أهل تقريبه نفوسًا، وسقى أرباب مصافاته من شراب مزاجاته كؤسًا، ومنع عظيم الطغيان عن أهل الإيمان فأصبح عنهم محبوسًا، وصرف عن عباده بلطفه وإسعاده أذى وبوسًا، وأذل بقهر رِقه من سائر خلقه أعناقًا وروؤسًا، وأعاد ذكر الأصنام بعز التوحيد والإسلام؛ مطموسًا، وجعل عدد السنين والحساب بجريان الشمس والقمر للحاسبين محروسًا وكرّم عشر المحرم وكلّم في عاشوراء نبيه موسى، أحمده على نعم لا تحصى عددًا وأشكره على أفضال تواليه مُددًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ادخرها عدة للنجاة غدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ خير من راح وأشرف من غدا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه[1] على موافقة الهدى وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأدخلنا في بركات من قَبِلت عمله، وبلغ كل مؤمل من الخير أمله، وألهمنا شكر إنعامك يا من منحه وخوَّله، وتقبل صالح أفعالنا يا

---

(١) كتب فوقها في «ق» حاشية: الذين كانوا في الهدى رؤسًا وجاهدوا في الله حق جهاده وأظهرو تقوى وناموسًا.

من الكل به وله، وانفعني بما أقول ومن حضر، وانظر إلينا يا خير من نظر، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

فقد رأيت من كلام العلماء -رضي الله عنهم أجمعين- ما يتعلق بفضائل يوم عاشوراء وصومه، وما يفعل فيه من الطاعات والأمور المفضلات، وما وقع للناس فيه من المشكلات، غير منحصر في كتاب مفرد فيما رأيت؛ فأحببت أن أجمع زبد كلامهم وقيِّمها في أوراق عليه مشتملة؛ ليكون أسهل على المتأمل له؛ من تطلبه من كتبه رجاء المنفعة به، وأعزو غالبًا كل نقل إلى من نقله، وأسأل الله تعالى التوفيق للسداد؛ إنه رءوف بالعباد ورتبت ذلك في سبعة فصول، والله يبلغ المأمول.

الفصل الأول: في معنى تسميته عاشوراء، والاختلاف في ذلك وجواز القصر والمد فيه.

الفصل الثاني: في اختلاف العلماء في عاشوراء في أي يوم هو؟ والتحقيق في ذلك.

الفصل الثالث: في فضائل صومه، والصلاة الواردة فيه وغير ذلك.

الفصل الرابع: في الإشكالات على أحاديث عاشوراء، وما يفعله الجاهلون فيه من المحرمات واستدلالهم بالأحاديث «الموضوعات» والمتروكات.

الفصل الخامس: في ذم الرافضة وكفرهم، وسوء عاقبة جرمهم.

الفصل السادس: فيما ورد من صيام الوحش والطير والهوام له، وما

ورد في ذلك.

الفصل السابع: في إنجاء الرب ﷻ فيه موسى بن عمران، وإغراق فرعون ومن معه من الأعوان، والله تعالى المرجو للعفو والغفران وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الأول

في معنى تسميته عاشوراء، والاختلاف في ذلك وجواز القصر والمد فيه.

قد ورد أن يوم عاشوراء كان يوم الزينة الذي كان فيه ميعاد موسى عليه السلام لفرعون قال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩]، وكان عيدًا لهم، وكان اليهود من أهل المدينة في عهد النبي ﷺ يتخذونه عيدًا، وكان أهل الجاهلية يقتدون بهم في ذلك، وكانوا يسترون فيه الكعبة كما سيأتي ذلك مبينًا في موضعه، وكانوا يلبسون فيه حليهم وشارتهم -والشارة بالشين المعجمة بلا همز؛ هي الهيئة الحسنة-، وهو اليوم الذي رست فيه سفينة نوح عليه السلام على الجوديِّ، وهو جبل بأرض الموصل، وكان ركوب نوح ومن معه لعشر خلون من رجب، ونزلوا لما رست بهم يوم عاشوراء من المحرم؛ فطافت السفينة بهم ستة أشهر الأرض كلها؛ ذكره النووي في كتاب «تهذيب الأسماء واللغات» في ترجمة نوح عليه السلام.

وقد صح عن أبي إسحاق عن الأسود بن زيد أنه قال: عن عبيد بن عمير أنه قال: المحرم شهر الله الأصم؛ فيه يوم تيب فيه على آدم، فإن استطعت أن لا يمر بك إلا صمته، [وروى أن قومًا أذنبوا فتابوا فيه؛ فتيب عليهم، وسيأتي ذكر ذلك في فضائله إن شاء الله][١] .

---

(١) مثبت من (ق).

وروي أنه اليوم الذي تيب فيه على قوم يونس ﷺ، وفيه هبط آدم إلى الأرض، كذا يروى عن قتادة وروى أبو موسى المديني رحمه الله من حديث أبي موسى مرفوعًا: **«هذا يوم تاب الله فيه على قوم؛ فاجعلوه صلاة وصومًا -يعني عاشوراء-»**(١) .

وأما الرواية به مقصورًا وممدودًا وكذلك تاسوعا؛ فقد حكى أبو عمرو الشيباني رحمه الله فيهما القصر، وحكى الشيخ محي الدين النووي في «(تحرير)(٢) التنبيه»؛ أنهما ممدودان، قال: وحكى القلعي قصرهما، وهو شاذ أوباطل انتهى.

وقال القاضي عياض رحمه الله في «المشارق»: عاشوراء اسم إسلامي لا يعرف في الجاهلية، قاله ابن دريد، قال: وليس في كلامهم فاعولاء وحكى ابن الإعرابي: أنه سمع خابوراء ولم يثبته ابن دريد وقال الجوهري: عاشوراء بالمد، وهو العاشر من المحرم انتهى.

قال القاضي شمس الدين بن مفلح في «الفروع»(٣): ويستحب صوم المحرم وأفضله عاشوراء وهو العاشر وفاقًا لأكثر العلماء ثم تاسوعاء وهو التاسع ممدودان، وحُكي قصرهما.

---

(١) عزاه ابن رجب في «لطائف المعارف» (١/ ٦٠) لأبي موسى المديني وقال: قال حسن غريب، وتعقبه في ذلك.

(٢) في (ق): «تحقيق».

(٣) «الفروع» (٥/ ٩٠).

الفصل الثاني

في اختلاف العلماء في عاشوراء أي يوم هو؟ والتحقيق في ذلك.

قال شيخنا الحافظ زين الدين ابن رجب رحمه الله في «لطائفه»: روي عن ابن عباس والضحاك أن يوم عاشوراء هو تاسع المحرم. قال ابن سيرين: كانوا لا يختلفون أنه اليوم العاشر إلا ابن عباس فإنه قال: إنه التاسع. وقال الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية الميموني: لا أدري هو التاسع أو العاشر، ولكن نصومهما. وممن رأى صيام التاسع والعاشر؛ الشافعي وأحمد وإسحق وكره أبو حنيفة إفراد العاشر وحده بالصوم وفي «صحيح مسلم»[1] عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يعد من هلال المحرم ثم يصبح يوم التاسع صائمًا، وابن أبي الزناد لا يعتمد على ما ينفرد به، قد جعل الحديث كله عن زيد بن ثابت، وآخره لا يصلح أن يكون من قول زيد؛ فلعله من قول من هو دونه والله أعلم. انتهى[2]

---

(١) انظر تخريجه في الهامش بعد التالي.

(٢) اختصر ابن الرسام كلام شيخه ابن رجب اختصارا يخل بالمعنى، وكلام ابن رجب في «لطائف المعارف» كما يلي: روى الطبراني من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقول الناس، إنما كان يوم تستر فيه الكعبة وتقلس -ومعناه تلعب- فيه الحبشة عند النبي ﷺ، وكان يدور في السنة، فكان الناس يأتون فلانا اليهودي يسألونه، فلما مات اليهودي أتوا زيد ابن ثابت فسألوه، وهذا فيه إشارة إلى أن عاشوراء ليس هو في المحرم؛ =

وفي «صحيح مسلم»[١] قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع بن الجراح، عن حاجب بن عمر عن الحكم بن الأعرج قال: انتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له: أخبرني عن صيام عاشوراء؟ فقال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائمًا، قلت: هكذا كان محمد يصومه؟ قال: نعم.

قال النووي في الشرح[٢]: هذا [تصريح][٣] من ابن عباس أن مذهبه أن يوم عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم، ويتأوله على أنه مأخوذ (إظماء)[٤] الإبل؛ فإن العرب تسمى اليوم الخامس من أيام الورد رابعًا، وكذا باقي الأيام على هذه النسبة فيكون التاسع عشرًا، وذهبت جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن يوم عاشوراء هو اليوم العشر من المحرم، وممن قال ذلك؛ سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك وأحمد وإسحاق وخلائق، وهذا هو ظاهر الأحاديث بمقتضى اللفظ.

وأما تقدير أخذه من الإظماء فبعيد ثم إن حديث ابن عباس الثاني يعني الذي رواه عن النبي ﷺ أنه قال: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله**

= بل يحسب بحساب السنة الشمسية كحساب أهل الكتاب، وهذا خلاف ما عليه عمل المسلمين قديما وحديثا، ثم ذكر ابن رجب حديث ابن عباس الذي عند مسلم كما ذكر المصنف.

(١) مسلم (١١٣٣).

(٢) شرح النووي على «صحيح مسلم» (٨/ ١٢).

(٣) سقط من النسختين، والمثبت من شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢).

(٤) في النسختين (إضماد)، والتصحيح من شرح النووي على مسلم.

صمنا التاسع»[1] وهذا يرد عليه لأنه قال: أن النبي ﷺ كان يصوم عاشوراء فذكروا أن اليهود والنصارى -عليهم اللعنة- تصومه، وهذا تصريح بأن الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعيَّن كونه العاشر.

وقال: اتفق العلماء على أن صوم عاشوراء اليوم سُنة وليس بواجب، واختلفوا في حكمه في أول الإسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان، قال أبو حنيفة: كان واجبًا. واختلف أصحاب الشافعي فيه على وجهين مشهورين؛ أشهرهما عنده أنه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبًا قط في هذه الأمة، ولكنه كان متأكد الاستحباب.

والثاني: كان واجبًا كقول أبي حنيفة، وتظهر فائدة الحديث في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل؛ فأبو حنيفة لا يشترطها، ويقول: كان الناس مفطرين أول يوم عاشوراء ثم أمروا بصيامه بنية من النهار، ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه.

وأصحاب الشافعي يقولون: كان مستحبًا فصح صومه بنية من النهار، ويتمسك أبو حنيفة بقوله أمر بصيامه، والأمر للوجوب، وبقوله: فلما فرض رمضان قال: من شاء صامه ومن شاء تركه. وتحتج الشافعية بقوله: هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله علينا صيامه. مختصر من كلامه.

وقال شيخنا شمس الدين المنبجي الحنبلي الصالحي رحمه الله: وذهب إلى أن التاسع من المحرم هو عاشوراء ابن عباس، وذكر هذا القول الشافعي وقال: هذا القول أولى من غيره وضعًا في لغة العرب، وقد احتج

---

(١) مسلم (١١٣٤).

بعضهم بأن ذلك مأخوذ من قول العرب، وردت الإبل عشرًا وتسعًا وخمسًا يقول: وردت عشرًا إذا أوردت اليوم التاسع، والعِشر بالكسر ما بين الموردين، وهو ثمانية أيام فهو يوم ورودها عشرًا، ونقل عن عائشة رضي الله عنها أنه التاسع منه انتهى.

وقال سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني: قال أكثرهم: هو يوم العاشر من المحرم وهو الصحيح، وقال بعضهم: هو الحادي عشر وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن طائفة من العلماء أنهم قالوا: لم يرد ابن عباس أن يوم عاشوراء هو اليوم التاسع؛ فإن هذا خلاف اللغة المنقولة بالتواتر، وإنما أراد أن الصوم المشروع صوم التاسع؛ لأجل مخالفة اليهود، وقال أكثرهم: المراد بذلك أنه يصوم التاسع والعاشر كما جاء مفسرًا؛ خالفوا اليهود وصوموا قبله يومًا وبعده يومًا.

ورواه البيهقي[1]: **«صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود»**. ونص الإمام أحمد على استحباب صومهما، وعلى أنه إذا اشتبه أول الشهر صام ثلاثة أيام فقد صرح في مسألة بصوم ثلاثة أيام من غير اشتباه صوموا يومًا قبله ويوم بعده؛ فحينئذ الاختيار صوم التاسع والعاشر والحادي عشر؛ لمن طلب الفضل والله الموفق.

وقال شيخنا في «لطائفه»: ويروى عن ابن عباس أنه صام التاسع والعاشر، وعلل ذلك بخشية فوات عاشوراء، وروى ابن أبي ذؤيب عن شعبة مولى ابن عباس أنه كان يصوم عاشوراء في السفر يوالي بين

---

(١) رواه عبد الرزاق (٧٨٣٩)، ومن طريقه البيهقي (٨١٨٧).

اليومين خشية فواته، وكذلك رُوى عن أبي إسحاق أنه صام يوم عاشوراء ويومًا قبله ويومًا بعده، وقال: إنما فعلت ذلك خشية أن يفوتني.

وروى عن ابن سيرين؛ أنه كان يصوم ثلاثة أيام عند الاختلاف في الشهر احتياطًا، وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، وصوموا يومًا قبله ويومًا بعده»** ورواه البيهقي(١)، وسيأتي الكلام على هذا بعد إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه البيهقي (٨١٨٩)، وهو عند أحمد (٢١٥٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٥٢٣٨) قال الهيثمي (٥١٣٤): فيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام.ا هـ، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف

الفصل الثالث

في فضائل يوم عاشوراء وصومه، والصلاة الواردة فيه وغير ذلك.

ثبت في «الصحيحين»[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: ما رأيت رسول الله ﷺ صام يومًا يتحرى فضله على الأيام إلا هذا اليوم -يعني يوم عاشوراء- وهذا الشهر -يعني رمضان-؛ فيوم عاشوراء له فضيلة عظيمة وحرمة قديمة وصومه لفضله كان معروفًا بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وقد صامه نوح عليه السلام وكذلك موسى عليه السلام.

وروى إبراهيم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صوم عاشوراء كانت تصومه الأنبياء فصوموه أنتم» خرَّجه بقي بن مخلد[٢]، وقد تقدم أن أهل الكتاب كانوا يصومونه، وكذلك قريش في الجاهلية كانت تصومه، وقال دلهم بن صالح: قلت لعكرمة عاشوراء ما أمره؟ قال: أذنبت قريش في الجاهلية ذنبًا؛ فتعاظم في صدورهم فسألوا ما توبتهم؟ قيل: صوموا يوم عاشوراء.

وله ﷺ أربعة أحوال:

الحالة الأولى: أنه كان يصومه بمكة. فلما قدم المدينة صامه وأمر

---

(١) البخاري (١٩٠٢) ومسلم (١١٣٢).

(٢) مسند بقي بن مخلد مفقود، والحديث رواه ابن أبي شيبة (٩٣٥٥) من طريق الهجري به، والهجري ضعيف.

بصيامه، فلما نزلت فريضة شهر رمضان، كان رمضان هو الفريضة الذي يصومه، وترك صوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء أفطره(١)، وفي رواية للبخاري(٢) قال رسول الله ﷺ: **«من شاء فليصم، ومن شاء أفطر»**.

الحالة الثانية: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة رأى صيام أهل الكتاب له وتعظيمهم له، وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر بخلافه، فصامه وأمر الناس بصيامه، وأكد الأمر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يُصوّمونه أطفالهم.

وثبت في «الصحيحين»(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة؛ فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ﷺ: **«فنحن أولى بموسى منكم»** فصامه، وأمر بصيامه.

وفي «مسند الإمام أحمد»(٤) عن أبي هريرة قال: مر النبي ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا عاشوراء، فقال: **«ما هذا الصوم؟»** قالوا: هذا الذي نجا الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي؛ فصامه نوح [وموسى](٥) -صلوات الله وسلامه عليهما- شكرًا لله تعالى، فقال النبي ﷺ: **«أنا**

---

(١) من حديث عائشة رواه الترمذي (٧٥٣) وقال: حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري (١٧٩٤)، ومسلم (١١٢٥).

(٣) رواه البخاري (٣٢١٦)، ومسلم (١١٣٠).

(٤) أحمد (٨٧٠٢) قال الهيثمي (٥١٠٥): فيه حبيب بن عبد الله الأزدي؛لم يرو عنه غير ابنه.أ هـ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٥) مثبت من (ق).

أحق بموسى منكم، وأحق بصوم هذا اليوم» فأمر أصحابه بالصوم.

وفي «الصحيحين»(١) عن سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ أمر رجلاً من أسلم أن أذن في الناس: «من أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء»، وفيهما(٢) أيضًا عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه»، فكنا بعد ذلك نصومه ونُصوِّمه صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد؛ فنجعل لهم اللعبة من العهن(٣) فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها حتى يكون عند الإفطار. وفي رواية: فإذا سألوا الطعام أعطيناهم اللعبة نلهيهم حتى يتموا صومهم.

وفي رواية الطبراني(٤) بإسناد فيه جهالة أن النبي ﷺ كان يدعوا يوم عاشوراء برضعانه ورضعان ابنته فاطمة فيتفل في أفواههم ويقول لأمهاتهم: «لا تُرضعونهم إلى الليل» وكان ريقه ﷺ يجزيهم.

وفي «صحيح مسلم»(٥) عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٣)، ومسلم (١١٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٨٥٩)، ومسلم (١١٣٦).

(٣) العهن: الصوف.

(٤) رواه أبو يعلى (٧١٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٧٧/ ٧٠٤)، و«الأوسط» (٢٥٦٨) كلهم من طريق عليلة عن أمها قالت: قلت لأمة الله بنت رزينة فذكروا الحديث. قال الهيثمي (٥١١٨): عليلة ومن فوقها لم أجد من ترجمهن، وسمى الطبراني فقال: عليلة بنت الكميت عن أمها أمينة.

(٥) رواه مسلم (١١٢٨).

يأمر بصيام عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده فلما فُرض رمضان لم يأمرنا ولم يتعاهدنا عنده. وفي «صحيح مسلم»[١] أيضًا عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: **«يكفر السنة الماضية»**. وعن أبي قتادة أيضًا يبلغ به النبي ﷺ قال: **«صوم يوم عرفة؛ كفارة سنة والتي تليها، وصيام يوم عاشوراء كفارة سنة»**[٢]، وفي لفظ آخر من حديث أبي قتادة مرفوعًا: **«إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»**[٣] وفي لفظٍ: **«صيام يوم عاشوراء؛ يعدل صيام سنة، وهو صيام يوم الصبر»**.

الحالة الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان ترك النبي ﷺ أمر أصحابه بصيام عاشوراء. وفي «الصحيحين»[٤] عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«هذا يوم عاشوراء؛ لم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم؛ فمن شاء فليصم، ومن شاء فليفطر»**، وفي رواية لمسلم[٥] التصريح برفع آخره، وفي رواية للنسائي[٦] أن آخره مدرج من قول معاوية، وليس بمرفوع. وخرّج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة[٧]

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢).

(٢) رواه مسلم (١١٦٢).

(٣) رواه مسلم (١١٦٢).

(٤) البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١١٢٩).

(٥) مسلم (١١٢٩).

(٦) النسائي في «الكبرى» (٢٨٥٧).

(٧) أحمد (٢٣٨٩١) والنسائي (٢٥٠٦) واقتصر ابن ماجة (١٨٢٨) على جزء منه. =

من حديث قيس بن سعد قال: أمرنا رسول الله ﷺ بصيام عاشوراء قبل أن ينزل رمضان؛ فلما نزل رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا. وفي رواية: ونحن نفعله.

وهذه الأحاديث كلها؛ تدل على أن النبي ﷺ لم يجدد أمر الناس بصيامه بعد فرض صيام شهر رمضان؛ بل تركهم على ما كانوا عليه من غير نهي عن صيامه، [فإذا كان أمره ﷺ بصيامه](١) قبل فرض صيام شهر رمضان للوجوب؛ فإنه ينبني على أن الوجوب إذا نُسخ يبقى الاستحباب [أم لا؟ وفيه اختلاف مشهور بين العلماء، وإن كان أمره للاستحباب فقد قيل: أنه زال التأكيد، وبقي أصل الاستحباب](٢)، ولهذا قال قيس ابن سعد: ونحن نفعله.

وقد رُوي عن ابن مسعود وابن عمر على أن أصل استحبابه زال، وقال سعيد بن المسيب: لم يصم رسول الله ﷺ عاشوراء، حكاه شيخنا في «اللطائف»، ورُوي عن سعد بن أبي وقاص والمرسل أصح، قاله الدارقطني. وأكثر العلماء على استحباب صيامه من غير تأكيد، وممن روى عنه صيامه من الصحابة عمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبو موسى، وقيس بن سعد، وابن عباس وغيرهم.

= قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢٧٦): إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح إلا أبا عمار الراوي له عن قيس بن سعد، واسمه عريب بالمهملة المفتوحة ابن حميد؛ وثقه أحمد وابن معين. أ هـ، والحديث عند مسلم (١١٢٨) عن جابر بن سمرة.

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

ويدل على بقاء استحبابه قول ابن عباس: لم أر رسول الله ﷺ يصوم يومًا يتحرى فضله على الأيام إلا يوم عاشوراء، وشهر رمضان(١)، وابن عباس إنما صحب النبي ﷺ بآخرة وإنما عقل منه ﷺ ما كان في آخر أمره. وخرج الإمام أحمد والنسائي(٢) من حديث حفصة بنت عمر أمير المؤمنين: أن النبي ﷺ لم يكن يدع صيام يوم عاشوراء، والعشر وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وخرجه أبو داود(٣) إلا أن عنده عن بعض أزواج النبي ﷺ غير مسماة.

الحالة الرابعة: أن النبي ﷺ عزم في آخر عمره على أن لا يصومه مفردًا؛ بل يضم إليه يومًا آخر مخالفةً لأهل الكتاب في صيامه، وخرجه الطبراني(٤) ولفظه: «**إن عشت إن شاء الله تعالى إلى قابل صمت التاسع؛ مخافة أن يفوتني عاشوراء**». وفي «مسند الإمام أحمد» عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**صوموا عاشوراء، وخالفوا اليهود، وصوموا يومًا**

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم «الكبير» (١١/ ١٢٨)، و«الأوسط» (٢٧٢٠) قال الهيثمي (٥١٢٢): محمد بن عبد الرحمن بن بكر العلاف؛لم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات.أ هـ.

قلت: محمد بن عبد الرحمن العلاف؛ ذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ٩٨).

(٢) أحمد (٢٦٥٠٢)، والنسائي (٢٤١٦).قال شعيب الأرنؤوط: حديث ضعيف دون قوله: والركعتين قبل الغداة فصحيح. والحديث ضعفه الزيلعي في «نصب الراية» (٢/ ١٠٣).

(٣) أبو داود (٢٤٣٧).

(٤) من حديث ابن عباس رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣٣٠/ ١٠٨١٧).

قبله ويومًا بعده»[١] وجاء في رواية: «**أو بعده**» فإما أن يكون للتخيير أو يكون شكًا من الراوي هل قال قبله أو بعده.

ورُوي هذا الحديث بلفظ آخر وهو «**لئن بقيت لأمرن بصيامه، ويومًا قبله، ويومًا بعده**»[٢]، وفي رواية أخرى «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن، ولأمرن بصيام يوم قبله ويوم بعده**» يعني عاشوراء، أخرجهما الحافظ أبو موسى المديني، وقد صح هذا عن ابن عباس من قوله من رواية ابن جريج قال: أخبرني عطاء أنه سمع ابن عباس يقول في يوم عاشوراء: خالفوا اليهود وصوموا التاسع والعاشر، قال الإمام أحمد: أنا أذهب إليه وقد تقدم ذلك.

عباد الله إن يوم عاشوراء قد حوى فضائل جمة، وجمع خيرًا كثيرًا وضمّه؛ فيه يتوفر الغفران والرحمة، ويتزايد الإفضال والنعمة، وتُكشف طوارق الآفات المُلِمة، ويكثر ثواب صائميه من هذه الأمة، ويعود الكريم بفضله على من قصده وأمَّه.

[لماذا سمي عاشوراء بهذا الاسم؟]

وقال الشيخ عبد القادر ﷺ: قال بعضهم إنما سمي عاشوراء لأنه عاشرُ يومٍ من أيام المحرم، وقال بعضهم: إنما سمي عاشوراء؛ لأنه

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٤) قال الهيثمي (٥١٣٤): فيه محمد بن أبي ليلى؛ فيه كلام. والحديث ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٥٠٦).

(٢) هذا الحديث والذي بعده ذكرهما ابن رجب الحنبلي في «اللطائف» (١/ ٥٣) وعزاهما لأبي موسى المديني.

عاشرُ كرامة أكرم الله بها هذه الأمة:

أولها: رجب وهو شهر الله الأصم، وإنما جعله كرامة لهذه الأمة، وفضله على سائر الشهور كفضل هذه الأمة على سائر الأمم.

الكرامة الثانية: شهر شعبان، وفضله على سائر الشهور كفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء.

والكرامة الثالثة: شهر رمضان، وفضله على سائر الشهور كفضل الله على خلقه.

والرابعة: ليلة القدر وهي خير من ألف شهر.

والخامسة: يوم الفطر وهو يوم الجزاء.

والسادسة: أيام العشر وهي أيام ذكر الله ﷻ.

والسابعة: يوم عرفة وصومه كفارة سنتين.

والثامنة: يوم النحر وهو يوم القربان.

والتاسعة: يوم الجمعة وهو سيد الأيام.

والعاشرة: يوم عاشوراء، وصومه كفارة سنة فكل وقت من هذه الأوقات جعله الله كرامة لهذه الأمة تكفيرًا لذنوبهم وتطهيرًا لخطاياهم.

وقال [بعضهم](١): إنما سمي عاشوراء؛ لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء بعشر كرامات:

---

(١) مثبت من (ق).

أحدها: أن الله ﷻ تاب على آدم ﵇ فيه.

ثانيها: رفع الله ﷻ إدريس النبي ﷺ مكانًا عليًا فيه.

ثالثها: استوت سفينة نوح ﵇ على الجودي فيه.

رابعها: ولد إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فيه، واتخذه الله خليلاً، وأنجاه الله تعالى من نار نمروذ فيه.

خامسها: تاب الله ﷻ على داود ﵇ فيه، وردَّ المُلك على سليمان فيه.

سادسها: كشف الله ضر أيوب ﵇ فيه.

سابعها: أنجى الله ﷻ موسى ﵇ من البحر، وأغرق فرعون في البحر فيه.

ثامنها: أخرج الله ﷻ يونس ﵇ من بطن الحوت فيه.

تاسعها: رفع الله ﷻ عيسى ﵇ إلى السماء فيه.

عاشرها: ولد نبينا محمد ﷺ فيه [كذا قال بعضهم](١).

وأما الصلاة الواردة في يوم عاشوراء فقد ذكرها الشيخ عبد القادر أيضًا في كتاب «الغُنية» عن ابن عباس في حديث طويل قال فيه: **«ومن صلى أربع ركعات في يوم عاشوراء؛ يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، **غفر الله له ذنوب خمسين عامًا ماضيًا وخمسين عامًا مستقبلاً وبنى الله له في الملأ الأعلى ألف منبر من نور»**، قال: وقد ورد في حديث آخر أربع ركعاب

---

(١) مثبت من «ق».

بتسليمتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدةً و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، مرة و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] مرة، ويصلي على النبي ﷺ سبعين مرة إذا فرغ منها، قال: وروي ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه انتهى.

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «النور»: ويستحب إحياء ليلة عاشوراء في حديث: «**من أحيا ليلة عاشوراء فكأنّما عبد الله تعالى بعبادة ملائكته المقربين**»(١). وقد روى ابن شاهين بإسناده عن أبي عبد الرحمن السُلمي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحيا أربع ليالٍ أحياه الله تعالى ما شاء؛ ليلتي العيدين وليلة عاشوراء، وليلة النصف من شعبان**»(٢). وقد روى تفضيل سائر هذا العشر، وكان السلف يعظمونه ويعظمون عشر الأضحى والأخير من رمضان.

فصل في مقتل الحسين رضي الله عنه(٣)

قال سيدي الشيخ عبد القادر قدس الله سره: ويذكر من فضائل

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٠٠) قال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٩٣): رجاله ثقات، والظاهر أن بعض المتأخرين وضعه، وركبه على هذا الإسناد.

(٢) رواه ابن أبي الصقر في «مشيخته» (٥٣) وقال محققه الشيخ حاتم العوني: إسناد مظلم. أ هـ، وروى ابن ماجة (١٧٨٢) من حديث أبي أمامة في فضل قيام ليلتي العيد قال البوصيري: ضعيف؛ لتدليس بقية.

(٣) لا أدري ما وجه ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه في كتب الآداب مع أن ذلك وقع وفاقا لا اتفاقا، وما الفائدة الإيمانية من تذكر المآسي التي وقعت له ولآله عند موته؟.

عاشوراء أن الحسين بن علي رضي الله عنهما قتل فيه، رُوي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ في منزلي إذ دخل عليه الحسين فطالعتُهما من الباب -يعني نظرت إليهما- وإذا الحسين على صدر النبي ﷺ يلعب، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة طين ودموعه تجري، فلما خرج الحسين دخلت فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله طالعتك وفي يدك طينة وأنت تبكي، فقال: **«لما فرحت به وهو على صدري يلعب؛ أتاني جبريل وناولني الطينة التي يقتل عليها فلذلك بكيت»**(١).

وروي عن حمزة الزيات قال: رأيت النبي ﷺ وإبراهيم الخليل في المنام؛ يصليان على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم أصيب. قال: وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن أبي أسامة عن جعفر بن محمد قال: هبط على قبر الحسين بن علي يوم أصيب؛ سبعون ألف ملك يبكون عليه إلى يوم القيامة انتهى. وقال ابن الجوزي في «التبصرة» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**(٢) قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

ويح قاتل الحسين كيف حاله مع أبويه وجده، وأنشدوا:

لا بـد أن تـرد الـقـيـامـة فـاطـمُ
وقـمـيـصـهـا بـدم الـحـسـيـن مـلـطـخُ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (١/ ٢٥١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (٢/ ٧) والحديث عند الترمذي (٣٧٨١) وقال -في النسخة التي اعتمدنا عليها-: حسن غريب.

ويـل لـمـن شـفـعـاؤه خـصـمـاؤهُ
والـصـور فـي يـوم الـقـيـامـة يـنـفـخُ

فسبحان من رفع للحسين بقتله مكانًا، (ودمغ)[١] من عاداه فعاد بعد العز مهانًا. ما ضره حنين الشهادة من أوسعه خذلانًا، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

هلك أهل الزيغ والعناد وكأنهم ما ملكوا البلاد، وعاد عليهم اللعن كما عاد على عاد، [أين يزيد][٢] بن زياد؛ كأنهما ما كانا لا كانا، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ فقد مُتعوا أيامًا يسيرة، ثم عادت أجنحة الملك كسيرة، وبقيت سيرة الحسين أحسن سيرة، ومن عزت عاقبته والسريرة، فكأن لم يلق هوانًا، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

مزقوا والله كل ممزق، وتفرقوا بالشتات أي متفرق، وظنوا رَفوا ما جنوا فتخرق، إن ناصر المظلوم لا يتوانى، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، تعززوا على مثل الحسين وطالوا، وظنوا بقاء الملك لهم بما احتالوا، وكيل لهم من الدم أضعاف ما كالوا، وعجل قلعهم من السلطنة فزالوا سلطانًا سلطانًا، ويلهم لو دبروا أمرهم لرفعوا بطاعة الحسين (قدرهم)[٣]، ملكوا أيامًا ثم بقي الخزي دهرهم؛ اشتغلوا اليوم

(١) في (ك): «ووقع».
(٢) سقط من (ك).
(٣) في (ك): «قتلهم».

بتسبيحكم، ودعوا ذكرهم إهوانًا.

إخواني من قبح على يوسف، بأي وجه يلقى يعقوب. لما أُسِرَ العباس ﵁ يوم بدر سمع رسول الله ﷺ أنينه فما نام، فكيف لو سمع أنين الحسين انتهى. وذكر في كتاب «النور» أنه روى عن علي ﵁ أنه قال: من قرأ يوم عاشوراء ألف مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، نظر الرحمن إليه، ومن نظر الرحمن إليه لم يعذبه أبدًا.

فيا أيها العبد بادر أيام شبابك قبل فراق أحبابك، واحفظ أيام عمرك قبل حلول قبرك، واغتنم أحيان حياتك قبل موافاة وفاتك؛ فإنما العمر بالسنين ينتهب، والأجل بمرور الليل والنهار يذهب، أين من أمَّل أن يرى هذا العام ويشاهد هذه الأيام، ذهب والله مسرعًا إلى الفنا، واستُلب عنه ما ادَّخر واقتنى.

نودي مطمئن القوم فأسرع وما ونى؛ رموا (سهام قدر)[١] (ما عرَّج)[٢] ولا انثنى، وأصبح عاصيهم في لحده أسير الضنا، وبقي مجترمهم في قبره رهين ما جنى، وهذا أمر يبعده الأمل عنك، وقد والله إليك دنا؛ فإلى متى أيها الغافل تشتغل بفنون تعليلك وتنسى نقلتك (ودُنو)[٣] تحويلك، وما الأيام إلا مطايا لتسرع بك إلى مقيلك؛ فبادر عمرك فإنه ينتهب في بكورك وأصيلك، وكأنك بالموت قد استلبك من أخيك

(١) في (ك) «بسهام غدر».
(٢) مثبت من (ق).
(٣) في (ك): «وسرعة».

وخليلك. شعر

كـأنـك بـالـمـضـي إلـى سـبـيـلـك
وقـد جـدَّ الـمُـجـهـز فـي رحـيـلـك
وجـيء بـغـاسـلٍ فـاسـتـعـجـلـوه
بـقـولـهـم لـه افـرُغ مـن خـلـيـلـك(١)
ولـم تُـحـمـل سـوى خِـرقٍ وقـطـنٍ
إلـيـهـم مـن كـثـيـرِك أو قـلـيـلِـك
(وقـد مـد)(٢) الـرجـال إلـيـك نـعـشًـا
فـأنـت عـلـيـه مـمـدودٌ بـطـولـك
فـلـمـا أسـلـموكَ نـزلـت قـبـرًا
ومـن لـك بـالـسـلامـة فـي نُـزولـك
فـسـوف تـجـاورُ الـمـوتـى طـويـلاً
فـدعـنـي مـن طـويـلـك أو قـصـيـرك
أخي إنـي نـصـحْـتُـك فـاسْـتـمـع لـي
وبـالله اسـتـعـنـت عـلـى قـبـولـك
ألـسـت تـرى الـمـنـايـا كـلَّ يـومٍ
تُـصـيـبـك فـي أخـيـك وفـي خـلـيـلـك

يا عجبًا لمن يعلم أن الموت الناقل، وهو عن طلب ما ينفعه

---

(١) كذا في النسختين والذي في المصادر مثل «التبصرة» (٢/ ٨٨) و«المدهش» (١/ ٥٠٦) لابن الجوزي «غسيلك».

(٢) تحرفت في (ك): إلى «وقدموا» والمثبت هو الموافق لما في المصادر وانظر «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٨٨).

(متشاغل)[١] يبني القصور ويشيد المعاقل، ويعتقد مع طمأنينته أنه عاقل.

عباد الله وفقنا الله وإياكم أجمعين؛ انظروا بعين البصيرة من الذي طلبه الموت ففاته وأعجزه، ومن الذي تحصن في قصره المشيد بأبواب الحديد، وما أبرزه، ومن الذي سعى فيما يهواه وما أعدمه منا وما أعوزه، ومن الذي أنس بطول أمله، وما صده قصر أجله وحجزه. أيُّ عيش صفا فما كدره؛ أي قدم سعى وما عثره؟ أي حال قارب التمام فما غيَّره؟، أي غصن استوى واستقام وما كسَّره.

أما أخذ الآباء والأجداد؟ أما نقل إلى القبور والألحاد؟ أما حال بين المريد وبين المراد؟ أما سلب الحبيب وقطع الوداد؟ أما أرْمل النساء وأيتم الأولاد؟، أما أفنى الملوك وأهلك قوم عاد؟ أما نقل حبيبك وكان قد عاد؟ أما أذل من ساعدته الدنيا فساد؟ احذر أن يأخذك على فساد.

يا من ضيع أوقات صحته وإمكانه؛ أما رأيت منزلاً خلا من سكانه؟ أما شاهدت عزيزًا ذل بهوانه؟ أما عاينت رئيسا أبرز عن قصره وديوانه؟ أما الموت إلى قرنائك قصد؟ أما بالغ في سلب أحبابك وما اقتصد؟ أما (أهمل)[٢] أهل الغفلة والفساد ورصد؟ أما أقبل إلى رائق زرع الأجساد فحصد؟.

---

(١) في (ك): «متثاقل».

(٢) كذا في النسختين ولعل الصواب «أمهل».

أين من كان قبلك في المنازل الوسيعة؟ أُخذ والله بالحتوف السريعة، وأدركتهم آفات بأصعب وجيعة[(١)]، وغيرهم زخرف الدنيا كسراب بقيعة. نقلوا والله إلى منزل غير مسكون، وتبدلوا بعد الحركات الهمود والسكون، وتساوى تحت الثرى الملوك والعبيد، وتفرق في أبنيتهم البلى المبيد، وما نفعهم إذ سال الصديد؛ البكاء والتعديد.

فالأعناق بعد استقامتها قد أضحت مائلة، (والعيون)[(٢)] على الخدود في الأخدود سائلة، والحشرات في المبان الرائقات جائلة، ومناظرهم لناظرهم بعد نضارتها [هائلة][(٣)]. رماهم الموت بسهامه فأصمى[(٤)] وأكسبهم اللهو والهوى شينًا ووصما. فيا من سيصير عن قريب إلى المقابر، ويستنزله الموت عن أعالي المنابر، إلى متى على الفاني تحرص وتثابر، كأني بك قد أُزعجت وأُخرجت من قصرك العامر.

قال بعض السلف: من صام يوم الزينة -يعني يوم عاشوراء- أدرك ما فاته من صيام السنة[(٥)]، ومن تصدق يومئذ أدرك ما فاته من صدقة السنة.

وعن وهب بن منبه قال: أمر الله موسى عليه السلام أن مُر قومك أن يتقربوا إليَّ في أول شهر المحرم؛ فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إليّ أغفر لهم، وقد تقدم ذكر ذلك عنه، وما ذكره صاحب كتاب الوظائف بإسناده عن

---

(١) كتب فوقها في (ق): خ «وقيعة». أي في نسخة أخرى.

(٢) في (ك): «والحدقتان».

(٣) مثبت من (ق).

(٤) أصمى: قتل. انظر «المصباح المنير» (١/ ٣٨٤).

(٥) ورد مرفوعا عن ابن عمر عند الديلمي كما في «كنز العمال» (٢٤٢٥٥).

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صام تسعة أيام من أول المحرم؛ بنى الله له قبة في الهواء ميلاً في ميل لها أربعة أبواب»**(١) والميل قيل: المراد به اثنا عشر ألف قدم.

قال شيخنا زين الدين ابن رجب في «لطائفه»: وذكر عبد الوهاب الخفاف في «كتاب الصيام»، قال سعيد: قال قتادة: كان يقال صوم عاشوراء كفارة لما ضيع الرجل من زكاة ماله. وأما التوسعة فيه على العيال فقال حرب: سألت أحمد عن الحديث الذي جاء: **«من وسع على أهله يوم عاشوراء، وسع الله عليه سائر السنة»**(٢)؛ فقال: نعم، رواه سفيان بن عيينة، عن جعفر الأحمر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر- وكان من أفضل أهل زمانه- أنه بلغه من وسع على عياله يوم عاشوراء؛ وسع الله عليه سائر سنته.

قال ابن عيينة: جربناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا إلا خيرًا وقول حرب: أن أحمد لم يره شيئًا؛ إنما أراد به الحديث الذي يروى مرفوعًا إلى النبي ﷺ؛ فإنه لا يصح إسناده. وقد روى من وجوه متعددة لا يصح منها شيء وممن قال ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم،

---

(١) تقدم تخريجه في ص ٤٥ .

(٢) ورد من حديث جابر وابن مسعود وأبي سعيد فأما حديث جابر رواه البيهقي في «الشُعب» (٣٧٩١) وقال: هذا إسناد ضعيف. وأما حديث ابن مسعود رواه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٥١٣٧) وقال: فيه الهيصم بن الشداخ؛ ضعيف جدا. وأما حديث أبي سعيد رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٣٠٢) قال الهيثمي (٥١٣٦): فيه محمد بن إسماعيل الجعفري؛ قال أبو حاتم: منكر الحديث.

وقال العقيلي[1]: هو غير محفوظ، وقد روي عن عمر من قوله، وفي إسناده مجهول لا يعرف.

فصل في سلف الأعمال الصالحة والتجارة الرابحة

العاملون اليوم يسلفون رؤوس الأموال؛ فيما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأَعينُ، إلى أجل يوم المزيد في سوق الجنة؛ فإذا حل الأجل دخلوا السوق فحملوا منه ما شاؤا بغير مكيال ولا ميزان؛ فيا من عزم أن يُسلف اليوم إلى ذلك اليوم؛ عجل بقبض رأس المال؛ فإن تأخير القبض في السلف يفسد العقد، واعلم أن تجار الآخرة اليوم يأتون سوق الجنة غدًا فيأخذون منه ما أرادوا بغير ثمن؛ لأنهم أسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا؛ فيوفيهم الله تعالى في الأخرى، وكما قال (العلامة ابن القيم رحمه الله في النونية له)[2]:

فيقول جل جلاله قوموا إلى ما قد
دخـرت لـكـم مـن الإحـسـان
يـأتـون سـوقًـا لا يـبـاع ويـشـتـرى
فـيـه فـخـذ مـنـه بـلا أثـمـان
قد أسلف التجار أثمان المبيع
بـعـقـدهـم فـي بـيـعـة الـرضـوان
لله قـوم قـد أقـامـتـه الـمـلائـكـة
الـكـرام بـكـل مـا إحـسـان

---

(١) «الضعفاء» (٤/ ٦٥).

(٢) في (ق): «بعضهم شعر».

فيه الذي والله ما لا عين رأت
كلا ولا سمعت به أذنان
كلا ولم يخطر على قلب امرئ
فيكون عنه معبرًا بلسان
فيرى امرئ من فوقه في هيئة
فيروعه ما تنظر العينان
فإذا عليه مثلها إذ ليس
يلحق أهلها شيء من الأحزان

وقال أيضًا (في الإشارة)[1] إلى ذلك السوق في كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» شعرًا

وحي على السوق الذي فيه يلتقي
المحبون ذاك السوق للقوم معلم
فالله ذاك السوق إذ هو موعد
المزيد لوفد الحب لو كنت منهم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له
وقد أسلفوا التجار فيه وأسلموا

حكاية: رأى بعض الصالحين في منامه قائلاً يقول له: قد أمرنا بالفراغ من بناء دارك، واسمها دار السرور فأبشر، وقد أمرنا بتجهيزها وتزيينها والفراغ منها إلى سبعة أيام؛ فلما كان بعد سبعة أيام مات فرؤى في المنام وسئل عن حاله فقال: أدخلت دار السرور وأنا في سرور وبيت مفرد فلا تسأل عن الكريم؛ فليس مثله إذا حل به مطيع.

(١) في (ق): «تعبيرا».

ورُؤي بعضهم في المنام؛ فسئل عن حاله فقال: غفر لي بصيام عاشوراء ستين سنة كذا ذكره في «اللطائف»، ورأي بعضهم في المنام كأنه أدخل الجنة وعرض عليه منازله وأزواجه؛ فلما أراد أن يخرج تعلق به أزواجه وقلن له: بالله أحسن عملك فكلما حسنت عملك ازددنا حُسنًا.

أرض الجنة اليوم قيعان والأعمال الصالحة لها عمران؛ بها تُبني القصور وتغرس الجنان؛ فإذا تكامل الغِراس والبنيان انتقل إليه السكان. قال بعض السلف: بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر؛ فإذا أُمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقال لهم فيقولون: حتى تأتينا نفقة، ذكره ابن أبي الدنيا عن حكيم بن محمد الأخنسي.

وذكر ابن أبي الدنيا أيضًا من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سبع مرات؛ بُني له بُرج في الجنة»**[(١)] وكما أن بناءها بالذكر فغِراس بساتينها أيضًا بالذكر كما في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل ﵇ أنه قال له ليلة الإسراء: **«اقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وإنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»**[(٢)]، وقد ذكرت هذا المعنى بزيادة في فوائد الذكر في كتاب «معادن الجواهر في فضل الذكر والذاكر»؛ فمن طلب الزيادة نظر هناك.

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٧٥٠) وذكره ابن رجب في «اللطائف» (١/ ٦١) وعزاه لابن أبي الدنيا.

(٢) من حديث ابن مسعود رواه الترمذي (٣٤٦٢) وقال: هذا حديث حسن غريب.

الفصل الرابع

في الإشكالات على أحاديث عاشوراء، وما يفعله الجاهلون فيه من المحرمات، واستدلالهم بالأحاديث الموضوعات والمتروكات.

الإشكال [الأول][١]: في حديث ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء. . .الحديث، فيه أن النبي ﷺ لما قدم المدينة فوجد فالفاء للتعقيب، وقد ذكر جماعة من العلماء والمؤرخين الإجماع منهم السهيلي أن قدومه ﷺ كان في شهر ربيع الأول فأين التعقيب؟.

الجواب: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون عاشوراء، وليس فيه أن يوم قدومه وجدهم صائمين، ووقوع القصة كان بعد قدومه المدينة لم يكن بمكة، وهذا إن كان حساب أهل الكتاب في صوم عاشوراء بالأشهر الهلالية، وإن كان بالشمسية زال الإشكال بالكلية ويكون اليوم الذي أنجى الله فيه موسى عليه السلام هو يوم عاشوراء المحرم؛ فضبطه أهل الكتاب بالشهور الشمسية؛ فوافق ذلك مقدم النبي ﷺ المدينة في ربيع الأول.

قال في «اللطائف»: روى الطبراني من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقول

---

(١) ما بين المعكوفتين غير موجود في النسختين، والسياق يقتضيه.

الناس إنما كان يومًا تُستر فيه الكعبة، وتلعب فيه الحبشة عند النبي ﷺ فكان الناس يأتون فلانًا اليهودي يسألونه؛ فلما مات اليهودي أتوا زيد ابن ثابت فسألوه[(١)]، وهذا فيه إشارة إلى أن عاشوراء ليس هو في المحرم [بل][(٢)] يحسب بحساب السنة الشمسية كحساب أهل الكتاب، وهذا خلاف ما عليه عمل المسلمين قديمًا وحديثًا.

قال شيخنا شمس الدين ابن المنبجي الحنبلي: سمعت من بعض مشايخنا أن صوم اليهود ليوم عاشوراء إنما هو بحساب سير الشمس ولم يصوموه معنا ولم نوافقهم بحمد الله في صيامهم، وقال (شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله)[(٣)]: قدوم النبي ﷺ المدينة كان في شهر ربيع الأول؛ فلما جاء عاشوراء من العام المقبل أمر بصيامه، ثم فرض شهر رمضان في ذلك العام، فإنه فرض في السنة الثانية من الهجرة بلا ريب.

وقال العلامة ابن القيم: وقد أخطأ اليهود في دوران يوم عاشوراء في

---

(١) الطبراني في «الكبير» (٣/ ٤٣٢) وقال الهيثمي (٥١٢٩): لا أدري ما معناه، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد؛ فيه كلام كثير وقد وثق.أ هـ قلت: أوضح ابن حجر معناه فذكر هذا الأثر في موضعين في الفتح (٤/ ٢٤٨)، (٧/ ٢٧٦) وحسنه وقال في الموضع الأول: ظفرت بمعناه في كتاب الآثار القديمة لأبي الريحان البيروني فذكر ما حاصله: أن جهلة اليهود يعتمدون في صيامهم وأعيادهم حساب النجوم؛ فالسنة عندهم شمسية لا هلالية. قلت -أي ابن حجر-: فمن ثم احتاجوا إلى من يعرف الحساب؛ ليعتمدوا عليه في ذلك.

(٢) ما بين المعكوفتين غير موجود في النسختين، وأثبته من «لطائف المعارف».

(٣) في (ق): «بعضهم».

السنة الشمسية، كما أخطأ النصارى في تعيين صومهم في فصل معين من السنة تختلف فيه الأشهر.

قلت: مما يوضح ذلك ما ذكره الحكيم أبو الحجاج يوسف بن عبد الملك في كتاب «الفقر في الأنواء وتفضيل الأزمنة»: أن عاشوراء اليهود -عليهم اللعنة- الذي يصومونه ويعظمونه هو اليوم العاشر من تشرين الأول وهو اليوم العاشر من تشرين شهر القبط لين أول تشرين رابع بابه، واسمه عندهم صم كبرى، ويسمونه أيضًا غفران؛ لا يُعمل فيه عمل ولا يُؤكل ولا يُشرب؛ فمن غيَّر ذلك ضرب الحد، وهو اليوم الذي كان يدخل فيه هارون بن عمران أخو موسى عليه السلام الهيكل، ويقرب القربان انتهى كلامه. وهو موضع للمقصود، وفاصل بين صومنا له وصومهم؛ فأضلهم الله عنه كما أضلهم عن الجمعة؛ فحسبوه بحساب سير الشمس، ونحن حسبناه بالأهلة فأصبنا بحمد الله تعالى وأخطأوا والله أعلم.

الإشكال الثاني: في حديث ابن عباس الثابت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «**إن عشت إلى قابل صمت التاسع والعاشر**»[1] مخافة أن يفوته عاشوراء، واستدل به من قال: أن عاشوراء هو التاسع فوجه الإشكال فيه أنه ﷺ وعد أن يصوم التاسع مخافة أن يفوته عاشوراء.

والجواب: كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله أن لا تنافي إذ من الممكن أن يصوم التاسع ووعد به ﷺ، ويصح الإخبار مقيدًا أي: كذلك كان

---

(١) تقدم تخريجه في صـــ ٧٩ .

يفعل لو بقي كما في حديثي ابن عباس.

وقال بعض أصحابنا: من تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الإشكال، وسعة علم ابن عباس؛ فإنه لم يجعل عاشوراء هو اليوم التاسع، بل قال للسائل: صم اليوم التاسع واكتفي بمعرفة السائل أن يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس كلهم عاشوراء؛ فأرشد السائل إلى صيام التاسع معه، وأخبر أن النبي ﷺ كان يصومه كذلك، فإما أن يكون فعل ذلك هو الأولى، وإما أن يكون حمل فعله على الأمر به، وعزمه عليه في المستقبل، ويدل على ذلك أنه هو الذي روى صوموا يومًا قبله ويومًا بعده.

وأما قوله: فلم يأت العام المقبل حتى توفي ﷺ، وقد ورد في الحديث المتقدم أن ذلك كان عند مقدمه المدينة حين صام عاشوراء، وأمر بصيامه وأن في ذلك العام فرض رمضان، وهو في السنة الثانية من الهجرة قبل وفاته بتسع سنين، وفي هذا الحديث أنه أمر بصيامه قبل وفاته بعام واحد، وهذا إشكال لا محيد عنه.

والجواب عن ذلك: أن هذا كان في آخر الأمر بلا ريب كما تقدم، أما في أول الأمر وبدء الإسلام فكان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، وفي آخر الأمر قال قبل وفاته بعام ذلك، وفيه نظر قاله شمس الدين المنبجي رحمه الله والله أعلم.

الإشكال الثالث: وهو أنه ثبت في «الصحيحين»(١) من حديث

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٨)، ومسلم (١١٢٥).

عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه... [(١)] الحديث، فوجه الإشكال أن رسول الله ﷺ كان يصومه، وكان تقتضي الدوام، وأنه كان خبيرًا بصيامه، فكيف سألهم عن شيء؛ هو عارف به، مواظب عليه، وهو أعرف به منهم؟.

والجواب: أن قريشًا كانت تصوم عاشوراء في الجاهلية والرسول ﷺ كان يصومه أيضًا، فكان هذا اليوم معظمًا عند الجاهلية حتى أنهم كانوا يكسون الكعبة -شرفها الله تعالى- فيه كما حكاه غير واحد من العلماء، وصومه من تمام تعظيمه، ولكن كانوا والله أعلم؛ إنما كانوا يصومونه بالأهلة، فكان عندهم عاشوراء يوم العاشر من المحرم؛ فلما قدم رسول الله ﷺ في ربيع الأول، ورآهم صائمين سألهم عن سبب الصيام؛ فأجابوه بما أجابوه؛ فصامه تأليفًا لهم وطمعًا في إسلامهم، وتقريرًا لتعظيمه وتأكيدًا لحرمته، ولهذا لما كثر أهل الإسلام قال النبي ﷺ: «**خالفوا اليهود وصوموا قبله يومًا وبعده يومًا**»، ورواه البيهقي: «**صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود**» كما تقدم ذكر ذلك[(٢)].

---

(١) البخاري (١٧٩٤) ومسلم (١١٢٥).

(٢) تقدم في صـ٧٢ .

وأما ما يفعله الجاهلون من المحرمات والاستدلال بالأحاديث الموضوعات والمتروكات.

فمن ذلك ما تفعله الرافضة في يوم عاشوراء من الحزن والمآتم وقراءة مقتل الحسين بما فيه من الأكاذيب التي لا يستريب عاقل في أنها كذب وسب الصحابة ولعنهم ﷺ، وتعطيش أنفسهم ونتف النعجة وزيارة المشاهد، وما يدخل ذلك من الفتنة والتفريق بين المسلمين؛ فهو من أعظم المحرمات وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون.

ومن ذلك ما يفعله بعض الجاهلين من المنتسبين إلى السنة في يوم عاشوراء؛ من الكحل والخضاب، والمصافحة والاغتسال، والتزين في اللباس وتوسيع الطعام والشراب والخروج في ذلك عن العادة؛ كطبخ الحبوب وتوسيع النفقة في اشتراء الماعون ونحوه؛ فهو مقابلة لما تفعله الرافضة فإن هؤلاء جعلوه موسم فرح وسرور، وأولئك جعلوه مأتم ترح وحزن، وكلاهما بدعة وضلالة.

ويشبه أن يكون الذي ابتدع هذه البدع من النواصب الذين نصبوا العداوة لعلي ﷺ وأهل بيته؛ كالخوارج الذين كفروه وكفروا عثمان ﷺ أو كأهل البدع الذين فسقوه أو كأهل الأهواء الذي كانوا يسبونه؛ فإنهم ابتدعوا هذه البدع يوم مقتل الحسين ﷺ هذا من كلام (شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ)[1]، وقد تقدم أن التوسعة فيه على العيال مندوب إليها،

---

(١) في (ق): «بعضهم».

ويجد بذلك الخير والبركة والله أعلم.

وأما استدلالهم بالأحاديث الموضوعات والمتروكات؛ فمن ذلك ما روى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام عاشوراء؛ أعطى ثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر، وثواب عشرة آلاف شهيد، ومن مسح على رأس يتيم يوم عاشوراء؛ رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة، ومن فطر مؤمنًا ليلة عاشوراء؛ فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ، وأشبع بطونهم**» قالوا: يا رسول الله لقد فضل الله يوم عاشوراء على سائر الأيام؟ قال: «**نعم، خلق الله السموات في يوم عاشوراء، وخلق الجبال يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وأدخله الجنة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وغرق فرعون يوم عاشوراء، وكشف الله البلاء عن أيوب يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم يوم عاشوراء، ويوم القيامة يوم عاشوراء**» وذكر أشياء ثم قال: «**ومن اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء؛ لم ترمد عينه تلك السنة كلها، ومن عاد مريضًا يوم عاشوراء فكأنما عاد ولد آدم، ومن سقى شربة من ماء يوم عاشوراء؛ فكأنما لم يعص الله طرفة عين**»[1].

ذكر هذا الحديث الشيخ عبد القادر الكيلاني، وأبو الفرج بن الجوزي

---

(١) رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٠٢) والبيهقي في «فضائل الأوقات» (١/ ٤٤١) وذكره ابن حجر في «لسان الميزان» (٧٥٢) في ترجمة حبيب بن أبي حبيب الخرطي المروزي ونقل فيه قول أحمد: كذاب.

في كتاب «النور»، والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي في جزء ذكر فيه أخبار فضيلة عاشوراء، وذكر حديثًا فيه قريبًا من مائة فضيلة وخصلة؛ يغلب على الظن أن النبي ﷺ لم يقل ذلك على ما فيه من المجازفة، وليس عليه طلاوة النبوة؛ فإنه من المعلوم من أحوال الرسول ﷺ وأصحابه وتابعيهم بإحسان؛ أنه لم يكن يوم عاشوراء على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه يختص بشيء غير الصوم الذي نسخ وجوبه بإجماعهم، وتنازعوا في استحبابه منفردًا أو معه غيره.

وذكره ابن الجوزي في «فضائل الشهور» ثم ذكره في «الموضوعات» وبين أنه كذب مختلق وأنه من أقبح الكذب على رسول الله ﷺ، وهذا هو الذي يجب القطع به؛ فإنه لا يستريب من تدبر هذا الكلام من المؤمنين أن هذا لا يجوز أن يقوله مؤمن؛ فضلاً أن يقول مثل هذا الكلام رسول رب العالمين؛ فإن هذا فيه من المجازفات والفرية على الله تعالى ما لا يجوز أن يذكر إلا على وجه الإنكار، وهل يقول مسلم أن عبادة ليلة أو صيام يوم يكون كعبادة أهل السموات، وذلك لأن ابن الجوزي قال فيه: ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله مثل عبادة أهل السموات السبع. ذكره شمس الدين المنبجي.

وذكر (شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه على)[1] موت علي وقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فوائد كثيرة على ما في ذلك من الكذب والأباطيل ثم قال مثل الحديث الطويل الذي يروى فيه: «**من اغتسل يوم عاشوراء لم**

---

(١) في (ك): «بعضهم على».

يمرض ذلك العام، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام»[1]، وأمثال ذلك من الخضاب يوم عاشوراء والمصافحة فيه ونحو ذلك قال: فإن هذا الحديث ونحوه كذب مختلق باتفاق من يعرف علم الحديث، وإن كان قد ذكره بعض أهل الحديث، وقال إنه صحيح وإسناده على شرط الصحيح، فهذا من الغلط الذي لا ريب فيه كما هو مبين في موضعه.

قال: ولم يستحب أحد من المسلمين الاغتسال يوم عاشوراء ولا الكحل، ولا الخضاب وأمثال ذلك، ولا ذكره أحد من علماء السلف الذين يقتدى بهم ويرجع إليهم في معرفة ما أمر الله به وما نهى عنه، ولا فعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي -رضوان الله عليهم أجمعين- ولا ذكر مثل هذا الحديث في شيء من الدواوين التي صنفها علماء الحديث، ولا في المسندات كـ«مسند الإمام أحمد»، وإسحاق وأحمد بن منيع، والحميدي والروياني وأبي يعلى الموصلي وأمثالهم، ولا في المصنّفات على الأبواب كـ«الصحاح» و«السُّنن»، ولا في الكتب المصنفة الجامعة المسندة الآثار مثل: «موطأ الإمام مالك» ووكيع، وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأمثالهم، ولكن من قال هذا؛ دخلت عليه الشبهةُ والغلط في ظنه إنّ هذه الأفعال حسنة مستحسنة والله أعلم من ابتدأ وضع ذلك وابتداعه، هل

---

(١) رواه البيهقي في «الشُعب» (٣٧٩٧) مقتصرا على الشطر الثاني وقال: فيه جويبر ضعيف، والضحاك لم يلق ابن عباس.

كان قصدُه عداوة أهل البيت أو عداوة غيرهم؟.

فالهدي بغير هُدى من الله تعالى ضلالة، ونحن علينا أن نتبع ما أُنزل إلينا من ربنا من الكتاب والحكمة، ونلزم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ونعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق ونأمر بما أمر الله به وهو المعروف، وننهى عما نهى الله عنه وهو (المنكر)[١]، وأن نتحرى الإخلاص لله ﷻ في أعمالنا؛ فإن هذا هو دين الإسلام والله الموفق للصواب. انتهى كلامه رضي الله عنه.

---

(١) تصحفت في (ك): إلى «الشك».

الفصل الخامس

في ذم الرافضة وكفرهم، وسوء عاقبة جرمهم
أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنِّه وكرمه

قال الحافظ ابن الجوزي في كتاب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الباب السابع والسبعين عن الحسن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما من الكفر، ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله**»[1].

وعن محمد بن خالد قال: سمعت مالك بن أنس يقول: يؤتى بأقوام يوم القيامة فيقفون بين يدي الله تعالى؛ فيؤمر بهم إلى النار فإذا همَّ الزبانية بأخذهم، وقُرِّبوا من النار، وهمَّ مالك بأخذهم قال الله تعالى لملائكة الرحمة: رُدوهم فيردونهم؛ فيَقفون بين يدي الله تعالى طويلاً فيقول: يا عبادي أمرت بكم إلى النار؛ بذنوب سلفت لكم استوجبتم بها وقد ردعتكم، وقد ذهبت ذنوبكم؛ بحبكم أبا بكر وعمر؛ فهذا من بعض ما ورد من فضائل حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي الأثر المتقدم أن بغضهما كفر وقد قال الإمام السامري[2] رحمة الله عليه في «المستوعب» في باب

---

(١) رواه ابن عساكر (٤٤/ ٢٢٢)، وابن منده في ترجمة الطبراني (١/ ٣٤٣)، وضعفه جدا الألباني في «الضعيفة» (٣٤٧٨).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسين فقيه حنبلي عظيم القدر. انظر ترجمته في «المقصد الأرشد» (٢/ ٤٢٣)، وكتابه المستوعب حققه عبد الملك بن عبد الله بن دهيش في ثلاث مجلدات.

الإمامة، أن ابن عقيل وابن أبي موسى ذكرا أن الرافضة كفار، وذكر ابن بطة في كتاب «الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة» أن أبا بكر الدوري قال: سألت أبا عبد الله عن من شتم أبا بكر وعمر وعائشة ﭭ؟ فقال: ما أراه على الإسلام.

وذكر ابن الجوزي في الباب الثمانين في ذكر مبغضي أبي بكر وعمر ﭭ عن أبي المُحياةِ التيمي قال: خرجت أنا وعمي إلى بلدانٍ، وكان معنا رجل يسب أبا بكر وعمر ﭭ فنهيناه فلم ينته؛ فقلنا: اعتزلنا فاعتزلنا فلما دنا خروجنا ندمنا فقلنا: لو صحِبنا حتى نرجع إلى الكوفة؛ فلقينا غلام له فقلنا: قل لمولاك يعد إلينا، قال: إن مولاي قد حدث به أمر عظيم؛ قد مسخت يداه يدي خنزير، قال: فأتيناه فقلنا ارجع إلينا، فقال: إنه حدث بي أمر عظيم، وأخرج ذراعيه فإذا هما ذراعا خنزير، قال: فصحبنا حتى انتهينا إلى قرية من قرى السواد كثيرة الخنازير؛ فلما رأها صاح صيحة ووثب فمسخ خنزيرًا وخفي علينا؛ فجئنا بغلامه ومتاعه إلى الكوفة.

وروى أبو إسحاق البرمكي البغدادي في «فضائل الصحابة» ﭫ بسنده عن أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك؛ يستغفرون لمن أحب أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانين ألف مَلك؛ يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر، ومن أحب جميع أصحاب محمد فقد برئ من النفاق»**[1].

---

(١) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٩٣)، وابن عدي (٢/ ٣٤١)، والخطيب =

قال أبو المُحياة: وحدثني رجل قال: خرجنا في سفر، ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر -رضوان الله عليهما- فنهيناه فلم ينته؛ فخرج لبعض حاجته فاجتمع عليه الدَبْر -يعني الزنابير أو النحل- فاستغاث فأغثناه فحملت علينا حتى تركناه؛ فما أقلعت عنه حتى قطَّعته.

وعن أبي الحسين أحمد بن عبد الله قال: كان في جوارنا رجل يقرأ القرآن يعرفُ بأبي الحسن ابن غزية، وكان يختلف إلى شيخنا أبي الحسين بن أبي عمر المقرئ فبات ليلة في عافية؛ فأصبح وقد عمي فسئل عن ذلك؟ فقال: كنت في مجلس في شارع باب الكوفة؛ فذكر رجل بحضرة جماعةٍ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بسوء فما أنكرت عليه، وكنت قادرًا على الإنكار؛ فلما كان الليل رأيت علي بن أبي طالب -رضوان الله عليه- فقال لي: لِم لم تنكر على من ذكرهما بسوء، وضرب رأسي بمرذبة فأصبحت أعمى.

وعن محمد بن علي السمان قال: سمعت رضوان السمان -رحمة الله عليه- قال: كان لي جار في منزلي وسوقي، وكان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال: فكثر الكلام بيني وبينه؛ فلما كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر؛ حتى وقع بيني وبينه كلام حتى تناولني وتناولته؛ فانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين ألوم نفسي، قال: فنمت وتركت العشاء من الغمِّ فرأيت رسول الله ﷺ في منامي من ليلتي فقلت: يا رسول الله: فلان

= في «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٨٣). قال الخطيب وابن عدي: وضعه الحسن بن علي بن زكريا بن صالح أبو سعيد العدوي.

جاري في منزلي وسوقي، وهو يعيب أصحابك قال: مَنْ مِن أصحابي؟ قلت: أبا بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: خذ هذه المدية فاذبحه بها، قال: فأخذتها فأضجعته فذبحته، فرأيت يدي أصابها من دمه قال: فألقيت المدية وأهويت بيدي إلى الأرض أمسحها؛ فانتبهت وأنا أسمع الصراخ [من نحو داره قلت: انظروا ما هذا الصراخ؟][١] قالوا: فلان مات فجأة؛ فلما أصبحنا نظرت إليه فإذا خطة في موضع الذبح، وقد جاء في ذلك أخبارًا وأثار في ذم الرافضة وسوء عاقبتهم، ويكفي هذا القدر هنا والله الموفق للصواب وبه المستعان.

---

(١) مثبت من (ق).

الفصل السادس

فيما ورد في صيام الوحش والطير والهوام وما ورد في ذلك

قال سيدي الشيخ عبد القادر في كتاب «الغنية» له، أخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن أبي غليظ بن أمية الجمحي قال: رأى النبي ﷺ على بيتي صردًا فقال: «**هذا أول طائر صام يوم عاشوراء**»[(١)] قال في «المجمل»: والصرد طائر، وقال في «مختصر العين»: الصرد يصيد العصافير، قال ابن رجب في «اللطائف»: ومن أعجب ما ورد في عاشوراء أنه كان يصومه الوحش والهوام.

وقد روي مرفوعًا: «**أن الصرد أول طائر صام يوم عاشوراء**». أخرجه الخطيب[(٢)] في «تاريخه» وإسناده غريب، وقد روي ذلك عن

---

(١) ذكره العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ٢٣١٥) وعزاه لابن قانع في «معجمه» عن أمية بن خلف الجمحي أنه قال: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدي صرد فقال: «هذا أول طائر صام يوم عاشوراء». وقال: هو من الأحاديث التي وضعتها قتلة الحسين قاتلهم الله فهو باطل.

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٩٥) عن أبى غليظ بن أمية بن خلف الجمحي، وذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ٩٧) وقال: رواه الخطيب عن أبي غليظ مرفوعا، ولا يعرف في الصحابة من له هذا الاسم، وفي إسناده عبد الله بن معاوية منكر الحديث، ورواه الحكيم الترمذي (٢/ ١٤) عن أبي غليظ عن أبي هريرة قال: الصرد أول طير صام.

أبي هريرة رضي الله عنه. وروي عن الفتح بن شخرف وهو من عباد أهل بغداد -رحمة الله عليه- قال: كنت أفت الخبز للنمل كل يوم؛ فلما كان عاشوراء لم يأكلوه. وروي عن الخليفة القادر بالله العباسي أنه جرى له مثل ذلك، وأنه عجب منه فسأل أبا الحسن القزويني الزاهد فذكر له؛ أن يوم عاشوراء يصومه النمل.

وجاء في مناقب عدي بن حاتم الصحابي رضي الله عنه أنه كان يفتت الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات ولهن حق، ذكره النووي في «تهذيب الأسماء واللغات». وقال قيس بن عباد: كانت الوحش تصوم يوم عاشوراء، رواه أبو موسى المديني عن قيس بن عُباد، وبإسناده له عن رجل أتى البادية يوم عاشوراء؛ فأتى قومًا يذبحون ذبائح فسألهم عن ذلك فأخبروه أن الوحوش صائمة، وقالوا: اذهب بنا نُرِك فذهبوا به إلى روضة فأوقفوه قال: فلما كان بعد العصر جاءت الوحوش من كل مكان؛ فأحاطت بالروضة رافعة رءوسها إلى السماء، ليس منها شيء يأكل؛ حتى غابت الشمس أسرعت جميعًا فأكلت.

وبإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: بين الهند والصين أرض كان بها بطة من نحاس على عمود من نحاس؛ فإذا كان يوم عاشوراء مدت منقارها؛ فيفيض من منقارها ماءً يكفيهم لزرعهم ومواشيهم إلى العام المقبل، وكذلك ذكره سبط ابن الجوزي في ما ذكره من عجائب الهند من «مرآة الزمان».

الفصل السابع

في إنجاء الله تعالى فيه موسى بن عمران وإغراق فرعون ومن معه من الأعوان

قال الله تعالى ممتنًا على بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، [قال شيخ السنة أبو محمد الحسين البغوي -رحمة الله عليه- قيل: معناه فرقنا لكم، وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسمي البحر بحرًا لاتساعه، ومنه قيل: للفرس بحرًا إذا اتسع في جريه، ولذلك قال النبي ﷺ لما ركب فرس أبي طلحة المندوب كذلك: «**ما وجدنا من شيء، وإن وجدنا هذا الفرس لبحرًا**»(١)، وقد ورد أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلاً؛ فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبطة من بني إسرائيل إليهم، وكل ولد زنا في بني إسرائيل من القبطة إلى القبطة حتى رجع كل إلى أبيه، وألقى الله تعالى الموت على القبط فمات كل بِكر لهم؛ فاشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا، وطلعت الشمس وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مع يعقوب عليه السلام اثنين وسبعين إنسانًا ما بين رجل وامرأة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى اثنين وسبعين ألفًا.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٨٤).

وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة ألف فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون؛ فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسَف لما حضره الموت؛ أخذ على إخوته عهدًا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم؛ فلذلك اشتد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا؛ فقال موسى ينادي: أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولي؛ فكان يمر بين رجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرأيتك إن دللتكم على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها، وقال: حتى أسأل ربي فأمره الله تعالى بإيتاء سؤالها، فقالت: إني عجوز كبير لا أستطيع المشي؛ فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة في الجنة إلا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنه في جوف الماء في النيل؛ فادع الله حتى يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف؛ فحفر موسى ذلك الموضع، واستخرجه من صندوق مرمر، وحمله حتى دفنه بالشام؛ ففتح لهم الطريق فساروا، وموسى عليه السلام ساقتهم، وهارون على مقدمتهم.

وذكر الثعلبي بسنده هنا لطيفة عن أبي موسى الأشعري قال: نزل رسول الله ﷺ بإعرابي فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ: «**ما حاجتك يا أعرابي؟**» فقال الأعرابي: حاجتي ناقة برحلها، وأعنز يحلبها أهلي، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما حاجتك؟**» قال الأعرابي: مالي حاجةٌ غيرها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن عجوز بني إسرائيل كانت أحسن مسألة**

منك»[١] وذكر الحديث في قصة قبر يوسف. وذكر سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» عن الكلبي أنه قال: كانت هذه العجوز عاشت أربعمائة سنة، وبها يضرب المثل فيقال: أكبر من عجوز بني إسرائيل.

قال شيخ السنة البغوي: ونذر بهم فرعون؛ أي بلغه خبرهم، وعلم بهم فجمع قومه، وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك؛ فوالله ما صاح الديك تلك الليلة، وخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبع مائة ألف، وكان منهم سبعون ألف من دهم يعني الخيل سوى سائر الشيات[٢]. وقال محمد بن كعب القرظي: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات وكان فرعون في الدُّهم.

وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ناشب[٣]، ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب

---

(١) من حديث أبي موسى رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٧)، وأبو يعلى (٧٢٥٤)، ومن طريقه ابن حبان (٧٢٣)، ورواه الحاكم (٣٥٢٣)، والطبراني كما في مجمع «الزوائد» (١٧٣٤٨) وقال: رجال أبي يعلى رجال الصحيح. ومن حديث علي رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٧٦٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٣٣).

(٢) جمع شِيَة؛ وهي في ألوان البهائم سوادٌ في بياض أو بياضٌ في سواد. انظر «المغرب في ترتيب المعرب» (٢/ ٣٥٦).

(٣) هو الرجل الذي يرمي بالسهم. انظر «لسان العرب» (١/ ٧٥٥).

أعمدة[١] فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة؛ فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا: يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا؛ إن أدركنا قتلنا، والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فلم يطعه فأوحى الله إليه أن كَنِّه فضربه وقال: انفلق أبا خالد بإذن الله؛ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل، وظهر فيه اثنا عشر طريقًا لكل سبط طريق، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس][٢] في قعر البحر حتى صار يبسًا وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[طه: ٧٧]، وذكر الثعلبي بسنده أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال: يا من كان قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء؛ اجعل لنا مخرجًا؛ فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق.

قال: وروى الأعمش عن سفيان عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) علق العلامة ابن كثير على هذه الأعداد الكثيرة من الخيل التي خرجت مع فرعون فقال في «التفسير» (٣/٤٤٨): في ذلك نظر، والظاهر أن ذلك من مجازفات بني إسرائيل، والذي أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم إذ لا فائدة تحته إلا أنهم خرجوا بأجمعهم.

(٢) مثبت من (ق).

«ألا أعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى حيث جاوز البحر ببني إسرائيل؟» قالوا: بلى يا نبي الله، قال: «قولوا: **اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[١] قال عبد الله: ما تركتهن من وقت سمعتهن.

قال شيخ السنة البغوي: فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق، وعن جانبهم الماء كالجبل الضخم، ولا يرى بعضهم بعضًا فخافوا وقال كل سبط: قد قُتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء أن تشبّكي فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضًا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا سالمين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]. قال المعافى في «تفسيره» قيل: النظر بمعنى العلم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] قاله الفراء.

وقال ابن عباس: لم ينظروا إليهم حين غرقوا، ولكن أُخرجوا فنظروا إليهم، قال شيخ السنة البغوي: إن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقًا قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أُدرك عبيدي الذين أبقو؛ ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه. وقيل: إنهم قالوا له:

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٩٤) وفي «الصغير» (٣٣٩) وقال الهيثمي (١٧٤٢٧): فيه من لم أعرفهم. قال المنذري (٢٨١٣): رواه الطبراني في «الصغير» بإسناد جيد.

إن كنت ربًا فادخل البحر كما دخل -يعني: موسى- وكان فرعون على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق أي؛ تريد الفحل فتقدمه وخاض البحر؛ فلما شم أدهم فرعون ريحها؛ اقتحم البحر في إثرها، ولم يملك فرعون من أمره شيئًا، وهو لا يرى فرس جبريل، واقتحمت الخيول خلفه في البحر، وجاء ميكائيل عليه السلام على فرس خلف القوم (يشحذهم)(١) ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم، ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا البحر وخرج جبريل من البحر، وهمَّ أولهم بالخروج أمر الله البحر بقدرته أن يأخذهم فالتطم عليهم (وغرقهم)(٢) أجمعين.

وذكر سبط ابن الجوزي في «المرآة»؛ أن جبريل كان قد وقف لفرعون بمصر في زي فقير ومعه رقعة؛ فاستغاث إليه فقال: ما الذي بك؟ فقال: اشتريت عبدًا وخوَّلته، وكان صغيرًا فربيته، وأحسنت تربيته وحكَّمته في رزقي ومالي، وهو الآن يأنف أن يعترف لي بالعبودية، وقد عصاني وتمرد علي، وجحد نعمتي، فقال فرعون: ولا يستحي منك، فقال: لا هو خبيث فما حكمك فيه أيها الملك؟، فقال: تأخذ بيديه ورجليه وتلقيه في بحر القلزم، فقال: اكتب لي خطك بذلك؛ فكتب له على رأس الورقة؛ فلما كان يوم البحر جاءه جبريل في صورة ذلك الفقير؛ ومعه القصة فقال: خذ هذه القصة؛ فظنه بعض أصحابه فقال: ليس هذا وقته

---

(١) في (ق): «يحثهم»، والمثبت هو الموافق لما في «تفسير البغوي».

(٢) في (ك): «وماتوا»، والمثبت هو الموافق لما في «تفسير البغوي».

فقال له جبريل: يا خبيث أنسيت يوم كذا وكذا؟ ففهم المقصود، وأخذ بفتياه التي عنى بها عنه، وكان ذلك البحر بحر القلزم بين طرفيه أربعة فراسخ من بحر فارس.

وقال قتادة: هو بحر من وراء مصر يقال له إساف، وكان ذلك بمرأى من بني إسرائيل قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فدس جبريل من حمأة البحر يعني طينه الأسود وقال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

وروى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**لما قال فرعون: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل قال جبريل: يا محمد لو رأيتني قد أخذت من حال البحر أدسه في فيه؛ مخافة أن تناله الرحمة فقال له جبريل: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين، وقال جبريل: ما أبغضت أحدًا مثل ما أبغضت فرعون وإبليس؛ ذاك قال: أنا ربكم الأعلى، وإبليس قال: أنا خير منه خلقتني**»[١] كذا ذكر البغوي.

قال الحافظ ضياء الدين أبو حفص الموصلي الحنفي[٢] في «الإكسير»

---

(١) رواه أحمد (٢٨٢١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف والأصح وقفه على علي ابن زيد، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٩٢)، وفي سنده عطاء بن السائب، وهو صدوق اختلط كما قال ابن حجر في «التقريب».

(٢) هو المحدث المفيد عمر بن بدر بن سعيد الحنفي له كتب كثيرة منها: «العقيدة الصحيحة في الموضوعات الصريحة»، و«استنباط المعين من العلل» و«التاريخ لابن معين». وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٨٧)، و«تاج التراجم» (٢/ ٢٧).

له في الموضوعات؛ في باب كراهية الفارسية، ومنها أي من الأحاديث التي ليس فيها ما يصح «**قال لي جبريل: لو رأيتني، وأنا آخذ من حال البحر يعني التراب؛ فأدسه في فيِّ فرعون؛ مخافة أن تدركه الرحمة**» .

قال البغوي: ولما صعد بنو إسرائيل وأغرق الله فرعون قال أناس: إن فرعون لم يغرق؛ فقذفه البحر على نجوة منه أي على مكان مرتفع وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] أي؛ عبرة وعظة، قال: فألقى البحر فرعون على الساحل أحمرا قصيرًا كأنه ثور فرأته بنو إسرائيل؛ فمن ذلك الوقت وإلى الآن لا يقبل الماء ميتًا إلا ألقاه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]، وهذه القصة كانت يوم عاشوراء عاشر المحرم

[همسات من قصة غرق فرعون]

فاعتبر يا قليل التفكر في مصيره ومآله، وانظر ما حلَّ بفرعون لما عصى؛ لم ينتفع بكثرة جنوده ورجاله، يا مستأنسًا بداره مغترًا بماله، يا ناسيًا عيبه، معرضًا عن إصلاح حاله. يا عالمًا بطول سفره لم يتزود لارتحاله، يا حاملاً لوزره راضيًا بأثقاله يا ناقلاً أقرانه يا غافلاً عن ذكر انتقاله، إنَّ غفلة من قد رأي أولى الحسب، يرحلون عنه على رغمهم من العجب؟. أين أصحاب النُّهى وأين من أمر ونهى، وبلغ أقصى درجات المُنى وانتهى، (وزُجر عن اللهو فما انزجر ولا انتهى)[1]، وفرح في

---

(١) كررت في (ق): .

دنياه بها ولهى، وسمع بحديث الآخرة فما عمل لها.

عباد الله أيامكم قلائل وآثامكم غوائل، ومواعظكم قوائل وأهواؤكم قواتل؛ فليعتبر الأواخر بالأوائل، يا من يوقن أنه لا شك راحل، وماله زاد ولا رواحل، يا من لج في بحر الهوى، متى ترقى إلى الساحل؟ هلاَّ تنبهت من رقاد شامل؟ وحضرت المواعظ بقلب قابل، وقمت في الدُجى قيام عاقل، وكتبت بالدموع سطور الرسائل؛ تحف بها زفرات الندم كالوسائل، وبعثتها في سفينة دمع سائل؛ لعلها ترسى بساحل هل من سائل؟ وآ أسفا لمغرور غفول جاهل، قد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل، وضيع البضاعة وبذر الحاصل، وركن إلى ركن لو رآه مائل، يبني القصور، ويشيد المعاقل، وهو عن تمهيد قبره متثاقل، ثم يدعي بعد هذا أنه عاقل، تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل، وهو يأمل في بطالته فوز العامل، هيهات ما علق بطَّال بباطل.

كان بشر الحافي إذا ذُكر عنده الموت يقول: ينبغي لمن يعلم أنه يموت؛ أن يكون بمنزلة من قد جمع زاده فوضعه على رحله، ولم يدع شيئًا مما يحتاج إليه إلا وضعه عليه. وعن يحيى بن معاذ الرازي أنه كان يقول: ليكن بيتك الخلوة وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة، فإما أن تموت بدائك وأما أن تصل إلى دوائك.

اسمع يا غافلاً طول دهره عن ممر يومه وشهره، يا موعوظًا في سره وجهره؛ بجفاف النبات وزَهرِه، يا عصفورًا لا بد من ذبحه، وتخريب وكره، ثم لا يجول ذلك على فكره، متى يفيق سكران الهوى من سكره؛

فيستبدل المعروف بنكره، ألا ينتبه هذا المنذر لنذُره ألا يتيقظ الجاني لإقامة عذره، والله لو سكن قلبه خوف حشره؛ لخرج من أعمال الجد من قشره؛ بل لو تفكر حق التفكر في حشره لم يبع ثوبًا ولم يشره، مضى الزمان في مد الهوى وزجره، وما حظي المفرط بغير وزره.

تالله لقد اغتبط المحسن في قبره، وندم المسيء على قلة صبره، يا حسن ما أطاع بترتيل القرآن أبو عمرة، ويا حسرة ما أضاع أبو نواس في خمره.

وأبو نواس هذا اسمه؛ الحسن بن هانئ الشاعر الحكمي، وكان عاكفًا على شرب الخمر ومدحها ثم تاب بعد ذلك إلى الله تعالى ذكره الحافظ ابن الأخضر والله تعالى أعلم.

وقد روي أن الإمام أحمد أخذ عنه من شعره، والتوبة تجب ما قبلها وبالله التوفيق، وأنشدوا:

يا طالب العفو هذا يوم عاشورا
يومٌ غدا فضله في الناس مشهورا
ما إن دعا ربه داعٍ بحاجته
إلا وعاد بما يهواه مسرورا
ولا أتى الله فيه مذنب خجِل
إلا وأصبح ذاك الذنب مغفورا
فتب إلى الله فيه وابغ رحمته
من قبل توقف يوم العرض مذعورا
وأنت في فرق تضني وفي عرق
تقرأ كتابك بين الخلق منشورا

فـاسـأل إلاهـك فـيـه فـضـل رحـمـتـه
وقـف عـلـى بـابـه خـجـلان مـكـسـورا

معاشر المسلمين هذا يوم عاشوراء، وهو يوم خطير جليل، مستحق في الشريعة التكريم والتبجيل .

وهو العاشر من سنتكم هذه الجديدة، وهو أول الأيام المباركة السعيدة؛ فانظروا ما تستودعونه من الخيرات والصيام، والصلاة والتقرب والصدقات؛ فكم مَن تمنىَّ أن يستقبل هذه السنة فمات، وصار من الغابرين وفات؛ فانظر لنفسك يا مسكين يمضي عام بعد عام، وأيام بعد أيام، وأنت مصر على الخطايا والمعاصي والآثام. صحو وغمام، وضوء وظلام ونحن في رقدة ومنام، وأضغاث أحلام وكأنك بنا وقد عاجلنا الحِمام.

قال بعض الحكماء: الحزم غنيمة، وجُود اليوم ذخيرة، والأسف على فوات أمس، والخوف من مخاطرة غد فالسعيد من وفقه الله تعالى للطاعة، واتخذ التقوى بضاعة، والشجاعة صبر ساعة.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وألهمنا شكرك على وافر الإنعام، وبارك لنا في هذا الشهر وهذا العام، وأحينا وأمِتنا على الإيمان والإسلام، وأسكنا برحمتك وكرمك دار السلام، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؛ برحمتك يا أرحم الراحمين.

المجلس الثالث

في قدوم الحاج وآداب الناسك بعد قضاء المناسك.

الحمد لله المنعم ببلوغ الآمال، والمتفضل بقبول الأعمال، البَر اللطيف الكبير المتعال، وصلواته على رسوله محمد ذي الشرف والكمال، وعلى آله وأصحابه؛ خير صحب، وأفضل آل إلى يوم المرجع والمآل، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذا ما يتعلق بالحاج من الثواب بعد الرجوع من الحج والإياب. ثبت في «الصحيحين»(١) من من رواية أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه»** وقد استنبط معنى هذا الحديث من القرآن طائفة من العلماء وقالوا: قول الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، بأن قضى نسكه ورجع منه؛ فإن آثامه تسقط عنه إذا اتقى الله تعالى في أداء نسكه، وسواء نفر في اليوم الأول من يومي النفر أو تأخر إلى اليوم الثاني.

وفي «مسند أبي يعلى الموصلي»(٢) عن النبي ﷺ قال: «من قضى

---

(١) البخاري (١٧٢٣)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) من حديث جابر بن عبد الله رواه عبد بن حميد كما في «المنتخب» (١١٥٠) قال المناوي في «فيض القدير» (٨٩٥٩) فيه عبد الله بن عبيدة الربذي قال في الميزان: وثقه غير واحد وقال ابن عدي: الضعف على حديثه بين وقال يحيى: ليس بشيء =

نسكه، وسلم المسلمون من لسانه ويده؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». وفي «الصحيحين»(١) عن النبي ﷺ قال: «**الحج يهدم ما قبله**»؛ فالحج المبرور يكفر السيئات ويوجب دخول الجنات. وقد روي أنه ﷺ سئل عن البر في الحج فقال: «**إطعام الطعام وطيب الكلام**»(٢).

وقد ورد أن المباني الخمس كل واحد منها يكفر الذنوب والخطايا ويهدمها، ولا إله إلا الله لا يسبقها عمل، والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مكفرات ما بينهن ما اجتنبت الكبائر، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وكذلك الحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق؛ يرجع صاحبه من ذنوبه كيوم ولدته أمه؛ فالحج المبرور ما اجتمع فيه أعمال البر مع اجتناب أعمال الإثم؛ فما دعا الحاج لنفسه ولا دعا لغيره بأحسن من الدعاء أن يكون حجه مبرورًا.

ولهذا شرع للحاج إذا فرغ من أعمال حجه، وشرع في التحلل من إحرامه برمي جمرة العقبة يوم النحر أن يقول: اللهم اجعله حجًا مبرورًا

= وقال أحمد: لا يشتغل به ولا بأخيه وقال ابن حبان: لا راوي له أي هذا الخبر غير أخيه؛ فلا أدري البلاء من أيهما.

(١) لم أجده في البخاري بعد البحث والتفتيش، ولم يعزه ابن الأثير في جامع الأصول (٦٦٥٤) إلا لمسلم (١٢١) عن عبد الله بن عمرو.

(٢) من حيث أنس رواه الطيالسي (١٧١٨) والطبراني في «الأوسط» (٦٦١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٧٧٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. قال الهيثمي (٥٢٦٦): إسناده حسن.

وسعيًا مشكورًا، وذنبًا مغفورًا، روى ذلك عن ابن مسعود وابن عمر من قولهما، وروى عنهما مرفوعًا[١] وكذلك يُدعى للقادم من الحج بأن يجعل الله حجه مبرورًا.

وفي الأثر: «**أن آدم عليه السلام لما حج البيت وقضى نسكه وأتته الملائكة فقالوا له: يا آدم بر حجك، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام**»[٢] وكذلك كان السلف يدعون لمن يرجع من حجه، وقد ورد «أن الحاج يرجع مغفورًا له، ومن استغفر الحاج له»[٣].

وذكر الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب «الإحياء» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الحاج مغفورًا له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول[٤]. انتهى.

---

(١) حديث ابن مسعود رواه ابن أبي شيبة (٢٩٦٥٠) وأحمد (٤٠٦١) وأبو يعلي (٥١٨٥) والبيهقي (٩٣٣٢)، ومدار أسانيدهم على ليث بن أبي سليم وهو صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك كما قال ابن حجر في «التقريب». ورواه البيهقي (٩٣٣٣) وقال: فيه عبد الله بن حكيم ضعيف.

(٢) ابن عساكر عن أنس (٤٩/ ٣٥) مرفوعا، وضعفه المنذري في «الترغيب» (١٧٠٤).

(٣) من حديث أبي هريرة رواه ابن خزيمة (٢٥١٦)، والحاكم (١٦١٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. والطبراني في «الأوسط» (٨٥٩٤). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. قال الهيثمي (٥٢٨٧): فيه شريك بن عبد الله النخعي؛ ثقة وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) ابن أبي شيبة (١٢٦٥٧)، وفي سنده ليث بن أبي سليم؛ ضعيف.

[تعريف الحج المبرور وعلاماته ومثال له]

وروي أنه لما حج خالد الحذاء ورجع قال له أبو قلابة: بر العمل معناه جعل الله حجك مبرورًا. وللحج المبرور علامات لا تخفى كما قيل للحسن: الحج المبرور جزاؤه الجنة قال: آية ذلك أن يرجع زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة.

وقيل له: جزاء الحج المبرور المغفرة، قال: آية ذلك أن يدع سيئ ما كان عليه من العمل، الحج المبرور؛ مثل حج إبراهيم بن أدهم مع رفيقه الصالح الذي صحبه من بلخ؛ فرجع من حجه زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وخرج عن ملكه وماله وأهله، وعشيرته وبلاده، واختار بلاد الغربة وقنع بالأكل من عمل يده إما من الحصاد أو نظارة[١] البساتين.

روى أنه حج مرة مع جماعة من أصحابه؛ فشرط عليهم في ابتداء السفر أن لا يتكلم أحدهم إلا لله، ولا ينظر إلا له؛ فلما وصلوا وطافوا بالبيت، رأوا جماعة من أهل خراسان في الطواف معهم غلام جميل قد فتن الناس بالنظر إليه؛ فجعل إبراهيم يسارقه النظر ويبكي فقال له بعض أصحابه: يا أبا إسحاق ألم تقل لنا لا تنظروا إلا لله، فقال: ويحك هذا ولدي، وهؤلاء خدمي وحشمي، وأنشد:

هجرت الخلق طُرًا في هواكا
وأيتمت العيال لكي أراكا

---

(١) هي حراسة البساتين. «المصباح المنير» (٢/ ٦١٢)

فلو قطعتني في الحب إربًا
لما حنَّ الفؤاد إلى سواكا

الحر الكريم لا ينقض العهد القديم. إذا دعتك نفسك إلى نقض عهد مولاك؛ فقل لها: معاذ الله أنه ربي أحسن مثواي. وروي أنه تاب بعض من تقدم ثم نقض التوبة؛ فهتف به هاتف من الليل في المعنى، يقول:

سأ ترك ما بيني وبينك واقفًا
فإن عدت عدنا والوداد مقيم
تواصل قومًا لا وفاء لعهدهم
وتترك مثلي والحفاظ قديم

من تكرر منه نقض العهد؛ لم يوثق بمعاهدته. من رجع من الحج؛ فليحافظ على ما عاهد الله عليه عند استلام الحجر. قبيح بمن كمَّل القيام بمباني الإسلام الخمس؛ أن يشرع في نقض ما بنى بالمعاصي.

روى ابن أبي الدنيا(١) في حديث مرسل أن النبي ﷺ قال لرجل: **«إنك تبني وتهدم»** يعني تعمل الحسنات والسيئات، فقال يا رسول الله: سوف أبني ولا أهدم.

قال شخنا في «اللطائف»: الحاج إذا كان حجه مبرورًا غفر له ولمن استغفر له وشُفِّع فيمن شَفع فيه. وقد ورد: **«أن الله يقول لهم يوم عرفة: أفيضوا مغفورًا لكم ولمن شفعتم»**(٢).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التوبة» (١٨٨)، ورواه الديلمي في «الفردوس» (٨٤٩٤) عن أبي هريرة.

(٢) من حديث ابن عمر رواه البزار (٦١٧٧)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٤٥) بنحوه. =

وروى الإمام أحمد[١] بإسناده عن أبي موسى الأشعري قال: إن الحاج ليشفع في أربع مائة بيت من قومه، ويبارك في أربعين من أمهات البعير الذي يحمله، ويخرج من خطاياه كيوم ولدته أمه. فإذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب؛ فلذلك يستحب تلقيه والسلام عليه، وطلب الاستغفار منه، وتلقي الحاج مسنون.

وفي «صحيح مسلم»[٢] عن عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلقي بصبيان أهل بيته، وأنه ﷺ قدم من سفر فسُبق بي إليه فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه؛ فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة. وفي «المسند»[٣] بإسناد ضعيف عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه، ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته؛ فإنه مغفور له**» .

وروى معاذ بن الحكم قال: حدثنا موسى بن أعين عن الحسن قال: إذا خرج الحاج فشيُعوهُم وزوّدُوهم الدعاء، وإذا رجعوا فالتقوهم وصافحوهم قبل أن يخالطوا الذنوب؛ فإن البركة في أيديهم.

وروى أبو الشيخ الأصفهاني وغيره من رواية ليث عن مجاهد قال:

= قال الهيثمي (٥٦٤٨): رجال البزار موثقون.

(١) لم أقف عليه في «مسند أحمد»، ورواه عبد الرزاق (٨٨٠٧)، وفيه رجل مبهم، وهو الراوي عن أبي موسى.

(٢) مسلم (٢٤٢٨).

(٣) رواه أحمد في موضعين هما (٥٣٧١)، (٦١١٢) بسند ومتن واحد. قال الهيثمي (٥٩٢٧): فيه محمد بن البيلماني؛ ضعيف.

قال عمر: يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الأول كما تقدم لكن فيه وعشرين من ربيع الأول. وروى أبو معاوية الضرير عن حجاج عن الحكم قال: قال ابن عباس: لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق؛ لأتوهم حين يقدمون حتى يقبلوا رواحلهم؛ لأنهم وفد الله في جميع الناس.

ما للمنقطع حيلة سوى التعلق بأذيال الواصلين، والتشفع بالعاملين.

شعر في تذكار تلك الديار:

هل الدُهر يومًا بوصلٍ يجود
وأيامنا باللّوى هل تعودُ
زمان تقضى وعيش مضى
بنفسي والله تلك العهودُ
ألا قل لزوار دار الحبيب
هنيئًا لكم في الجنان الخلودُ
أفيضوا علينا من الماء فيضًا
فنحن عطاشٌ وأنتم وُرودُ

وقال بعضهم: أحبُّ ما للمحب سؤال من قدم من ديار الحبيب شعر:

عارضا في ركب الحجاز أسائله
متى عهده بأيام سلعي
واستملا حديث من سكن الخيف
ولا تكتُبَاه إلا بدمعي

قال بعضهم: لقاء الأحباب لقاح الألباب، وأخبار تلك الديار أحلى

عند المحبين من الأسمار، وأرواح القبول تفوحُ من المقبولين وأنوار المواصلين تلوح على الواصلين، شعر:

تفوح أرواح نجد من (ثيابهم)[١]
عند القدوم لقربِ العهد بالدارِ
يا راكبان قفا لي واقضيا وطري
وحدثاني عن نجد بأخبارِ

اعلم أنه لا يُؤثر الإكثار من الترداد إلى تلك (الديار)[٢] إلا حبيب مختار. روي عن علي ابن الموفق أنه حج ستين حجة قال: فلما كان بعد ذلك جلست في الحجر أفكر في حالي وكثرة تردادي إلى ذلك المكان ولا أدري هل قُبل حجي أم لا أو رد عليَّ؟ ثم نمت فرأيت قائلاً يقول لي: يا ابن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب قال: فاستيقظت وقد سُري عني[٣].

ما كُل من حج قُبل ولا كل من صلى وصل. قيل لابن عمر: ما أكثر الحجاج فقال: ما أقلهم يعني في القبول. وقال: الركب كثير، والحاج قليل، وهذا كما حُكي عن بعض من حج أنه توفى في الطريق في رجوعه؛ فدفنه أصحابُه، ونسوا الفأس في قبره فنبشوه؛ ليأخذوا الفأس فإذا عنقه ويداه قد جمعتا في حلقة الفأس؛ فردّوا عليه التراب، ثم

---

(١) في (ك): «شمائلهم» والمثبت هو الموافق لما في المصادر مثل «لطائف المعارف» (١/ ٦٦).

(٢) في (ق): «الآثار».

(٣) رواه الخطيبَ في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١١١).

رجعوا إلى أهله فسألوهم عن حاله؟ فقالوا: صحب رجلاً فأخذ ماله فكان يحج منه، وفي مثل هذا وأشباهه أنشدوا لمن يتعظ:

إذا حججت بمال أصله سحتٌ
فما حججتَ ولكن حجت العيرُ
لا يقبل الله إلا كلِّ صالحةٍ
ما كلُّ من حج بيتَ الله مبرورُ

اعلم [أن من حجه مبرورًا قليل لكن قد يوهب المسيء للمحسن كما روي](١): «**أن الله تعالى يقول عشية عرفة: قد غفرت لكم ووهبت مسيئكم لمحسنكم**»(٢).

وقد روي عن بعض المتقدمين؛ أنه حج فنام ليلةً فرأى ملكين نزلاً من السماء فقال أحدهما للآخر: كم حج بيت ربنا العامَ قال: ستمائة ألف قال له: كم قُبِل منهم؟ قال: ستةً قال: فاستيقظ الرجل وهو قلق مما رأى؛ فرأى في الليلة الثانية كأنهما نزلا من السماء، وأعاد القول وقال أحدهما: إن الله وهب لكل واحد من الستة مائة ألف. وهذا المذكور المحكي عنه؛ علي بن الموفق كذا ذكره ابن الجوزي في كتابه «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن».

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) جزء من حديث ابن عمر رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٩) وقال: غريب، وذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ١٠٤) وقال: في إسناد أبي نعيم عبد الرحيم ابن هارون متروك، وبشار بن بكير مجهول.

قال بعض العارفين: قدوم الحاج يذكر بالقدوم على الله كما أن خروج الحاج يذكر بالخروج عن الدنيا. روي أنه قدم مسافر على أهله فسُروا به، وهناك امرأة من الصالحات فبكت وقالت: ذكرني هذا بقدُومه؛ القدُوم على الله فمن مسرور ومثبور.

قال بعض الملوك لأبي حازم: كيف القدوم على الله؟ فقال أبو حازم: أما قدوم الطائع على الله؛ فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما قدوم العاصي؛ فكقدوم الآبق على سيده الغضبان. اللهم لا تغضب علينا يا أرحم الراحمين. شعر

لعلك غضبان وقلبي غافلٌ
سلام على الدارين إن كنت راضيا

في بعض الآثار الإسرائيلية يقول الله ﷻ: كم بين الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون وبين القوم الذي يُدَّعون إلى نار جهنم دعا. شعر:

قد أزلفت جنة النعيم فيا
طوبى لقوم بربعها نزلوا
أكوابها عسجدٌ يُطاف بها
والخمر والسلسبيل والعسلُ
والحور تلقاهم وقد كشفت
عن الوجوه بها الأستار والكللُ

والعسجد: اسم للذهب، والكلل؛ جمع الأكليل: وهو شبه العصابة المزينة بالجوهر.

ويستحب للإنسان إذا قدم من الحج أن يقول ما رواه البخاري[١] في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا قفل من غزوٍ أو حجٍ أو عمرةٍ، يكبر على كل شرفٍ من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**».

ويستحب له إذا قَرُب من بلدته الإسراع إليها لما رواه البخاري[٢] في أفراده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر؛ فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حرَّكها.

وذكر الإمام عبد الكريم السمعاني في «تاريخه»، أن رجلاً من علماء خراسان جاء من سفر فخرج الناس لتلقيه؛ فبينما هو معهم يسير على هيئته؛ إذ لاحت له جدرانُ بلدته فتركهم وحرك حتى دخلها فقيل له في ذلك فقال: هكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.

ويستحب أن لا يطرق أهله ليلاً يتخونهم، وليأتهم بكرةً أو عشيةً وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه علمنا ذلك وقال: «**لتمتشط الشعثةُ، وتستحد المغيبة**»[٣] ومعناه: تتهيأ المرأة بإصلاح شأنها لقدوم زوجها؛ فعلى هذا ينبغي أن يرسل من يُعلم أهله بقدومه لتعمل مصالحه.

ويستحب اعتناق القادم وتقبيله في غير الفم، ومصافحته كما في

---

(١) رواه البخاري (١٧٠٣).

(٢) رواه البخاري (١٧٨٧).

(٣) من حديث جابر بن عبد الله رواه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (٧١٥).

«جامع الترمذي» عن عائشة رضي الله عنها لما قدم جعفر وأصحابه؛ تلقاه النبي ﷺ فقبّل ما بين عينيه واعتنقه[(١)] . وهكذا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إنه قبّل النبي ﷺ بعد وفاته، وكان ذلك بين عينيه.

وذكر ابن عبد ربه في «العقد»[(٢)]؛ تقبيل اليد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال: كنا نقبّل يد رسول الله ﷺ.

قال الشعبي: ركب زيد بن ثابت فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال له: لا تفعل يا ابن عم رسول الله، قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلماءنا فقال له زيد: أرني يدك؛ فأخرج إليه يده فأخذها وقبّلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

وقالوا: قُبلة (الأم)[(٣)] في اليد، وقبلة الأب في الرأس، وقبلة الأخ في الخد، وقُبلة الأخت في الصدر، وقُبلة الزوجة في الفم انتهى.

وذكر إسحاق بن إبراهيم في «مسائله» عن الإمام أحمد في باب الأدب قال: قيل له يعني لأحمد: يقدم الرجلُ حاجًا فيأتيه الناس وفيهم المشايخ أيقوم لهم؟ قال: قد قام النبي ﷺ لجعفر، وفي المعانقة احتج

---

(١) القصة في «جامع الترمذي» (٢٧٣٢) مع زيد بن حارثة وقصة جعفر عند الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٠٠) من حديث أبي جحيفة. قال الهيثمي (١٥٤٨٨): في رجال «الكبير» أنس بن سلم؛ لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. أهـ. ترجم له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٣١٢) وذكر له عدد لابأس به من الشيوخ والتلاميذ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

(٢) «العقد الفريد» (٢/ ٦).

(٣) في (ق): «الإمام».

بحديث أبي ذر أن النبي ﷺ عانقه، وسألته عن الرجل يلقى الرجل أيعانقه؟ قال: نعم، قد فعله أبو الدرداء رضي الله عنه انتهى. ذكر الشيخ عبد القادر في «الغنية» له كراهة تقبيل الفم، وقال ابن عبد القوي[١] في «منظومته»:

وحلٌ عناقٌ للملاقي تدينًا

ويكره تقبيلُ الفم افهم وقيدِ

وذكر الشيخ محي الدين النووي في «الرياض» له عن أبي الخطاب قتادة ابن دعامة قال: قلت لأنس أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم. رواه البخاري[٢].

وعن صفوان بن عسالٍ قال: قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي؛ فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات فذكر الحديث، إلى قوله: فقبّلا يده ورجله وقالا: نشهد أنك نبي، رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحة[٣]. وروى الإمام أحمد[٤] في المصافحة عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن نبي الله ﷺ قال: **«ما من مسلمين التقيا؛ فأخذ**

---

(١) هو الفقيه المحدث شمس الدّين أَبُو عبد الله محمد بن عبد القوي بن بدران ابن عبد الله الحنبلي، له عدة مؤلفات منها القصيدة الدالية، «مجمع البحرين»، ولم يتمه. انظر «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ٣٠٧) و«المقصد الأرشد» (٢/ ٤٥٩).

(٢) البخاري (٥٩٠٨).

(٣) الترمذي (٢٧٣٣) والنسائي في «الكبرى» (٤٠٧٨) وقال الترمذي: حسن صحيح قال ابن كثير (٣/ ٩٢): هو حديث مشكل، وفيه عبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه.

(٤) رواه أحمد (١٢٤٧٤)، وأبو يعلى (٤١٣٩). قال الهيثمي (١٢٧٦٤): =

أحدهما بيد صاحبه إلا كان حقًّا على الله ﷻ أن يحضر دعاءهما، ولا يفرق بين أيديهما؛ حتى يغفر لهما».

ويستحب له عند قدومه أن يأتي المسجد فيصلي فيه ركعتين، ثم ينطلق إلى أهله لما ثبت في «الصحيحين»(١) عن كعب بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد؛ فركع فيه ركعتين، وفي رواية أخرى كان ﷺ لا يقدم من سفر إلا في الضحى؛ فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم جلس فيه(٢). فإذا دخل بيته سجد لله شكرًا على ما أنعم عليه من قضاء نسكه وأداء فرضه، وجمع شمله وعوده إلى وطنه وأهله.

وروى الحافظ أبو نعيم عن سلام بن أبي مطيع قال: أتينا الجريري، وكان قدم من الحج فجعل يقول: أبلانا الله في سفرنا كذا، وأبلانا في سفرنا كذا ثم قال: كان يقال: تعداد النعم من الشكر.

والبلاء: الاختبار يكون بالخير، والشر، وبلوته اختبرته، قاله في «المجمل». حُكي عن أبي عبد الله محمد بن علي النهرواني قال: بلغني أن وقادًا لأتون(٣) حمام أتى بسلسلة عظام جمل ليوقدها قال: فألقيتها في المستوقد فعادت فخرجت فعدت فألقيتها فعادت فخرجت فألقيتها

= رجال أحمد رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وثقه ابن حبان ولم يضعفه أحد.
وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(١) البخاري (٢٩٢٢)، ومسلم (٧١٦).

(٢) البخاري (٤٤٠٠)، ومسلم (٧١٦).

(٣) الأتون: هو الموقد. «تاج العروس» (١/ ٧٩٥٠).

الثالثة فخرجت بشدة حتى وقعت في صدري، وإذا صوتُ هاتفٍ يقول: ويحك هذه عظام جمل قد سعى إلى مكة عشر مرات -يعني كيف تحرقها بالنار-.

فانظر رحمك الله إذا كانت هذه الرأفة بمطيهم؛ فكيف بهم؟.

لما أحست مطاياهم ثقل وجدهم شاركتهم في الحنين. شعر:

ما للمطايا تشتكي الفراقا
مشتاقةٌ قد حملت مشتاقا
إن بشّرتنا بقدوم حبنا
من النقا صنعنا لها الأطواقا

لما نهضت بحمل أعباء المشتاقين؛ شاركتهم في الأنضاء وظهر صدق موافقتها لهم في النحول ببرهان، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، وترنمت ألسنةُ مدحها بثناء، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾، وندب أربابها إلى الرفق بها بملاطفة، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾.

فسبحان من خلع على أربابها خِلعُ القبول، ووفقهم لحصول المأمول، وأنالهم اجتناء ثمر الوصول، وأعاضهم عن مشقة سفرهم بحسن الإياب والقفول؛ فآثار القبول عليهم لائحة، وأدلة الغفران لذنوبهم واضحة.

وورد هنا بشارة للحاج -في خبر مقطوع غير مرفوع- رواه وهب بن منبه قال مرة: مكتوب في التوراة، وقال أخرى: بلغنا أن الله تعالى يبعث يوم القيامة ملائكة من الملائكة المقربين، إلى البيت الحرام، مع كل

واحد منهم سلسلة من ذهب فيقول الله تعالى: اذهبوا إلى كعبتي فزموها بهذه السلاسل ثم مدوها إلى المحشر.

وفي لفظ آخر: ثم يردوها إلى المحشر، قال: فيأتونها فيزمونها بسبعمائة ألف سلسلة من ذهب، ثم يقولون لها: يا كعبة الله سيري إلى المحشر بإذن الله تعالى، فتقول الكعبة إن لي إلى الله طِلبةً وشفاعةً، قال: فينادي ملك من جو السماء يا كعبة الله، سلي تُعطي واشفعي تُشفّعي، قال: فتقول يا رب شفعني في جيراني الذين دفنوا حولي من المؤمنين والمؤمنات، فيقول الله: قد شفعتك فيهم فيحشرون حول الكعبة محرمين ملبين.

ثم تقول الملائكةُ: يا كعبة الله سيري فتقول: لست بسائرة حتى أُعطى سؤلي فينادي ملك من جو السماء: يا كعبة الله سلي تعطي فتقول: إلهي وسيدي عبادك المذنبون الذين وفدوا إليَّ من كل فج عميق؛ فشفعني اليوم فيهم فينادي ملك من جو السماء: يا كعبة الله أن فيمن أتاك منهم من ارتكب الذنوب، فتقول الكعبة: إنما أسألك الشفاعة فيهم، قال: فيقول الله تعالى شفِّعوا كعبتي، قال: فينادي منادٍ من جو السماء: يا كعبة الله إن الله قد أعطاك سؤلك وشفاعتك فسيري فتقول: حتى يجمع الله زواري حولي قال: فيجمعهم الله كلهم حول البيت الحرام.

وهكذا ورد أنها تقول في حق من مات قاصدًا لها في الطريق؛ فتشفع فيهم فتسير والحاج حولها يلبون ويطوفون؛ لا حساب عليهم ولا عذاب. ورُوي أن الكعبة تقول يوم القيامة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله عليك اليوم بشفاعة من لم يزرني، وأما من زارني فأنا

أكفيكه إن شاء الله تعالى[1]، والله المستعان.

ذكر ذلك بعض علماء السلف من أهل المغرب في كتابه، ولم أقف على اسمه في كتابه لخرمه لكن رأيت فيه كثيرًا من الأحاديث المسندة في الصحاح و«السنن» والمصنفات؛ تدل على غزارة علمه، واطلاعه على كثير من المصنفات، ولقد أنصف حيث نسبه إلى وهب بن منبه كما ترى ولم ينسبه إلى شيء من المسانيد والله أعلم بحاله وروايته، ورأيت تاريخ نسخة هذا الكتاب المنقول منه هذا الأثر خامس عشر في شهر رمضان العظيم سنة ثمان (وخمسين)[2] وخمس مائة.

فصل: وينبغي أن يجتهد الحاج قبل مفارقة رفيقه والجمال، أن يتحالوا من مظالم إن كانت جرت بينهم مثل غيبةٍ ونميمةٍ أو أخذِ عرضٍ أو تعرضٍ بمال؛ فما سلم من ذلك إلا القليل فإذا ذكر رفيقه فليثن عليه خيرًا، وليُغضَ عما سوى ذلك؛ فقد كان السلف بعد قفولهم لا يذكر أحدهم صاحبه إلا بخير، وليحذر من نظفت صحيفة عمله من الذنوب بالغفران أن يرجع إلى وسخ المعاصي؛ فالنكسة أشد من المرض.

ورُوي عن محمد بن مخلد أنه قال: قدمت من الحج مع قوم فدعتني نفسي إلى أمر سوء؛ فسمعت هاتفًا من ناحية البيت يقول: ويلك ألم تحج؟

---

(١) رواه بنحوه ابن مردويه والأصبهاني في «الترغيب» والديلمي عن جابر مرفوعا كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٢٩)، ورواه الجندي عن الزهري مقطوعا كما في الدر المنثور للسيوطي (١/ ٣٢٩).

(٢) في (ق): «وسبعين».

ويلك ألم تحج؟ فعصمني الله تعالى إلى الساعة، وأنشدوا في المعنى:

أهلاً بحجاج بيت الله والحرم
ماذا لهم من كراماتٍ ومن نعم

قضوا مأرِبَهم من حجهم وأتوا
مُفضَّلين على خلق من الأُمم

فماء زمزمهم يُشفي السقامَ به
ونور أوجههم يهدي من المظالم

زاروا النبي وجالوا حول حَجَرته
يا طيب طابة من وادٍ ومن أكم

يا أيها الركب قد ذاب المشوق بكم
وفي (لقاكم له)[1] بُرءٌ من السقم

سلو دياركم من بعد فُرقتكم
هل لاح فيها سنا برقٍ لمبتسم؟

سقا الربوع التي كنتم بها أبدًا
غيث السماء ومنهل من الدِيَمِ

اللهم اعصمنا وإياكم من الذنوب، ووفقنا للعمل بطاعتك فهو المطلوب، وأصلح ظواهرنا وبواطننا يا علام الغيوب، وألهمنا اللهم وإياكم ذكره ألا بذكر الله تطمئن القلوب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا.

---

(١) في (ق): «لقائكم».

المجلس الرابع

في شهر صفر الميمون والنهي عن النسيء فيه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ الآية [التوبة: ٣٧]، والنسيء؛ هو التأخير ومنه النسيئة في البيع، ومعنى النسيء؛ هو تأخير شهر إلى شهر آخر، وكانت العرب تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على التوالي، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر؛ فيحرمون صفر، ويستحلون المحرم، وكذلك كانوا يفعلون في الحج فكانوا يجعلون المحرم صفر ويقولون: إذا برأ الدَبر وعفا الأثر، وانسلخ صفر؛ حلت العمرة لمن اعتمر، وكذلك فعل النصارى -عليهم اللعنة- في تأخير صوم رمضان عنهم إلى فصل الربيع وصفر هو اسم هذا الشهر.

وقال ابن دريد: الصفران؛ شهران من السنة سمي أحدهما في الإسلام المحرم، والصفر الخالي ويقال: صفر لا صفر من خير.

وقال النبي ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**»[1] يعني، عادت حرمة كل شهر إلى موضعه، وبطل النسيء.

---

(١) من حديث أبي بكرة رواه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (١٦٧٩).

وثبت في «الصحيحين»[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا هامة**[٢] **ولا صَفر**» فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، يخالطها البعير الأجرب فيُجْرِبها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فمن أعدى الأول**»؟.

أما العدوى؛ فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه إلى من يقاربه من الأصحاء فيمرض بذلك، وكانت العرب تعتقد ذلك في أمراض كثيرة منها الجرب، ولذلك سأل الأعرابي عن الإبل الصحيحة يخالطها البعير الأجرب فتجرّب، فقال النبي ﷺ: «**فمن أعدى الأول**»، ومراده ﷺ أن الأول لم يَجْرب بالعدوى بل بقضاء الله تعالى وقدره، فكذلك الثاني وما بعده.

وقد وردت أحاديث أُشكل على كثير من الناس بعضها حتى ظن بعضهم أنها ناسخة لحديث لا عدوى، ففي «الصحيحين»[٣] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لا يورد ممرض على مصح**» والممرض؛ صاحب الإبل المريضة، والمصح؛ صاحب الإبل الصحيحة، والمراد النهي عن إيراد الإبل المريضة على الصحيحة ومثل قوله ﷺ: «**فر من المجذوم**

---

(١) البخاري (٥٣٨٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) هي طير من طير الليل كأنه يعني البومة قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلى نفسي أو أحدا من أهل داري فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله. انظر «فتح المجيد» (١/ ٢٩٤).

(٣) البخاري (٥٤٣٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

فرارك من الأسد»(١)، وقوله ﷺ في الطاعون: «إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها»(٢) ودخول النسخ في هذا كما تخيله بعضهم لا معنى له فإن قوله: «لا عدوى» خبرٌ محضٌ لا يمكن(٣) أن يكون ناسخًا للنهي في هذه الأحاديث الثلاثة، وما في معناها، والصحيح الذي عليه الجمهور من العلماء؛ أنه لا نسخ في ذلك.

واختلفوا في معنى قوله: «لا عدوى» [على أقوال](٤) وأظهرها قيل: أنه نفي لما تعتقده الجاهلية؛ من أن هذه الأمراض تُعْدي بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله ﷻ [لذلك، ويدل على هذا قوله: فمن أعدى الأول، يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله](٥) وقدره، كذلك الثاني، وما بعده.

وأما نهيه ﷺ عن إيراد الممرض على المصح، وأمره بالفرار من المجذوم، ونهيه عن الدخول إلى موضع الطاعون؛ فإنه من باب اجتناب الأسباب التي هي سبب البلاء إذا كان في عافية منها، فكما أنه مأمور أن

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٥٣٨٠).

(٢) من حديث ابن عباس رواه البخاري (٥٣٩٧)، ومسلم (٢٢١٩)، وفيه قصة طويلة.
وهذا الحديث وما في معناه؛ فيه أعجاز علمي للسنة المطهرة حيث أرشد النبي ﷺ إلى قاعدة أساسية في الطب الحديث، وهي قاعدة الحجر الصحي، ولم يعرفها العلماء والأطباء إلا في العصر الحديث.

(٣) كتب أمامها في حاشية (ق): نسخة (ولكن يمكن)

(٤) ليست في النسختين، والسياق يقتضيها.

(٥) مثبت من (ق).

لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو يدخل تحت الهدم، ونحوه مما جرت به العادة بأنه يُهلك أو يُؤذي؛ فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون؛ فإن هذه كلها أسباب المرض والتلف، والله تعالى هو الخالق الأسباب، ومسبباتها لا خالق غير ولا مُقدِّر غيره.

وقد روي في حديث مرسل خرجه أبو داود في «مراسيله» أن النبي ﷺ مر بحائط مائل فأسرع وقال: «**أخاف موتَ الفوات**»[1]. وروي متصلاً والمرسل أصح. وأما إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضائه وقدره؛ فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله، ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففي هذا الحال يجوز مباشرة ذلك كما ورد أن النبي ﷺ أكل مع مجذوم وقال: «**بسم الله ثقة وتوكلاً على الله**» رواه أبو داود والترمذي[2].

ونظير ذلك؛ ما روي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه من شرب السم؛ فهذا لا يصلح إلا لخواص من الناس؛ قوي إيمانهم بالله وقضائه وقدره وتوكلهم عليه ومن هذا قول إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار فعرض له

---

(١) رواه أبو داود في «المراسيل» (٤٧٧)، وعن أبي هريرة مرفوعا رواه أحمد (٨٦٥١)، وأبو يعلى (٦٦١٢) قال الهيثمي (٣٨٨٦): إسناده ضعيف.

(٢) من حديث جابر رواه أبو داود (٣٩٢٥)، والترمذي (١٨١٧) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس بن محمد عن المفضل بن فضالة والمفضل بن فضالة هذا شيخ بصري. قال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ١٦٠): فيه نظر، وقد أخرجه الترمذي وبين الاختلاف فيه على راويه، ورجح وقفه على عمر.

جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

وفي «مراسيل أبي داود»[(١)] أن النبي ﷺ قال: **«ليس عبد إلا ستدخل قلبَهُ الطيرة، فإذا أحس بذلك فليقل: أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يذهب السيئات إلا الله أشهد أن الله على كل شيء قدير»** [ثم يمضي لوجهه][(٢)].

وقال النخعي: [قال عبد الله بن مسعود: لا تضر الطيرة إلا من تطير، ومعنى][(٣)] هذا؛ أن من تطير تطيرًا منهيًا عنه أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريده من حاجته؛ فإنه قد يصيبه ما يكرهه؛ فأما من توكل على الله ووثق به؛ بحيث علق قلبه بالله خوفًا ورجاء، وقطعه عن الالتفات إلى هذه الأسباب المخوفة، وقال ما أُمر به من هذه الكلمات ومضى؛ فإنه لا يضره.

وأما قوله ﷺ: **«لا صَفر»** فاختلف في تفسيره، فقال كثير من المتقدمين: الصفر داء في البطن، يقال: إنه دود كبار كالحيات، وكانوا يعتقدون أنه يُعدي فنفى ذلك النبي ﷺ، وممن قال هذا من العلماء؛ ابن عيينة والإمام أحمد وغيرهما. وقالت طائفة: المراد بصفر شهر صفر ثم اختلفوا في تفسيره على قولين:

أحدهما: أن المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء كما

---

(١) «مراسيل أبي داود» (٥٣٩).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

تقدم، وهذا قول مالك.

والثاني: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شؤم؛ فأبطل النبي ﷺ ذلك حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولي عمن سمعه يقول ذلك، ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم من صفر، وربما ينهى عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء.

وقد روي أنه يوم نحس مستمر في حديث لا يصح[(١)] بل في «المسند»[(٢)] عن جابر: أن النبي ﷺ دعا على الأحزاب يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء؛ فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر قال جابر: فما نزل بي أمر مهم غائظ إلا توخيت ذلك الوقت فدعوت الله فيه؛ فرأيت الإجابة أو كما قال، وكذلك تشاءم الناس في أيام العجائز في آخر الشتاء وترك الأسفار ونحوها فيها، وكذلك تشاءم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة وقد قيل: أن طاعونًا وقع في شوال في سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية.

وقد ورد الشرع بإبطاله قالت عائشة ﵂: تزوجني رسول الله ﷺ في

---

(١) الحديث الوارد في أن الأربعاء يوم نحس ذكره العجلوني في «كشف الخفا» (٢١٩١) وقال: «قال في «المقاصد»: «لم أقف له على أصل».

(٢) رواه أحمد (١٤٦٠٣)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٤٣١)، والبيهقي في «الشُعب» (٣٨٧٤). قال المنذري (١٨٥٠): «إسناد أحمد جيد». وقال الهيثمي (٥٩٠١): «رجال أحمد ثقات».

شوال، وبنى بي في شوال فأي نسائه كان أحظى عنده مني؟، وكانت عائشة تحب أن تدخل نسائها في شوال[١]، وتزوج النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها في شوال أيضًا.

وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره؛ فغير صحيح، وإنما الزمان كله خلق الله تعالى، وفيه تقع أعمال بني آدم؛ فكل زمان شَغَلَهُ المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه؛ فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى كما قال ابن مسعود: إن كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحيين يعني اللسان. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**الشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة**»[٢].

وروي عن عائشة أنها أنكرت ذلك أن يكون من كلام النبي ﷺ وقالت: إنما قال كان أهل الجاهلية يقولون ذلك خرجه الإمام أحمد[٣]. قال معمر: سمعت من فسر هذا الحديث يقول: شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يَغْزُ عليه في سبيل الله، وشؤم الدار جار السوء.

وقال ابن عباس: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء

---

(١) مسلم (١٤٢٣) والترمذي (١٠٩٣) وقال: حسن صحيح.

(٢) من حديث ابن عمر رواه البخاري (٢٧٠٣) ومسلم (٢٢٢٥).

(٣) من حديث عائشة رواه أحمد (٢٦١٣٠). قال الهيثمي (٨٤٠٥): رجاله رجال الصحيح.

ما يشاء من القدر. والعدوى التي تهلك من قاربها هي المعاصي؛ فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك، وكذلك مخالطة أهل المعاصي، ومن يُحسِّن المعاصي ويزينها ويدعو إليها من شياطين الإنس، وهم أضر من شياطين الجن. وقال بعض السلف: شيطان الجن تستعيذ بالله منه فينصرف، وشيطان الإنس لا يبرح حتى يوقعك في المعصية.

وفي الحديث «**يحشر**[(١)] **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٢)]. وفي حديث آخر «**لا تصحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(٣)] ومما يروى لعلي بن أبي طالب ﷺ من الشعر في المعنى:

لا تصحب أخا الجهل
وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى
حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء
إذا ما هوّ ما شاه
وللشيء من الشيء
مقاييس وأشباه

---

(١) كذا في النسختين، والحديث في مصادر التخريج بدونها.

(٢) من حديث أبي هريرة رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وقال: حسن غريب.

(٣) من حديث أبي سعيد رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وقال: حديث حسن.

وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه

فالعاصي شؤم على نفسه وعلى غيره؛ فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب؛ فيعمُّ الناس خصوصًا من لم ينكر عليه؛ فالبعد عنه مُتعين.

وفي المعنى: شعر

طاعة الله خيرُ ما كسب العبدُ
فكن طائعًا لله لا تعصيَنه
ما هلاك النفوس إلا المعاصي
فاجتنب ما نهاك لا تقربنه
إن شيئًا هلاكُ نفسك فيه
ينبغي أن تصون نفسك عنه

فصل: في فضل سماع المواعظ وحضور القلب بها والتيقظ من الغفلة

يا من ضاع قلبه أُنشده؛ في مجلس الذكر عسى أن تجده. يا من مرض قلبه أحمله إلى مجلس الذكر لعله أن يعافى.

مجالس الذكر مارستان[1] الذنوب تداوى فيها أمراض القلوب كما تداوى أمراض الأجسام والأبدان في مارستان الدنيا، وهي نزهة لقلوب المؤمنين؛ تتنزه فيها بسماع كلام الحكمة كما تتنزه أبصار أهل الدنيا في

---

(١) بكسر الراء معرب، و أصله كلمتان ومعناه بيت المرضى. انظر «المصباح المنير» (٢/ ٥٨٥).

رياضها وبساتينها. مجالسنا يا هذا خُضرة في روضة الخشوع؛ طعامنا فيه الجوع، شرابنا الدموع، ونقلنا هذا الكلام المسموع؛ نداوي به أمراضًا أعيت جالينوس وبختيشوع. فيه درياق الذنوب وفاروق المعاصي فمن شرب لم يكن له إلى المعصية رجوع.

كم أفاق فيه من المعصية مصروع، وبرأ فيه من الهوى ملسوع، ووصل إلى الله فيه مقطوع، ما عيبه إلا الطبيب الذي له لو كان يستعمل ما يصف للناس لكان إلى قوله المرجوع. يا ضيعة العمر إن نجا السامع وهلك المسمع، يا خيبة المسعى إن وصل التابع وانقطع المتبوع، وأنشد:

وغير تقي يأمر الناس بالتُّقى
طبيب يداوي الناس وهو عليل
فيا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإن انتهت عنه فأنت (حكيم)(١)

وأنشدوا:

كم ذا التمادي فها قد جاءنا صفر
شهر به الفوز والتوفيق (والظفر)(٢)

---

(١) في (ق): «عليم».
(٢) في (ك): «والنظر».

فابدأ بما شئت من فعل تُسرُّ به
يوم المعاد ففيه الخير ينتظر
توبوا إلى الله فيه من ذنوبكم
من قبل يبلغ فيكم حدة العمر

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واعصمنا من الفواحش والذنوب يا كريم، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار يا أرحم الراحمين أجمعين.

المجلس الخامس

في شهر ربيع الأول

وفيه مجلسان الأول في مولد سيدنا رسول الله ﷺ وسميته كنز الفوائد في أشرف الموالد.

الحمد لله الذي عرَّى دليل وجوده عن لباس الالتباس، وعزَّ بانقطاع عزته عن مماثلة الأنواع والأجناس، لا يطرقه نوم، ولا يجوز عليه نُعاس، ولا يعزب عن سمعه حركات القلم بقطع بيداء القرطاس، ولا يخفى بصره تصاعد الماء في ثمار الأغراس، استوى على العرش استواء يليق بجلاله لا كاستواء الجُلاّس.

أرسل محمدًا ﷺ إلى قوم جبابرة عتاةٍ أشراس؛ فذلل منهم كل من عتا وعاس، ونكَّس بمولده الأصنام على الراس، وانشق إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرافةً بعدد من سيملك منهم من الناس، وخمدت نار فارس، وبحيرة ساوة غاضت على غير القياس، واختاره مولاه وقدَّمه على الخلق؛ فهو بمنزلة العين من الراس، وأيام دولته كأيام التشريق وليلات الأعراس؛ فتعجبت قريش ممن عنى بالفضل بعد فقر الإفلاس؛ فرماهم القرآن بسهام الجدل لا عن أقواس ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢] .

أحمده والحمد له واجب مع الأنفاس، وأشكره والشكر لازم على

اللسان وفي الأطراس[١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الجِنة والناس، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي نسخت شريعته سائر الشرائع، وأزالت عن الناس الأدناس، صلى الله عليه وعلى أصحابه السادة الأكياس، وسلم تسليمًا كثيرًا [وشرَّفَ وعظمَ وكرَّمَ][٢].

أما بعد:

اعلموا معشر الموحدين أن الله تعالى اختارنا على سائر الأمم أجمعين، وامتنَّ علينا ببعثة سيدنا محمدٍ رسول رب العالمين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؛ فليس لله منَّةٌ علينا أعظم من إرسال محمدٍ ﷺ إلينا؛ يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وقد رحمنا الله به ورحم الخلق أجمعين فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

واعلموا أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والاختيار وقال: -وهو الملك العزيز الجبار- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، والمراد بالاختيار هاهنا؛ الاجتباء والاصطفاء، والوقف التام على قوله ويختار، ويكون ما كان لهم الخيرة نفيًا؛ أي ليس هذا الاختيار إليهم؛ بل هو الخالق وحده ﷻ؛ فهو القاسم وحده لا غيره ولا شريك له؛

---

(١) مفردها طرس؛ وهي الصحيفة. انظر «المصباح المنير» (٢/ ٣٧١).

(٢) مثبت من (ق).

يخلق كخلقه ويختار كاختياره ويدبّر كتدبيره.

خلق السموات سبعًا، واختار العليا منها، وخلق الملائكة عليهم السلام، واختار منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل واختار الأنبياء عليهم السلام [من ولد](١) آدم، وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، واختار الرسل منهم، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما رواه الإمام أحمد وابن حبان(٢)، واختار أولي العزم منهم، وهم الخمس المذكورون في سورة الأحزاب والشورى في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الشورى: ١٣].

واختار منهم الخليلين إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-، واختار إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة بن خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشًا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمدًا ﷺ.

وروى الحاكم في «مستدركه» من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«قال لي جبريل عليه السلام: يا محمد، قلبت الأرض مشارقها ومغاربها؛ فلم أجد رجلاً أفضل من محمدٍ، ولم أجد بني أب**

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) من حديث أبي ذر رواه أحمد (٢١٥٨٦)، وابن حبان (٣٦١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدا.

أفضل من بني هاشم»[(١)]، وفيه[(٢)] أيضًا عن ابن عمر مرفوعًا: **«إن الله خلق السموات سبعًا؛ فاختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار منهم بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مُضر، واختار من مُضر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار إلى خيار»**.

وقد كان ذكر النبي ﷺ مشهورًا من قبل أن يخلقه الله تعالى، ويخرجه إلى دار الدنيا حيًا، وكان ذلك مكتوبًا في أم الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام كما خرّج الإمام أحمد في «مسنده»[(٣)] من حديث العرباض ابن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«إني عند الله في أم**

---

(١) رواه الحاكم في الكنى كما في «كنز العمال» (٣١٩١٣) وهو عند الطبراني في «الأوسط» (٦٢٨٥) وقال الهيثمي (١٣٨٢٩): فيه موسى بن عبيدة الربذي؛ ضعيف.أ هـ قال المناوي في «فيض القدير» (٦٠٧٤): قال ابن حجر في أماليه: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

(٢) رواه الحاكم (٦٩٥٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٥/ ١٣٦٥٠) و«الأوسط» (٦١٨٢) ابن عدي (٢/ ٢٤٨) في ترجمة حماد بن واقد، (٦/ ٢٠٠) في ترجمة محمد بن ذكوان. قال الهيثمي (١٣٨٢٣): فيه حماد بن واقد؛ ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.أ هـ قال ابن عدي في الموضع الأول: هذا الحديث يعرف بحماد بن واقد عن محمد بن ذكوان ولحماد بن واقد أحاديث، وليست بالكثيرة وعامة ما يرويه مما لا يتابعه الثقات عليه.وقال في الموضع الثاني: وهذا لا أعلم يرويه غير محمد بن ذكوان، ولمحمد بن ذكوان غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه إفرادات وغرائب، ومع ضعفه يكتب حديثه.

(٣) رواه أحمد (٧١٩٠)، والحاكم (٤١٧٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته» وخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد. وأم الكتاب: هو اللوح المحفوظ والذكر؛ يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وفي «صحيح مسلم»[١] عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله كتب مقادير الخلائق؛ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**» ومن جملة ما كتب الله في هذا الذكر أن محمدًا خاتم النبيين، ولهذا قال سعيد بن راشد: سألت عطاء هل كان النبي ﷺ نبيًا قبل أن يخلق؟ قال: إي والله، وقبل أن تخلق الدنيا بألفي عام، خرجه أبو بكر الآجري في كتاب «الشريعة»، وهذا إشارة إلى كتابة نبوته ﷺ في أم الكتاب عند تقدير المقادير.

وروى صاحب كتاب «مصباح الظلام»[٢] وغيره من علماء الإسلام عن ميسرة قال: قلت يا رسول الله متى كُتبت نبيًا؟ قال: «**لما خلق الله الأرض، واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، وخلق العرش فكتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء؛ فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب**

---

(١) مسلم (٢٦٥٣).

(٢) مؤلفه هو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليم أبو محمد الشافعي له مؤلفات كثيرة نافعة منها «مرآة الجنان»، و«روض الرياحين في حكايات الصالحين» توفي سنة ٧٦٧هـ انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ٣٣).

والخيام، وآدم بين الروح والجسد؛ فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله تعالى أنه سيد ولدك؛ فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه؛ فتاب عليهما»[١] وذكره الحافظ ابن منده عن ميسرة الفجر فذكره.

قال شيخنا في «اللطائف» وفي حديث ميسرة (الفجر)[٢] قلت: يا رسول الله متى كنت نبيًا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» أخرجه الإمام أحمد والحاكم[٣]، قال الإمام أحمد في رواية مُهنا: وبعضهم يرويه متى كتبت من الكتابة؛ فإن صحت هذه الرواية حملت مع حديث العرباض على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج؛ فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب انتهى، زاد الحافظ البيهقي في رواية أن آدم عليه السلام قال: «**أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي**» فقال: «**إنه لأحب الخلق إليَّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك وهو خير الأنبياء من ذريتك وتاب الله عليه ورحمه**»[٤] وإلى هذا أشار الصرصري

---

(١) رواه أحمد (٢٠٦١٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٣٥٣) وقال الهيثمي (١٣٨٤٨): رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيه ميسرة الفجر.

(٢) في النسختين «الظبي»، والصواب المثبت، وهو الموافق لما في المصادر و«لطائف المعارف».

(٣) رواه أحمد (٢٠٦١٥)، والحاكم (٤٢٠٩) وصححه وأقره الذهبي. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيه ميسرة الفجر.

(٤) من حديث عمر رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٢٨)، والطبراني في =

[في بيت له في كتابه نور النبي محمد](١):

أمـا الله إجـلالاً لـه كـتـب اسـمـه
علـى عرشـه يا رتـبةً سـمـت الـرتـب

وفي كتاب «الشفاء» للقاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ أن قريشًا كانت نورًا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه؛ فلما خلق الله آدم ألقي ذلك النور في صلبه.

وروي أن موسى وعيسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ كانا يتوسلان إلى الله تعالى بمحمد ﷺ. وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: **«لما خلق الله آدم؛ اهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله تعالى ينقُلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة؛ حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»**(٢) ويشهد لهذا شعر العباس عم النبي ﷺ في مدحه فيه ﷺ بقوله:

من قبـلـهـا طـبـت فـي الـظـلال وفـي
مـسـتـودع حـيـيـت بـخـصـف الـورقُ

= «الأوسط» (٦٥٠٢) وفي «الصغير» (٩٩٢) قال الهيثمي (١٣٩١٧): فيه من لم أعرفهم. اهـ، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي فحكم بوضعه.

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه ابن عساكر (٣/ ٤٠٨) وقال: غريب جدا. انتهى وفي سنده سلام بن سليمان المدائني ضعيف. قال ابن عدي (٣/ ٣١٢): منكر الحديث وعامة ما يرويه لا يتابع عليه.

ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علقُ
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرًا وأهله الغرقُ
ووردت نار الخليل مكتتمًا
تجول فيها ولست تحترقُ
تنقل من صالب إلى رحم
إذا مضى عالم بدا طبقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندق عليا تحتها (الفلقُ)(١)
وأنت لما ولدت أشرقت
الأرض وضاءت بنورك الأفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي
النور وسبل الرشاد نختَرقُ

وذكر شيخنا زين الدين ابن رجب في «اللطائف» أنه روى ابن سعد في رواية جابر الجعفي عن الشعبي قال: قال رجل للنبي ﷺ: متى استنبئت؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد؛ حين أخذ مني الميثاق**»(٢) وهذه الرواية؛ تدل على أنه حينئذ استخرج من ظهر آدم ونُبئ وأخذ

---

(١) في (ك): «النطق».

(٢) ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٤٨) وجابر الجعفي؛ ضعيف رافضي كما قال ابن حجر في «التقريب».

ميثاقه؛ فيحتمل أن يكون ذلك دليلاً على أن استخراج ذرية آدم من ظهره، وأخذ الميثاق منهم كان قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام فقد روى هذا عن سليمان الفارسي وغيره من السلف، ويستدل له أيضًا بظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، قال مجاهد: المراد إخراج ذرية آدم؛ فمحمد ﷺ هو المقصود.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية، ومعلوم أنه لم يبعث في مكة رسول منهم بهذه الصفة غير محمد ﷺ. قال كعب: في الكتب السالفة محمد رسول الله؛ مولده بمكة ومهاجره يثرب، وملكه بالشام، ومن مكة بدأت نبوته ﷺ وإلى الشام ينتهي ملكه، ولهذا أسرى به ﷺ إلى الشام إلى بيت المقدس كما هاجر (ابن مريم)(١) عليه السلام، ومن قبله إلى الشام [فإنه لم يبعث الله نبيًا إلا منها](٢) ؛ فإن لم يبعث منها هاجر إليها انتهى.

وذكر الحُجري في «تاريخه» أن النبي ﷺ لما كان نورًا في وجه أبينا آدم عليه السلام، وانتقل إلى حواء المباركة الطاهرة؛ فحملت بشيث النبي عليه السلام؛ فلما وضعته انتقل ذلك النور إليه، ولم يزل نوره ﷺ في الانتقال حتى ظهر حسن وبديع الجمال، ولاح نور الإيمان، وجاء العز والإقبال حتى تكامل الدين أي إكمال، وسبقت به البشائر من قبل ظهور جماله وخلقته الباهرة، وشهدت له الأحبار بأنه النبي المختار.

---

(١) في (ك): «إبراهيم».
(٢) مثبت من (ك).

وذكر الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وصاحب «منجز السول في معجز الرسول» أن عبد المطلب جد النبي ﷺ بينا هو نائم في الحجر انتبه مذعورًا، قال العباس: فتبعته، وأنا يومئذ غلام أعقل ما يقال: فأتى كهنة قريش فقال: رأيت كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري، ولها أربعة أطراف؛ طرف قد بلغ مشارق الأرض، وطرف قد بلغ مغاربها، وطرف قد جاوز عنان السماء، وطرف قد جاوز الثري؛ فبينا أنا أنظر عادت شجرة خضراء لها نور.

فبينا أنا كذلك قام عليّ شيخان فقلت لأحدها: من أنت؟ قال: أنا نوح نبي رب العالمين، وقلت للآخر: من أنت؟ قال: إبراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت. قالوا: إن صدقت رؤياك؛ ليخرجن من ظهرك نبي يؤمن به أهل السموات، وأهل الأرض، ودلت السلسلة على كثرة أتباعه وأنصاره وقوتهم؛ لتداخل حلق السلسلة، ورجوعها شجرة؛ يدل على ثبات أمره وعلو ذكره، وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح، وستظهر به ملة إبراهيم وإلى هذا وقعت إشارة النبي ﷺ يوم حنين حيث قال: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**»(١) كأنه يقول: أنا ابن صاحب تلك الرؤية مفتخرًا بها؛ لما فيها من علم بنبوته، وعلو كلمته.

وكذلك رؤيا بختنصر؛ لما غزا بيت المقدس رأى صنمًا قدماه وساقاه من فخار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة وصدره من

---

(١) من حديث البراء بن عازب رواه البخاري (٢٧٠٩).

ذهب، وعنقه ورأسه من حديد، ثم أرسل الله عليه [صخرة](١) من السماء فهشمته فصار رفاتًا، ثم عظمت تلك الصخرة حتى ملأت الدنيا فسّرها له دانيال النبي عليه السلام فقال: [الصنم](٢) مثل لمُلكِ ملوك الدنيا، وكان بعضهم ألين ملكًا من بعض، وكان أول الملك فخّارًا وهو أضعف، ثم كان النحاس وهو أفضل منه وأشد، ثم كانت الفضة فوقه وهي أفضل وأعز، ثم كان فوقه الذهب، وهو أحسن وأفضل من ذلك كله ثم كان الحديد فوقه، وهو ملكك أشد ملك وأعز مما كان قبله، والصخرة التي أرسل الله عليه من السماء؛ نبي يبعث في آخر الزمان فيدق ذلك كله أجمع، وتمتلئ الدنيا بدينه ويصير الأمر إليه، ويُقيم الله له ملكًا لا يزول أبدًا ما بقي الدهر. ذكره الثعلبي في العرائس.

وذكر ابن أبي الدم(٣) أن العباس عم النبي ﷺ قال: رأيت في منامي كأن طائرًا أبيض خرج من منخر أخي عبد الله، وطار حتى بلغ المشرق والمغرب، ثم عاد فسقط على بيت الكعبة؛ فسجدت له قريش كلها؛ فعُبر له أنه يخرج من صلبه؛ ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعًا له ﷺ.

ومن ذلك قصة أهل الفيل في سنة مولده، وكان فيها آية بينة على الإله

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) فقيه شافعي عظيم القدر اسمه إبراهيم بن عبد الله بن عبد المُنعم بن علي بن محمد بن أبي الدم القاضي، له مؤلفات عدة منها؛ «شرح الوسيط» وَكتاب «أدب القضاء» وكتاب في التاريخ. انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ١١٦).

المسخر للطير، وإنما فعل ذلك لنصرة من ارتضاه، وهلكة من عاداه.

وكذلك رؤيا جده عبد المطلب في المنام مكان زمزم، بعد أن طمست وتناسى الناس أمرها؛ فلما حفرها وظهر الماء عظّمته قريش، وكان نذر إن تكمل له عشرة من الولد؛ ليذبحن أحدهم فلما تكامل له الأولاد العشرة، وهم الحارث، والزبير، وحَجَل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، وحمزة، والعباس، وأبو طالب وعبد الله والد رسول الله ﷺ؛ فألقى القرعة عليهم؛ فخرجت على عبد الله ثم خرجت بعد ذلك على مائة من الإبل فنحرها عنه، ثم أخذ بيد عبد الله فزوجه آمنة بنت وهب.

وكان نور نبينا ﷺ يرى بين عيني والده عبد الله ساطعًا؛ فلما دخل بآمنة بنت وهب، وحملت برسول الله ﷺ؛ انتقل ذلك النور إليها، وكانت أم قتال بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل قد عرضت نفسها على عبد الله؛ ليتزوجها، وذلك لما رأت من النور بين عينيه حين كان في صلبه رسول الله ﷺ، ولما كانت تسمعه من أخيها ورقة من صفة رسول الله ﷺ الذي يبعث في آخر الزمان، وأنه من ولد إسماعيل؛ فلما حملت آمنة جاء إليها ليتزوجها بعد ذلك فأبت عليه وقالت: لا أرى بين عينيك النور الذي رأيته أول مرة، وتأسفت عليه وقالت في ذلك أشعار فمنها قَولِها:

علـيـك بـآل زهـرةَ حـيـثُ كـانـوا
وآمـنـة الـتـي حـمـلـت غـلامـا

تـرى الـمـهـدي حـيـن يـرى عـلـيـهـا
ونـــورًا قـــد قـــدمـــه أمـــامـــا

وكلُ الخلقِ يرجُوهُ جميعًا
يسود الناس مهتديًا إماما
بَراه الله من نور صفاء
فأذهب نورُهُ عنّا الظلاما
وذلك صنعُ ربكَ إذ حباه
إذا ما سار يومًا أو أقاما
فَيَهدي أهل مكة بعد كفر
ويفرضُ بعد ذلكم الصياما

وذكر ابن الجوزي أن هذه المرأة؛ فاطمة بنت مرة، وكانت من أجمل النساء وأعفّهُنّ؛ عرضت عليه مائة (من الإبل)[1] مثل ما نحر أبوه عنه فنظر إليها وقال:

أما الحرام فالمماتُ دونه
والحِلُّ لا حِلٌّ فاستبينه
....
يحمي الكريم عرضه ودينه[2]

ويروى أنها قالت له: لست بصاحبة ريبة؛ فأخبر زوجتك أنها قد حملت بخير أهل الأرض، وإني لأحسبك أبا النبي المبعوث الذي قد أظل زمانه، ومن شعرها في ذلك هذه الأبيات:

---

(١) في (ق): «مرة».
(٢) عجز بيت أوله «فكيف بالأمر الذي تبغينه»

إنــي رأيــت مــخــيــلــةً نــشــأت
فــتــلألأت بــحــنــاتــم[1] الــقــطــر
فــلــمَّــا بــهــا نــور يــضــيء بــه
مــا حــولــه كــإضــاءة الــفــجــر
ورأيــت ســقــيــاهــا حَــيًــا بــلــدٍ
وقــعــت بــه وعــمــارة الــقــفــر
لله مــا زهــرتــه ســلــبــت
مــنــك الــذي ســلــبــت ومــا تــدر

وفي «غريب الحديث» لابن قتيبة؛ أن هذه المرأة ليلى العدوية، وذكر السيهلي أن اسمها رقيقة والله أعلم. قال ابن الجوزي في «الحدائق» عن آمنة أنها قالت: إني حملت به؛ فلم أحمل حملاً هو أخف منه، قال ابن الجوزي: إنما هو بكسر الحاء؛ لأنها لم تحمل قط سواه؛ فعلى هذا يكون بكرها ﷺ.

وروى ابن إسحاق عمن حدث عن حليمة التي أرضعته أن آمنة بنت وهب حدثتها قالت: إني حملت به؛ فلم أر حملاً قط كان أخف علي منه ولا أعظم بركة. وقال ابن إسحاق أيضًا: كانت آمنة بنت وهب تحدث أنها أُتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة؛ فإذا وقع إلى الأرض فقول: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وآية ذلك أنه يخرج معه نوُرٌ يملأ قصور بُصري من أرض الشام، فإذا وقع إلى الأرض فسميه محمدًا؛ فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده

---

(١) حناتم القطر: السحابة السوداء المملوءة بالماء. «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٤٤١).

أهل السماء والأرض، واسمه في الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء والأرض، واسمه في القرآن محمد ﷺ .

وقال السهيلي: استضاءت بنوره قصور الشام، وكانت فيها الخلافةُ مدة بني أمية. وقال ابن كثير: ولهذا كانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام، وأول بلد دخلها الصحابة رضي الله عنهم بالشام على يد خالد بن الوليد الشجاع الهمام، لقاه الله في حياته [وفي مماته][١] بالتحيات والإكرام. وكان عمرو بن سعيد بن العاصي، قد أُري قبل المبعث بيسير نورًا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر من نخيل يثرب فقصها فقيل: إنها بئر بني عبد المطلب، وإن هذا النور منهم؛ فكان ذلك سبب إسلامه.

فصل في أسمائه ﷺ.

فمنها محمد؛ اسمه المشهور الذي سماه الله تعالى به قبل أن يُسمِّى به نفسه؛ فألهم الله تعالى أهله أن سموه محمدًا؛ لما فيه من الصفات المحمودة؛ ليتطابق الاسم والمعنى كما قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه: في أبيات

ألم تر أن الله أرسل عبدَه
ببرهانه والله أعلى وأمجدُ
وشق له من اسمه ليجلَّهُ
فذو العرش محمود وهذا محمد

قال السُهيلي: المحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من

---

(١) مثبت من (ق).

أُكرم مرة بعد (مرة)[1]، وكذلك المُمدح نحو ذلك، وأنشدوا:

محمدًا سموا نبي الهدى
وهو أحق الناس بالحمد
اسم له رب العلى اشتق من
أسمائه العالية المجد
صلى عليه الله ما أشرقت
شمس الضحى في فلك السعد.

ومن أسمائه ﷺ أحمد كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وذكره موسى عليه السلام في المناجاة وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد؛ فبأحمد ذكر من قبل أن يذكر بمحمد ﷺ.

ومن جملة أسمائه البشير النذير، والسراج المنير، النبي الأمي، العربي، المكي، المدني، الرسول، المرسل، الشهيد، المصدق، النور، المسلم، المبشر، المنذر، المبين، العبد، الداعي، الإمام، الذكر، المذكر، الهادي، المهاجر، العامل، المبارك، الرحمة، الآمر الناهي، الطيب الكريم، المحلل المحرم، الواضع الرافع، المخبر، خاتم النبيين، ثاني اثنين، منصور، أذن خير، مصطفى، أمين، مأمون، قاسم، نقيب، المزمل، المدثر، العلي، الحكيم، المؤمن، الرؤوف، الرحيم، الصاحب، الشفيع، المشفع، المتوكل، الماحي، الحاشر، المقفى، العاقب، نبي التوبة، نبي الرحمة، عبد الله، نبي الحرمين، ذكر

---

(١) في (ق): «أخرى».

هذه الأسماء القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب «أحكام القرآن» في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وذكر ابن هشام في «السيرة» نسب النبي ﷺ فقال: هو محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن يترح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إبراهيم خليل الرحمن بن آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعوا بن فالغ بن عيبر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمُلك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام فيما يزعمون بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام وآدم خلقه الله من تراب، والأكثرون يذكرون نسب النبي ﷺ إلى إبراهيم الخليل، ثم يقولون، وهو أبو الأنبياء عليهم السلام، وهو مذهب مالك رضي الله عنه فإنه كره ذلك.

وحكى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أددتم ثم يمسك، ويقول: كذب النسابون، وأجاز رفع نسبه؛ ابن إسحاق والطبري، وأبو عبد الله البخاري والزبيريون وغيرهم حكاه السهيلي.

وذكر [الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة»(١) عن أبي بردة عن أبيه قال: رأت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ في منامها فقيل لها: إنك حملت

---

(١) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٧٨).

بخير البرية، وسيد العالمين فإذا ولدتيه؛ فسميه أحمد ومحمد، وعلقي عليه هذه قال: فانتبهت، وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب فيها؛ أُعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وكل خلقٍ رائد، من قائم وقاعد عن السبيل حائد، على الفساد جامد من نافث أو عاقد، وكل خلق مارد يأخذ بالمراصد في طرق الموارد، أنهاهم عنه بالله الأعلى، وأحوطه منهم باليد العليا، والكف الذي لا يرى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، لا تَطردوه ولا تَضروه؛ في مقعد ولا منام، ولا سير ولا مقام، أول الليالي وآخر الأيام أربع مرات بهذا.

واختلف العلماء ﷺ كم أقام رسول الله ﷺ حملاً في بطن أمه؟ فقيل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: سنةً وقيل: سبعة وقيل: ثمانية، وتوفي أبوه عبد الله وهو حمل، وقال الواقدي وكاتبه محمد بن سعد: لا يثبت أنه توفي وهو حمل؛ بل توفي بعد ولادته بسبعة أشهر والله أعلم.

فصل في صفة ولادته ﷺ

وكان ذلك بمكة في الدار التي كانت له بزقاق المولد، وهذه الدار بَنتها الخيزران جارية الخليفة المهدي مسجدًا، وذلك في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة خلت من عام الفيل سنة اثنين وثمان مائة من تاريخ الإسكندر الرومي في أيام كسرى أنوشروان، وعليه أكثر أهل العلم. وقيل: ولد أول اثنين منه، وقيل: لثمان خلون منه.

وقال في «الروض الأنف»: أنه ﷺ ولد في رمضان. وقال شيخنا في

«اللطائف»، واختلفوا في أي شهر؟ فقيل: في شهر رمضان، وقيل: في رجب ولا يصح، وقيل: في ربيع الأول وهو المشهور، وهو قول الجمهور، والصحيح الذي عليه الجمهور؛ أنه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وهو قول ابن إسحاق وغيره انتهى.

وكان ذلك لعشر مضت من نيسان، وقيل: في الثاني والعشرين منه، وذلك بالغُفر من المنازل، وهو مولد النبيين، ولذلك قيل: خير منزل في الأبد بين الزباني والأسد، وهو مولد النبيين. ويُروى عن سهل بن عبدالله قال: لما أراد الله خلق محمدٍ ﷺ في بطن أمه آمنة في شهر رجب، أمر في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح أبواب الفردوس الأعلى، وينادي مناد في السموات والأرض، ألا إن النور المخزون الذي يكون منه النبي الهادي العربي القرشي التهامي محمد في هذه الليلة يستقر في بطن أمه؛ فعلى هذا تكون مدة حمله تسعة أشهر والله أعلم.

وفي كتاب الشفا للقاضي عياض أن قابلة النبي ﷺ، وهي «الشفاء»، وقيل: العنقاء بنت عون بن الحارث أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط على يديها سمعت أي بأذنيها قائلاً يقول: يرحمك ربك، ورأت أي بعينيها؛ أنه أضاء لها ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الشام، وهذه الشفاء أسلمت بعد ذلك وهاجرت رضي الله عنها.

وولد ﷺ مسرورًا؛ أي مقطوع السرة، مختونًا؛ أي مطهر وقيل: بل ختنه جده يوم سابعه، وقيل: اختتن في يوم شق الملائكة قلبه عند حليمة. وفي رواية قالت آمنة: ولدته جاثيًا على ركبتيه ينظر إلى السماء،

ويشير إليها ثم قبض قبضة من الأرض، وأهوى ساجدًا فغطيته ببُرمة؛ لئلا يراه أحد قبل جده أو قالت: بآناء فانفلق عنه وإذا به يمص إبهامه، وهو يشخُبُ لبنًا، وسمعت قائلاً يقول: أبشري يا آمنة، فقد ولدت سيد هذه الأمة.

فائدة: في قبضه من الأرض قبضة قال بعض القافة: إن صدق الفأل؛ ليغلبن أهل الأرض. وفي «توثيق عرى الإيمان»[1] قال: وحكي أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا ﷺ حين ولد باسطًا يديه إلى الأرض، رافعًا رأسه إلى السماء. وروى الحافظ البيهقي بسنده عن عثمان بن أبي العاص الثقفي عن أمه أنها شهدت ميلاد النبي ﷺ قالت: فما شيء من أن أنظر إليه من البيت إلا وهو نور يتلألأ أرى ذلك بعيني، وإني لأنظر إلى النجوم تدنوا حتى إني لأقول ليقعن عليّ.

وفي ليلة ميلاد رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وانشقت منه الحيطان، وسقطت أربعة عشر شُرافة بعدد من سيملك منهم من سلطان؛ وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام من الأزمان، ورأى عالم المجوس المدعو بالموبذان؛ رأى إبلاً صعابًا تقود خيلاً عِرابا قد قطعت دجلة، وانتشرت في تلك البلدان، وفسّرها لهم سطيح فقال: يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قال:

---

(١) مؤلفه هو هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدِّين ابراهيم بن هبة الله بن مُسلم الحموى الشَّافِعِي الشهير بالبارزي له الكثير من المصنفات منها «الإحكام على أبواب التنبيه»، و«البستان في تفسير القرآن». انظر «هدية العارفين» (٢/ ٥٠٧).

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس؛ فليست الشام لسطيح شامًا ثم قضى سطيح مكانه][١] يعني مات في تلك الساعة، وقد [كان][٢] أتى عليه سبع مائة سنة، وقيل: ألف سنة؛ فأخبر سطيح عن تحقيق نبوته، وبشر (شق)[٣] بعلامة رسالته وبعثته.

وروى الإمام أحمد في «مسنده»[٤] عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول الله ما كان بَدء أمرك قال: «**أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك أمهات الأنبياء يرين**». وفي تاريخ القاضي جمال الدين بن أبي الدم أن أمه قالت: حين ولدت محمدًا ﷺ خرج ساجدًا رافعًا رأسه وأصبعه نحو السماء، وخرج معه نور ملأ البيت، ودنت النجوم منه حتى ظننت أنها تسقط على الأرض. قال: وذكر ابن واضح[٥] في «تاريخه»: لما ولد

(١) بياض في (ك): .

(٢) زيادة من (ق).

(٣) في (ك): «قريش».

(٤) رواه أحمد (٢٢٣١٥) من حديث أبي أمامة إلا الفقرة الأخيرة فهي عنده من حديث العرباض بن سارية (١٧١٩٠)، ورواها الحاكم (٣٥٦٦) وصححه وأقره الذهبي. قال الهيثمي (١٣٨٤٢): وإسناده حسن، وله شواهد تقويه. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٥) هو أحمد بن أبي يعقوب اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي ذكره أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له ابتداؤه بسنة ٢٨٠ قال: إن أحمد بن اسحق ابن واضح مولى بني هاشم توفي =

النبي ﷺ انقضت الكواكب، ورجمت الشياطين، وأصاب الناس زلزلة عظيمة عمت جميع (الدنيا)[١]، وتهدمت الكنائس والبيع، وزال كل شيء كان يعبد من دون الله من موضعه.

وروي عن حسان بن ثابت الأنصاري أنه قال: إني لغلام يفع -يعني ابن سبع سنين أو ثمان- فإذا بيهودي يصرخ: يا معاشر يهود طلع والله نجم أحمد؛ في هذه الليلة ولدته أمه. وروي أنه كان بمكة يهودي فقال ليلة ميلاده: ولد الليلة نبي العرب فجاءوا به ورآه فقال: ذهبت والله نبوة بني إسرائيل (أفرحتم)[٢] يا معشر العرب؟، والله ليسطون عليكم سطوة يخرج بناؤها المشرق إلى المغرب.

وذكر الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان بمر الظهران راهب يدعى عيصًا من أهل الشام؛ آتاه الله علمًا كثيرًا، وجعل فيه منافع لأهل مكة، وكان يدخل كل سنة إلى مكة فيلقى الناس، ويقول: يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة؛ تدين له العرب، ويملك العجم هذا زمانه، فلما كان صباح اليوم الذي ولد رسول الله ﷺ؛ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصًا فناداه فأشرف عليه فقال: كن أباه فقد وُلد ذلك المولود الذي كنت أخبركم أنه

= سنة ٢٨٤هـ، وله تصانيف كثيرة منها كتاب «التاريخ الكبير» وكتاب «في أخبار الامم السالفة». انظر «معجم المطبوعات العربية» (١٩٤٨/٢).

(١) في (ق): «الديار».

(٢) في (ك): «أخرجتم».

يولد يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين.

قال عبد الله: فإنه ولد لي مع الصبح مولود قال: فما سميته؟ قال: محمدًا فقال: قد كنت أشتهي أن يكون فيكم؛ إن نجمه طلع البارحة، وإنه ولد اليوم وإن اسمه محمد، وأنه ابنك وآية ذلك أنه الآن وجع يشتكي أيامًا ثلاثة ثم يعافى؛ فاحفظ لسانك ودار عنه، قال عبد الله: فما عمره؟ قال: إن طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين، ولم ينقص عن الستين؛ يموت في وترٍ دونها من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين، وهذا كما قال الواقدي وكاتبه محمد بن سعد، أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان إذ ذاك حيًا والله أعلم.

قال ابن إسحاق: روى أنه آمنة قالت لما (وضعته)[1] أضاء البيت الحرام. ورُوي أنه لما أُخبر جده عبد المطلب بمولده أتاه، وأخبرته آمنة بما رأت وسمعت فقال: أنا والله رأيت الساعة عجبًا، كنت أطوف بالبيت فرأيت هبل -يعني الصنم الذي كان في الكعبة- قد مال حتى كاد يسقط، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنا نائم أو يقظان، ثم أخذه وانصرف به إلى الكعبة، وقام يدعو ويتشكر لله ﷻ، ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأرداني
قد ساد في المهد على الغلماني
أعيذه بالبيت ذي الأركاني

---

(١) في (ك): «أرضعته».

حـتـى يـكـون بـلـغـة الـفـتـيـان
حـتـى أراه رافـع الـلـسـانـي
أعـيـذه مـن كـل ذي شـنـآن
من حاسد مضطرب العيناني
ذي هـمّـة لـيـس لـه عـيـانـي
حـتـى أراه رافـع الـلـسـانـي

وأنشد بعضهم:

أنـت الـذي سُـمّـيـت فـي الـقـرآن
فـي كـتـب ثـابـتـة الـمـثـانـي
أحـمـد مـكـتـوب عـلـى الـلـسـان

وفي «دلائل النبوة»[1] للحافظ أبي نعيم الأصفهاني عن علي بن أبي طالب عن أبيه أبي طالب رضي الله عنه يحدث أن آمنة بنت وهب لما ولدت النبي ﷺ جاءه عبد المطلب فأخذه وقبّله ثم دفعه إلى أبي طالب فقال: هو وديعتي عندك ليكونن لابني هذا شأنٌ عظيم، ثم أمر فنحرت الجزائر وذبحت الشاء يعني الغنم، وأطعم أهل مكة ثلاثًا، ثم نحر في كل شِعب من شعاب مكة جزورًا؛ لا يمنع منه إنسان ولا سبع ولا طائر؛ فهذه وليمته وبعدها جلوته ﷺ.

قال بعضهم: لما جلى الرسول عروس الإسلام، وأبرزها الله من

(١) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٨١).

الخدر للأنام، أخرج أبو بكر ماله كله نثارًا للعروس، وأخرج عمر النصف موافقة له، ثم قام عثمان بوليمة العرس، فجهز جيش العسرة فعلم عليٌّ أن الدنيا ضرة هذه العروس، وأنهما لا يجتمعان؛ فبت طلاقها ثلاثًا فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة وأسبغ علينا هذه النعمة، وأنشدوا:

بمولد خير الخلق أشرقت الدُنا
بدا النور حتى عاد مثل نهار
وبذكره في كل قرنٍ سالف
من سائر الكهان والأحبار
قد بشرت بوجوده وببعثه
وبنعته في سائر الأقطار
(فالنور أشرق حين وافى أحمد)[1]
كالبدر حف بأضوء الأنوار
وكذا بحيرة ساوة غاضت
وقد خمدت بفارس من لهيب النار
فله مقام شاؤه لا يرتقي
وهو القريب لربه الجبار

وفي «دلائل النبوة» للحافظ[2] أبي نعيم الأصفهاني عن ابن عباس أنه قال: كان من دلالات حَمل رسول الله ﷺ، أن كل دابة كانت لقريش

(١) في (ك): «فالنور وافى حين أشرق أحمد».
(٢) «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٥٥٥).

نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها، ولم تبق كاهنة من قريش، ولا في قبيلة من القبائل إلا حجبت عن صاحبتها، وانتزع علم الكهنة ولم يكن سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، والملك مخروسًا لا ينطق يومه ذلك ذكره في الفصل الثالث والثلاثين.

فصل في رضاعه ﷺ

روي أن أمه آمنة أرضعته ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب أيامًا قبل قدوم حليمة، وفي إسلام ثويبة قولان، وأرضعته أم أيمن -واسمها بركة- جارية أبيه عبد الله، ومن مراضعه خولة بنت المنذر؛ فهذه ثلاثة مراضع، والرابعة المشهورة بالرضاعة التي حصلت لها السعادة بكثرة الضراعة؛ حليمة بنت أبي ذُؤيب السعدية رضي الله عنها فإنها أسلمت وآمنت به بعد نبوته ومن قصتها المشهورة التي ذكرها العلماء من أصحاب المغازي والسير، أنَ النبي ﷺ استرضع من حليمة السعدية بعد مولده بسبعة أيام.

قالت حليمة: خرجت من بلدي مع زوجي وابن لي رضيع؛ في نسوة من بني سعد ذوات حال فظيع؛ نلتمس الرضعاء من ذوات البيوت في سنة شهباء، لم تبق لنا شيئًا من القوت، على أتان لي قمراء أركبها، ومعنا شارف لنا من النوق نجذبها، هزلت من الجوع بعد السمن، وهي والله ما تبض بقطرة لبن حتى قدمنا مكة؛ أشرف البلاد ومأوى العباد من

(البلاد)[١] فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها ذو الوجه الوسيم فتأباه إذا قيل: إنه يتيم؛ فلما أجمعنا على الانطلاق، وحصل منا على العزم الاتفاق قلت لصاحبي: لأذهبن إلى أخذ ذلك اليتيم فلهو (سيد حسيب)[٢] كريم، فذهبت إليه راجية خيره؛ لأني لم أجد طفلاً غيره.

فلما أخذته ووضعته في حجري، أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب هو وأخوه، وهدأ واستكن، وشارفنا إذا بها حافل، وقد أخصب ثديها الماحل، فحلب زوجي منها وشرب حتى كدنا من الشبع والري نضطرب، وسارت أتاني مسرعة في العودة بخلاف الصفة المعهودة (حتى إن صواحبها)[٣] ليقلن لها: يا بنت أبي ذؤيب أما هذه أتانك التي كانت معنا؟ فأقول نعم، فيقلن: إن لها لشأنًا، وكانت غنمنا تروح شباعًا لبنًا، وأغنام الحي تغدوا بهزال وعناء وأنشد شيخنا الحافظ عماد الدين إسماعيل بن بردس الحنبلي لنفسه رحمه الله:

حازت حليمة في رضاع محمدٍ
ما لا ينال من العلي والسؤدد
وسمت على أصحابها برضاعه
ورأت من البركات ما لم يوجد
أخذته كارهة له إذ لم تجد
طفلاً سواه ليتمه لم يقصد

---

(١) في (ق): «العباد».

(٢) في (ق): «أشد حسب».

(٣) سقط من (ق) وغير واضح في (ك): وأثبته من المصادر.

كانت أتان حليمة أعيت من
الجهد الشديد وسيرها لم يحمد
لما علا خير البرية ظهرها
قطعتهم سيرًا بفضل محمد
وكذلك الأغنام أضحت لبنًا
والضرع در بدره المتجدد
لما رأت منه النماء استبشرت
ويحقها من أن تسر بأحمد
بشراك قد حزت الفخار
جميعه برضاعه فاستبشري بمحمد

قالت حليمة: فلم يزل الله يرينا البركة حتى بلغ سنتيه، وكان يشب شبابًا يشبه الغلمان فما بلغ السنتين حتى كان غلامًا جفرًا، والجفر الجذع من الغنم؛ ماله أربع سنين من الغنم وقيل فيه ذلك؛ لأنه كان كمن بلغ تلك السنين. وروى البيهقي في «دلائل النبوة» عن عبد الله بن عباس قال: كانت حليمة تحدث أنها لما فطمت النبي ﷺ تكلم قالت: سمعته يقول كلامًا عجبًا سمعته يقول: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. ويُروى عن أخته الشيماء -أخته من الرضاعة- أنها كانت تحمل النبي ﷺ وترقصه وتقول:

أخ لم تلده أمي
وليس من نسل أبي وأمي
فديته من مخول معمٍّ
فأنمه اللهم فيما تنمي.

أي ذو أخوال وأعمام وكانت تقول:

يـا ربـنـا أبـق أخـي مـحـمـدًا
حـتـى أراه يـافـعًـا وأمـردًا
ثـم أراه سـيـدًا مـسـودًا
واكـبـت أعـاديـه مـعًـا والـحـسـدا.
وأعـطـه عـزا يـدوم أبـدًا.

وتقول:

مـحـمـد خـيـر الـبـشـر
مـمـن مـضـى ومـن غـبـر.
مـن حـج مـنـهـم وأعـتـمـر
أحـسـن مـن وجـه الـقـمـر.
مـن كـل أنـثـى وذكـر
مـن كـل مـنـسـوب أغـر

وهذه الشيماء عاشت حتى بُعث النبي ﷺ فأسلمت، وأطلق رسول الله ﷺ أسارى بني سعد بن بكر من أجلها يوم حنين، وكانوا ستة آلاف أسير، وكان قيمة ما أطلقه لهم من السبي والأموال والنعم؛ ما يقارب خمسمائة ألف ألف درهم. وقالت في ذلك:

تـجـلـى الـظـلام بـبـدر الـتـمـام
وخـيـر الأنـام (أبـي)[1] الـقـاسـم

---

(١) في (ك): «أبا».

نبي رحيم شريف كريم
ودود (صفوح)(١) عن الخادم

ويروى أن حليمة ردته ﷺ بعد انقضاء سنتيه، قالت: فقدمنا على أمِّه ومكة وبيَّة فقلنا: دعي ابني عندي حتى يشتد عود شجرته؛ فإني أخشى عليه من وباء مكة وكثرته؛ فلم تزل حتى سمحت برده معنا رحمة من الله تُراد بنا؛ فرجعنا به فرحين وعدنا مسرورين منشرحين.

قالت: فمكث عندنا بعد عوده شهرين أو ثلاثة، وقال ابن قتيبة: أقام عندهم خمس سنين؛ فبينا هو يلعب يومًا مع الغلمان خلف البيوت إذ جاء أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القرشي؛ فقد جاءه رجلان فأضجعاه، وشقا بطنه فخرجنا نشتد نحوه؛ فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقته واعتنقه أبوه، وقال: مالك يا بني؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ووالله ما أدري ما صنعا.

وفي رواية أنه قال: «جاءني ثلاثة رهط معهم طَست من ذهب، قد مُلئ ثلجًا فأخذني واحد منهم فهرب أبواي، ووقفا على شفير(٢) الوادي، ثم أقبلا على القوم وقالا: يا قوم إن هذا الغلام ليس منا، إنما هو مسترضع فينا، وهو ابن سيد قريش وهو يتيم فماذا يَرُدُّ عليكم قتله؛ فإن كنتم لا بد قاتلوه فاختاروا من شئتم منا فاقتلوه عوضه، فلم يردوا عليهما جوابًا؛ فانطلقا هاربين يستصرخان الحي؛ فعمد أحدهم

---

(١) في (ف): «حليم».
(٢) هو حد حرفه. انظر «لسان العرب» (٤١٨/٤).

فأضجعني إضجاعًا رفيقًا، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، ولم أجد لذلك ألمًا، ثم أخرج أحشاء بطني فغسلها بماء وثلج فأنعم غسلها، ثم ردها إلى مكانها، ثم جاء آخر فأخرج من قلبي مضغة سوداء فرمى بها، وإذا بيده خاتم النبوة من نور ختم به قلبي فامتلأ نورًا، ثم رده إلى مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرًا، ثم أَمَرَّ الثالث يده على صدري فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني ثم قال لصاحبه: زنه اجعله في كفة واجعل ألفًا من أمته في كفة ففعل، وأنا أنظر إلى الألف فرجحت عليهم، فانطلقا، وهما يقولان أو قال: فانطلقوا وهم يقولون: لو أن أمته وزنت به لرجحهم، ثم أقعدوني وقبلوا رأسي وقالوا: يا حبيب الله لا تُرع إنك لا تدري ماذا يراد منك أو بك، لو علمت لقرت عيناك، قال: فبينا نحن كذلك، وإذا بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم، وإذا بأمي وهي ظئرى يعني حليمة تهتف في أوائلهم وتقول بأعلى صوتها: يا ضعيفاه، فقال أحدهم: حبذا أنت من ضعيف، فقالت: يا يتيماه، فقال آخر: حبذا أنت من يتيم فقالت: وا (واحداه)[١] فقال الآخر: حبذا أنت من واحد، ثم ضمتني إلى صدرها، وجعلت تقول استضعفت من بين أترابك وتبكي فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إني لفي حجرها، وإن يدي في يد بعض القوم، وأنا ألتفت إليهم أظن أن القوم يبصرونهم»[٢] .

---

(١) الذي في المصادر مثل «شرف المصطفى» (١/٤٤٨) «وحيداه».

(٢) رواه الطبري في «تاريخه» (١/٤٥٧).

فقال بعض أهل الحي: هذا الغلام قد أصابه لمم فانطلقوا به إلى الكاهن لينظر إليه؛ فذهبوا بي إلى الكاهن فسألني عن قصتي فأخبرته فضمني إلى صدره، وصاح بأعلى صوته: يا معاشر العرب اقتلوه واقتلوني معه فواللات والعزى؛ لأن تركتموه ليبدلن دينكم، فصاحت أمي، انظر لنفسك قاتلاً غيرنا، فإن ولدنا ما به مما قلت شيء ولقد شبه عليك.

قالت حليمة: فاحتملناه فرجعنا به وقال زوجي: يا حليمة، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب؛ فانطلقي فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف علينا فرجعنا إلى أمه فقالت: ما ردكما فقد كنتما حريصين عليه، فقلنا لها: قد كفلناه وأدينا ما علينا من الحق ثم خفنا عليه الأحداث، فقالت: والله ما ذاك بكما فأخبراني خبره فأخبرناها، فقالت: اتخوفتما عليه، والله إن لابني هذا لشأنًا.

وذكر الواقدي: أنها قدمت به لما تمَّ له خمس سنين مكة، رأت غمامة تظله إن سار سارت، وإن وقف وقفت فأفزعها ذلك؛ فلما قربت من مكة نامت في بعض الأباطح ثم انتبهت فلم تجده.

وذكر الثعلبي في «تفسيره» القصة، وأن حليمة لما ضل منها النبي ﷺ قالت: وامحمداه واولداه فأبكت الجواري والأبكار ببكائي، وإذا بشيخ فانٍ يتوكأ على عصا، فقال: مالك يا سعدية؟ فقالت: فقدت ابني محمدًا، فقال: لا تبكي، أنا أدلك على من يعلم علمه، وإن سألتيه يرده عليك؛ فعل. قلت: فدَّتك نفسي من هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل،

قالت: فدخل فطاف بهبل، وقبل رأسه، وناداه أيها الإله الأعظم لم تزل منَّتك على قريش عظيمة، وهذه السعدية تزعم أن ابنها محمدًا قد ضل فردُّه عليها، قالت: فانكب هبل على وجهه وتساقطت الأصنام، وقالت: إليك عنا يا شيخ؛ فإنما هلاكنا على يد محمد.

قالت حليمة: قال الشيخ -وأنا أسمع لأسنانه اضطرابًا ولركبتيه ارتعادًا-: يا حليمة إن لابنك ربًا لا يضيعه؛ فاطلبيه على مهل، قالت: فأتيت جده عبد المطلب فأخبرته فركب فرسه، وركب بنو هاشم معه، وخرج إلى أعلى مكة وأسفلها فلم يجد شيئًا فأتى الكعبة فطاف أسبوعًا ثم قال: يا رب رد (ولدي)(١) محمدًا، أده إليَّ واتخذ عندي يدًا، فسمعوا مناديًا من الهواء: أيها الناس إن لمحمدٍ ربًا لا يضيعه، فقال عبد المطلب: وأين هو؟ فقال: بوادي تهامة عند شجرة اليمن؛ فخرج عبد المطلب، ولقيه ورقة بن نوفل وسارا جميعًا إلى ذلك المكان، وإذا به تحت الشجرة؛ فاحتمله عبد المطلب على قربوس(٢) سرجه، وعاد إلى مكة فذلك قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

وتهامة: ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز، ومكة أولها ذات عرق.

وروي أن النبي ﷺ كان من نظافته يصبح دهينًا كحيلاً، ويصبح الصبيان شعثًا رمصًا(٣). وعن أم أيمن جارية أبيه أحد مراضعه قالت: ما

---

(١) في (ك): «راكبي».

(٢) هو مقدم السرج. انظر (١/ ٤٠٦٩).

(٣) من حديث ابن عباس رواه الحسن بن عرفة كما في «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ٢٤١) والرمص؛ وسخ أبيض يجتمع في العين. انظر القاموس المحيط (١/ ٨٠١).

رأيت رسول الله ﷺ شكى جوعًا ولا عطشًا، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: «**لا أريد أنا شبعان**»(١)، وكان ﷺ عند أمه آمنة حتى توفيت بالأبواء -مكان بين مكة والمدينة، وقيل: قرية من أعمال الفرع والمدينة-، وكان إذ ذاك ابن ست سنين، وكَفَله بعد ذلك جده عبد المطلب.

قال ابن الجوزي: ولما بلغ من العمر سبع سنين ﷺ أصابه رمد فعولج؛ فلم يغن عنه فقيل لعبد المطلب: إن في ناحية عكاظ راهبًا يعالج الأعين فركب إليه فناداه وديره مغلق عليه فلم يجبه؛ فزلزل به ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرًا وقال: يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبي هذه الأمة، ولو لم أخرج إليه؛ لخر عليّ ديري فارجع به، واحفظوه لا يغتاله بعض أهل الكتاب ثم عالجه، وأعطاه ما يعالجه به، وألقى الله تعالى له المحبة في قلوب قومه، وكل من يراه، وعُرف بينهم بالصادق الأمين.

وكان جده يوضع له فراش في ظل الكعبة، وكان لا يجلس أحد من بنيه عليه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام فيجلس عليه فتأخذه أعمامه فيؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب: دعوا ابني إن له لشأنًا ثم يجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويَسُره ما يراه يصنع. ولما بلغ ﷺ من العمر ثمان سنين مات جده عبد المطلب، وكفله عمه

---

(١) «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٧١).

أبو طالب ثم خرج به إلى الشام، وله من العمر (اثنتا عشرة)[١] سنة وذلك بعد موت جده بأربع سنين ورآه بحيرا الراهب والغمامة تظله.

قال ابن الجوزي في «الصفوة»: لما سار النبي ﷺ مع عمه أبي طالب وكان بوادٍ من الشام نزلوا تحت شجرة، وكان في الوادي دير فيه راهب يقال له: بحيرا، وكان يشرف في اليوم ثلاث مرات على سطح له، ينظر الذاهب والجائي، قال: فنظر قومًا قد نزلوا تحت شجرة، وإذا غمامة قد أظلت الشجرة وما حولها، [قال الراهب: والله لا تظل هذه الغمامة إلا على رأس نبي من الأنبياء، فأرسل إليهم فدعاهم][٢] فلما وصلوا إلى الدير أشرف فإذا الغمامة على حالها فقال: يا قوم هل خلفتم أحدًا؟ قالوا: نعم، أجيرًا لنا (ويتيمًا)[٣] قال: فابعثوا إلى أجيركم ويتيمكم، قال: فأقبل النبي ﷺ والغمامة على رأسه في الهواء تسير معه تظله حتى دخل الدير، قال: فقدم إليهم طعامًا فأكلوا وشربوا.

ثم قال لهم بحيرا: ما يكون هذا الغلام منكم يا أهل مكة؟ قالوا: ابن لهذا الشيخ -يعني أبا طالب- فقال بحيرا: والله ما ينبغي لأبوي هذا الغلام أن يكونا في الأحياء أصدقوني خبره؟ فقال أبو طالب: يا بحيرا هذا ابن أخي، وهو يتيم في حجري، قال: صدقت يا شيخ، وسأخبرك أن هذا نبي من الأنبياء، وهذا خاتم النبوة بين كتفيه، قال: فخرجوا حتى

---

(١) في (ك): «اثنا عشر».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «يتيم».

أتوا الشام فقضوا أوطارهم، ثم رجعوا قافلين إلى مكة.

وذكر سبطة في «مرآة الزمان» قصة بحيرا، وأنه جعل يلاحظ النبي ﷺ لحظًا شديدًا فينظر إلى جسده فيجد ما يجده عنده من الصفة؛ فلما تفرقوا قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك باللاث والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه؟ فقال له رسول الله ﷺ: « **لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئًا كبغضهما**»، قال: فبالله أخبرني قال: «سل»، فسأله عن أشياء حتى عن نومه، والنبي ﷺ يخبره فوافق ما عنده؛ فكشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فقبَّله، وجعلت قريش تقول: إن لمحمد عند الراهب لقدرًا، وقال لأبي طالب: ارجع به إلى بلده، واحذر عليه من اليهود، وإنه لكائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، ونرويه عن أكابرنا[١].

وفي المسعودي؛ أن بحيرا كان من عبد قيس، ويقال بحيرا بالمد والقصر. وفي السنة الخامسة عشر من مولده ﷺ رأى قس بن ساعدة وسمع خطبته وفيها البشارة بظهوره ﷺ.

قال ابن الجوزي: ولما بلغ ﷺ من العمر خمسًا وعشرين سنة خرج مع ميسرة في تجارة خديجة، ونزل تحت شجرة ورآه نسطورًا الراهب وقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، وقال لميسرة: لا تفارقه فهو نبي وهو خاتم الأنبياء، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة، واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من (الهجير)[٢] ﷺ.

---

(١) «سيرة ابن إسحاق» (١/ ٥٣).

(٢) في (ق): «الشجرة».

فصل في تزويجه خديجة رضي الله عنها

وذلك أنه ﷺ لما رجع من تجارته تلك إلى مكة، وكانت خديجة في عليّة لها وقت الهاجرة؛ فرأته وملكان يظلان عليه فأرته نساءها؛ فعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله ﷺ فأخبرها بما ربحوا وحدثها فسُرت بذلك، وأخبرها ميسرة بما رأى، وحدثها عن قول الراهب، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة فحملها ذلك على أن بعثت إليه، فقالت: يا ابن العم إني قد رغبت فيك؛ لقرابتك وسطوتك في قومك وأمانتك، وحسن خلقك وصدق حديثك، وكانت قد ذكرت لورقة بن نوفل ما ذكر لها غلامها ميسرة فقال ورقة: لئن كان هذا حقًا؛ إن محمدًا لنبي هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن للأمة نبي ينتظر هذا زمانه؛ فكان هذا السبب في طلب خديجة نكاح رسول الله ﷺ .

وفي رواية: أنها أرسلت إليه نفيسة بنت مُنية، فقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج، قالت: فإن لقيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال، والشرف والكفاءة ألا تُجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: عليَّ، قال: فأنا أفعل؛ فأخبرتها فأرسلتها أن ائت لساعة كذا وكذا.

وحضر العقد عمه أبو طالب ومعه بنو هاشم ورؤساء مُضر، فقال أبو طالب: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إسماعيل وضئضئ معد، وعنصر مضر وجعلنا (سدنة)[1] بيته وسُواس حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا

---

(١) في (ق): «حضنة».

وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به، وإن كان في المال قل؛ فإن المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل.

وفي رواية؛ أنه أصدقها عشرين بَكرة من الإبل، وقيل: ثلاثين بكرة واثنى عشر أوقية ونشا. والأوقية الشرعية؛ أربعون درهمًا والنش عشرة دراهم فذلك خمسمائة [درهم][1]، وكانت له وزيرة صدق رضي الله عنها، ومن مناقبها في الصحيح[2]: «**أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال: هذه خديجة أقرئها من ربها السلام ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**»، ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ حتى ماتت.

وأولاده منها خلا إبراهيم؛ القاسم ومات ابن سنتين، وعبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل: هما غيره، والصحيح الأول، وزينب وفاطمة الزهراء ورقية وأم كلثوم كلهم منها، وأما إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة عاشت بعده ستة أشهر، ولم يتزوج على خديجة حتى ماتت وأسلمت نفيسة بنت مُنية بعد نبوته ﷺ.

ولما بلغ من العمر خمسًا وثلاثين سنة، بنت قريش الكعبة بعدما احترقت، وحكَّموه في وضع الحجر الأسود موضعه، ولما أتت عليه

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٤٣٢).

أربعون سنة ويوم؛ بعثه الله نبيًا وجاءه جبريل نجيًا، وكان بعد ذلك لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، وكان الحجر الأسود يسلم عليه قبل النبوة.

ومن معجزاته؛ أنه نبع الماء من بين أصابعه، وكثر الطعام ببركته وكلمه الحجر، وحنَّ إليه الجذع، وشكى إليه البعير، وكلمته الشاة المسمومة، وأخبر عن المغيبات ومعجزاته لا تُحصى وأوصافه لا تُستقصى، وبعثه الله تعالى رحمة للعالمين وحجة على الجاحدين، وجعل دعوته عامة وقدمه ليلة المعراج في الإمامة، فهو واسطة العقد، وزينة الدهر، يزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر، والسماء على الأرض، هو صدرهم وبدرهم، وعليه يدور أمرهم، وهو قطب فلكهم، وعين كتيبتهم، وواسطة قلادتهم، ونقش فصهم، وبيت قصيدتهم، وصلاتنا تصل إليه وتعرض عليه قال ﷺ: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام**»[(١)].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والنسائي وابن ماجة[(٢)] عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة**» قالوا: كيف نصلي عليك، وقد أرِمت؟ -يعني بليت-، قال: «**إن الله حرم على**

---

(١) رواه أحمد (٣٦٦٦)، والنسائي (١٢٨٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد (١٦٢٠٧)، أبو داود (١٥٣١)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجة (١٦٣٦)، وصححه الحاكم (١٠٢٩)، وابن حبان (٩١٠).

الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» ورواه الحاكم وابن حبان في «صحيحيهما». وقال ﷺ: «**من صلى عليّ مرة؛ صلى الله وملائكته عليه عشرًا**»[١].

وقال ﷺ: «**من (صلى)**[٢] **عليّ عشرًا؛ فكأنما أعتق رقبة**»، وقال ﷺ: «**إن إنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها؛ أكثركم عليّ صلاة**»[٣] فصلى الله وملائكته وسلم عليه كما وحد الله وعبده ودعا خلقه إليه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

---

(١) من حديث أبي طلحة رواه الطبراني في «الكبير» (٥/ ١٠٠/ ٤٧١٩) وفيه قصة وفي سنده صالح بن بشير المري؛ ضعيف لم يرو له من الجماعة إلا الترمذي، والحديث صحيح بشواهده.

(٢) في (ق): «سلم».

(٣) رواه الديلمي عن أنس (٨١٧٥).

المجلس السادس

وهو الثاني في ذكر وفاة رسول الله ﷺ

الحمد لله العلي الأعلى، الولي المولى، الذي خلق فأحيا، وحكم على خلقه بالموت والفناء، والبعث إلى دار الجزاء، والفصل والقضاء؛ لتجزى كل نفس بما تسعى، كما في كتابه عز وعلا ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٤، ٥]، أحمده (٣٩/ك) كما يحب ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ﷺ؛ الرسول المصطفى، والنبي المجتبى، ومن أُسرى به ليلاً إلى قاب قوسين أو أدنى، ثم قبضه إليه واختار الرفيق الأعلى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي «التبصرة» والنهى، وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا بلا انتها.

وبعد، فإن الموت وإن كان هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع، والكأس الذي طعمها أكره وأبشع؛ فهو مجمع الأحباب للالتقاء، وطريق موصل إلى دار البقاء، وارتفاع الدرجات في الجنة والارتقاء، واعلم وفقنا الله وإياك والمسلمين أجمعين أن الموت مكتوب على كل حي من الأنبياء والرسل وغيرهم.

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1] [الزمر: ٣٠]،

---

(١) في (ك): حاشية نصها: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فإن الكل بصدد الموت =

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] فيموت الإنس والجن والحيوانات والملائكة ﷺ ويبقى الله الواحد القهار؛ له البقاء والدوام والجلال والإكرام.

ومن علامات قرب الساعة موت النبي ﷺ لما ثبت في «صحيح البخاري» وغيره[(١)] في آخر كتاب الجهاد عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم قال: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم (كقعاص)**[(٢)] **الغنم، ثم استفاضة المال؛ حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية؛ تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا**» والغاية، هي الراية. وقوله: موتان؛ بفتح الميم وضمها؛ وهو كثرة

= وفي عداد الموتى وقرئ «مائت، ومائتون»؛ لأنه مما سيحدث ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيامة ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق في التوحيد، وكانوا على الباطل في الشرك واجتهدت في الإرشاد والتبليغ، ولجُّوا في التكذيب والعناد، ويعتذرون بالأباطيل مثل . . .سادتنا وجدنا آباءنا.

(١) البخاري (٣٠٠٥) وأحمد (٢٤٠٣١).

(٢) في (ك): «عقاص»، والمثبت هو الموافق لما في «صحيح البخاري» .

الموت. وقعاص الغنم؛ داء في الغنم يكثر منه الموت.

وثبت في «الصحيحين»(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ جلس على المنبر فقال: «**إنّ عبدًا خيره الله تعالى بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده؛ فاختار ما عنده**» فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فعجبنا وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله تعالى بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به فقال النبي ﷺ: «**إن من أمنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً من أهل الأرض؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً**».

وقد ورد أن أول ما علم محمد ﷺ من انقضاء عمره؛ باقتراب أجله بنزول سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] فإن المراد من هذه السورة؛ إنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجًا؛ فقد اقترب أجلك؛ فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار؛ فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة إلينا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه السورة نُعيت لرسول الله ﷺ نفسه

---

(١) البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٨٢).

فأخذ في أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة(١)، وكان ﷺ يعرض القرآن في كل عام على جبريل مرة واحدة؛ فعرضه ذلك العام مرتين، وكان يعتكف في رمضان كل سنة العشر الأخير؛ فاعتكف في ذلك العام عشرين. قالت أم سلمة رضي الله عنها كان ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده، فذكر ذلك له فقال: «**إني أمرت بذلك**»(٢) وتلا السورة.

وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته: «**سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه**»(٣) إذا كان هذا سيد المحسنين يؤمر بأن يختم أعماله بالحسنى؛ فكيف يكون حال المذنب المسيء المتلوث بالذنوب المحتاج إلى التطهير، وكان ما ابتُدئ به ﷺ وجع رأسه في مرضه كما قال لعائشة رضي الله عنها: «**بل أنا وارأساه**» وخطب، وقد عصب رأسه بعصابة دسماء -يعني متغيرة- إلى [السواد](٤).

وكان الصداع والشقيقة يعتريه كثيرًا في حياته، ويتألم منه أيامًا، -وصداع الرأس من علامات أهل الإيمان وأهل الجنة-؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه وصف أهل النار فقال: «**هم الذين لا يألمون رؤوسهم**»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/٣٢٨) قال الهيثمي (١٤٢٤١): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بأسانيد، وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبري (١٢/٧٢٩) قال ابن كثير (٤/٧٢٨): غريب.

(٣) رواه مسلم (٤٨٤).

(٤) مثبت من (ق).

(٥) من حديث أبي هريرة رواه أحمد (١٠٦٠٦) قال الهيثمي (٣٧٥٣): فيه البراء =

ودخل أعرابي على النبي ﷺ فقال: «**يا أعرابي هل أخذك هذا الصداع**» فقال: وما الصداع؟ قال: «**عروق تضرب على الإنسان في رأسه**» فقال: ما وجدت هذا؛ فلما ولى الأعرابي قال النبي ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار؛ فلينظر إلى هذا**» أخرجه الإمام أحمد والنسائي(١) فقد تبين بهذا أن أول مرضه ﷺ كان صداع الرأس.

والظاهر أنه كان مع حمى فإن الحمى اشتدت عليه في مرضه فكان يقول: «**إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**»(٢) وكان على قطيفة فكانت حرارة الحمى تصيب من وضع يده عليه من فوقها، وقيل: إنه نقض عليه سم الشاة التي أهدتها له زينب اليهودية بخيبر فأكل منها يومئذ فكان ذلك يؤثر عليه أحيانًا حتى قال في مرض موته: «**هذا أوان قطع أبهري**»(٣) يعني سم تلك الأكلة.

والأبهر؛ عرق متصل بالقلب إذا وصل إليه السم مات صاحبه.

وكان ابن مسعود وغيره يقولون: إنه ﷺ مات شهيدًا من السم وكان

= ابن يزيد الغنوي قال ابن عدي: هو عندي أقرب إلى الصدق، وتعقبه الهيثمي فقال: ضعفه أحمد وغيره. أهـ قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قوله: «**هم الذين لا يألمون رؤوسهم**» فهي زيادة منكرة.

(١) رواه أحمد (٨٣٧٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩١)، وصححه ابن حبان (٢٩١٦) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) من حديث ابن مسعود رواه البخاري (٥٣٣٦)، ومسلم (٢٥٧١).

(٣) ذكره البخاري تعليقا (٤١٦٥)، ورواه أحمد (٢٣٩٧٨)، وأبو داود (٤٥١٢)، وصححه الحاكم (٤٣٩٣) على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

عنده في مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يُغمى عليه؛ فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال: «**ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه**»(١) ثم تصدق بها كلها -فكيف يكون حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه-.

ولم يكن عندهم في مرضه دهن للمصباح يوقد فيه؛ فلما اشتد وجعه ليلة الاثنين أرسلت عائشة بالمصباح إلى امرأة من النساء فقالت: قطِّري لنا في مصباحنا من عكة السمن، فإن رسول الله ﷺ أمسي في حديد الموت(٢).

ولما احتضر ﷺ اشتد عليه الأمر فقالت عائشة ﵂: ما أُغبط أحدًا يهون عليه الموت بعد الذي رأيته من سكرة رسول الله ﷺ. وفي حديث خرجه ابن ماجة أن النبي ﷺ قال لفاطمة: «**إنه قد حضر من أبيك؛ ما ليس الله بتاركٍ منه أحدًا لموافاة يوم القيامة**»(٣).

قال شيخنا زين الدين في «اللطائف»: وقد روي ما يدل على أنه قبض ثم رأى مقعده من الجنة، ثم ردت إليه نفسه ثم خُيِّر؛ ففي «المسند»(٤)

---

(١) من حديث عائشة رواه الحميدي (٢٨٣)، وأحمد (٢٤٦٠٤)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ١٩٨) قال الهيثمي (٤٦٨٥): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد (١٢٤٥٧) وابن ماجة (١٦٢٩) قال البوصيري: في إسناده عبد الله بن الزبير الباهلي أبو الزبير، ويقال أبو معبد المصري؛ ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال أبو حاتم: مجهول، وقال الدارقطني: صالح، وباقي رجاله على شرط الشيخين.

(٤) رواه أحمد (٢٤٤٩٨) قال الهيثمي (١٤٢٦٨): أحد إسنادي أحمد رجاله =

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم يري الثواب، ثم ترد فيخير بين أن ترد إليه أو يَلحق**» فكنت قد حفظت ذلك منه؛ فإني لمسندته إلى صدري فنظرت إليه مالت عينيه، فقلت قد قضى، قالت: فعرفت الذي قال، فنظرت إليه حتى ارتفع ونظر فقلت إذًا والله لا يختارنا، فقال: «**مع الرفيق الأعلى في الجنة** ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩] الآية» .

وفي «صحيح ابن حبان»[(١)] عنها قالت: أُغمي على رسول الله ﷺ، ورأسه في حجري فجعلت أمسحه، وادعو له ب«الشفاء» فلما أفاق قال: «**لا بل أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل**»، وفي «المسند»[(٢)] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إنه ليهون علي الموت أن رأيت كف عائشة في الجنة**»، وخرج ابن سعد وغيره[(٣)] مرسلاً أنه ﷺ قال: «**لقد أريتها في الجنة؛ حتى ليهون بذاك علي موتي كأني أرى كفيها**» يعني عائشة رضي الله عنها، وكان ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها حبًا شديدًا حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة فهان عليه الموت؛ فإن (العين)[(٤)] إنما تطيب باجتماع الأحبة.

= رجال الصحيح. أ هـ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه.

(١) ابن حبان (٦٥٩١).

(٢) أحمد (٢٥١٢٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة مصعب بن إسحاق ابن طلحة.

(٣) ابن سعد (٨/ ٦٥).

(٤) في (ك): «القلب».

ويروى عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: لما كره الأنبياء الموت، هون الله ذلك عليهم بلقاء الله عَزَّ وَجَلَّ، وبكل ما أحبوه من تحفة أو كرامة؛ حتى أن نفس أحدهم لينتزع من بين جنبيه، وهو يحب ذلك لما قد مثل له.

وفي «صحيح البخاري» وغيره[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» فقالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت؟ قال: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت؛ بشر برضوان الله وكرامته؛ فليس شيء أحب إليه مما أمامه؛ فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وأن الكافر إذا حُضر بُشر بعذاب الله وعقوبته؛ فليس شيء أكره إليه مما أمامه، وكره لقاء الله وكره الله لقاءه**»، وكذلك ورد أن روح المؤمن لا تخرج حتى يشاهد منزله في الجنة؛ فيحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، والكافر بعكس ذلك يرى مقعده من النار؛ فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه؛ فنسأل الله حسن الخاتمة بمنّه وكرمه.

وكانت وفاته ﷺ في يوم الاثنين في شهر ربيع الأول بغير خلاف، وكان قد كشف الستر في ذلك اليوم، والناس في صلاة الصبح خلف أبي بكر، فهمَّ الناس أن يفتتنوا من فرحهم برسول الله ﷺ حين نظروا إلى وجهه كأنه ورقة مصحف؛ فظنوا أنه يخرج للصلاة فأشار إليهم مكانكم ثم أرخى الستر، وتوفي ﷺ من ذلك اليوم، وظن المسلمون أنه قد برئ من مرضه لما أصبح يوم الاثنين مُفيقا؛ فخرج أبو بكر إلى منزله

---

(١) من حديث عبادة بن الصامت رواه البخاري (٦١٤٢)، وعبد بن حميد (١٨٤).

بالسُنح[١] خارج المدينة؛ فلما ارتفع الضحى من ذلك اليوم توفي ﷺ.

وقيل: توفي حين زاغت الشمس والأول أصح، وأنه توفي حين اشتد الضحى من يوم الاثنين في مثل ذلك الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هاجر إليها.

واختلفوا في تعيين ذلك اليوم من الشهر، فقيل: كان أوله، وقيل: ثانيه وقيل: ثاني عشرة، وقيل: ثالث عشرة وقيل: خامس عشرة، والمشهور بين الناس أنه كان ثاني عشر ربيع الأول، وقد ردَّ ذلك [السهيلي][٢] وغيره؛ بأن وقفة حجة الوداع في السنة العاشرة كانت الجمعة، وكان أول ذي الحجة الخميس، ومتى كان ذلك لم يصح أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، سواء حسبت الشهور الثلاثة -أعني ذي الحجة والمحرم وصفر- كلها كاملة أو ناقصة أو بعضها كاملة أو بعضها ناقصة.

ولكن أجيب عن هذا بجواب حسن، وهو أن ابن إسحاق ذكر أن النبي ﷺ توفي لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، وهذا ممكن؛ فإن العرب تؤرخ بالليالي دون الأيام، ولكن لا تؤرخ إلا بليلة مضى يومها فيكون اليوم تبعًا لليلة، وكل ليلة لم يمض يومها لم يعتد بها، وكذلك إذا ذكروا الليالي في عدد؛ فإنهم يريدون بها الليالي مع أيامها،

---

(١) هي منازل بنى الحارث ابن الخزرج بالمدينة، بينها وبين منزل رسول الله ﷺ ميل. انظر «معجم ما استعجم» (٣/ ٧٦٠).

(٢) مثبت من (ق).

وإذا قالوا: عشر (ليال)[1] ؛ فمرادهم بأيامها، وحينئذ فيوم الاثنين الذي توفي فيه النبي ﷺ كان ثالث عشر الشهر لكن لم يكن يومه قد مضى، لم يؤرخ بليلته إنما أرَّخوا بليلة الأحد ويومها، وهو الثاني عشر فكذلك قال ابن إسحاق: توفي لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول والله أعلم انتهى.

قال الشيخ زين الدين اللخمي الاسكندري في كتاب «الفجر المنير»: لما استكمل النبي ﷺ مدى عمره بعد أن قام لله بأمره، وإظهار الدين ونشره، والاشتمال على طاعة الله وبره، مؤيدًا بالفتح المبين والنصر والتمكين؛ قد شرع لأمته ونصحها، وأظهر مناهج الحق وأوضحها، وعفا معالم الشرك وطمسها، ونسخ أحكامها ودرسها، وخفض أعلامها ونكسها، وأبان الحلال والحرام، وأقام المعالم والأحكام، وبلغ ما حُمّل وأداه، ونقل ما استحفظ ووفاه، وأعز الله به الحق وأعلاه، كما أدحض به الباطل وأخزاه، نقله إلى دار كرامته وقدس رحمته، ومحل رضوانه وأدناه؛ سعيدًا شهيدًا مباركًا حميدًا، بعد أن أعلمه بما أنزل إليه، أنه قادم عليه وصائر إليه، فعهد إلى الناس وودعهم، وحذّرهم وبشّرهم ونصحهم وعلّمهم، ووصّاهم وودّعهم وأنذرهم.

قال الحافظ ابن عبد البر: ثم بدأ برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة في بيت ميمونة رضي الله عنها، ثم انتقل حين اشتد وجعه إلى بيت عائشة رضي الله عنها [وقال غيره: ابتدئ

---

(١) في (ك): «الليالي».

برسول الله ﷺ في بيت عائشة][١] قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فقلت: وارأساه فقال: «**بل أنا وارأساه**» ثم اشتد أمره في بيت ميمونة، واستأذن أزواجه أن يمرَّض في بيت عائشة فأذِنَّ له، وكانت مدة علته اثنى عشر يومًا، وقيل: أربعة عشر يومًا.

ولما استأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة، وأذِنَّ له خرج ويده على الفضل بن عباس ويده الأخرى على عليّ رضي الله عنهما قال: «**صبوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن؛ لعلي استريح، وأعهد إلى الناس**»[٢] قالت عائشة: فأجلسناه في مخضب لحفصة من نحاس، وسكبنا عليه الماء حتى طفق يشير إلينا: «**أن قد فعلتن**»، ثم خرج فقام يومئذ خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه واستغفر للشهداء الذين قتلوا يوم أحد ثم قال: «**إنكم يا (معشر)[٣] المهاجرين تزيدون والأنصار لا يزيدون، وإن الأنصار عيبتني التي أويت إليها؛ فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»[٤].

وروي أن الذي كان ابُتدئ به رسول الله ﷺ من وجعه الذي لزمه أن دخل على عائشة، وهو يجد صداعًا فوجدها تصدع وتقول: وارأساه فقال: «**بل أنا وارأساه**» قالت عائشة: فوالله لطار عني ما أجد، وكدت

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه ابن خزيمة (١٢٣)، وابن حبان (٢٥٨).

(٣) في (ك): «معاشر» والمثبت هو الموافق لما في مصادر التخريج.

(٤) من حديث كعب بن مالك رواه أحمد (١٦١١٩) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٩٧) قال الهيثمي (١٦٤٩٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

أن استطار فسكتني بالمزاح على (تجشم)[(١)] منه فقال: **«ما ضرك يا عائشة لو مت قبلي فأقوم عليك وإليك وأصلي عليك»** فقالت له: فما نجاني مما خشيت الحذر، وقلت: والله لكأني بك قد أعرست ببعض نسائك في بيتي من آخر ذلك اليوم، فتبسم رسول الله ﷺ ثم تمادى به وجعه، وهو في ذلك يدور على نسائه حتى اجتمعن برسول الله ﷺ وهو في بيت ميمونة، قالت: فلما رأوا ما به اجتمع رأي من في البيت على أن يلْدوه[(٢)]، وتخوفوا أن يكون به ذات الجنب ففعلوا.

ثم فرج عن رسول الله ﷺ وقد لدوه فقال: **«من صنع هذا»** فهِبنه واعتللن بالعباس، فاتخذ جميع من في البيت العباس سببًا، ولم يكن له في ذلك رأى وقالوا: تخوفنا أن يكون بك ذات الجنب، فقال: **«إنها من الشيطان، ولم يكن الله ليسلطه عليّ ولا ليرميّني بها، ولكن هذا عمل النساء؛ لا يبقين أحد في البيت إلا لدّ إلا عمي العباس فإنه لم يشهدكم»** فلُدوا كلهم، ولدّت ميمونة وكانت صائمة لقول رسول الله ﷺ ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بيت عائشة وكان يومها[(٣)].

ولما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً طافوا بالمسجد؛ فدخل العباس على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه عليّ فأخبره بمثل ذلك؛ فمد يده

---

(١) في (ق): «تحطم»، والمثبت هو الموافق لما في مصادر التخريج.

(٢) هو جعل الدواء في جانب الفم «فتح الباري» (١/ ١٨٣).

(٣) رواه البيهقي كما في «سيرة ابن كثير» (٤/ ٤٤٣).

وقال: «هاء» فناولوه فقال: «ما يقولون؟» قال: يقولون: نخشى أن يموت، وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم فثاب النبي ﷺ فخرج متوكّئا على الفضل وعلي والعباس أمامه، والنبي ﷺ معصوب الرأس يخط برجله حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**يا أيها الناس، بلغني أنكم تخافون عليّ الموت كأنه استنكارًا منكم للموت، وما (تنكرون)**[1] **من موت نبيكم لله، ألمْ أنع لكم؟ وتنع لكم أنفسكم؛ هل خُلّد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم؟، ألا إني لاحقٌ بربي، وأنتم لاحقون بي، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرًا، وأوصي المهاجرين فيما بينهم خيرًا قال الله تعالى**: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر: ١ - ٣] إلى آخرها، وأن الأمور تجري بإذن الله، ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله؛ فإن الله لا يعجل لعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعها، ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾، وأُوصيكم بالأنصار خيرًا؛ فإنهم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم؛ ألم يشاطروكم في الثمار؟، ألم يوسعوا عليكم في الديار؟، ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ إلا فمن ولي أن يحكم بين رجلين؛ فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، إلا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم، وأنتم لاحقون بي، ألا وإن

---

(١) في النسختين «تذكرون» والمثبت من «تاريخ دمشق» لابن عساكر، وهو الأليق بالسياق.

موعدكم الحوض-حوض أعرض ما بين بصري الشام وصنعاء اليمن- يصب فيه ميزاب الكعبة؛ أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب منه لم يظمأ أبدًا، حصباؤه اللؤلؤ، وبطحاؤه من مسك، من حرمه في الموقف غدا؛ حرم الخير كله، إلا فمن أحب أن يرده عليّ غدًا؛ فليكفف يده ولسانه إلا مما ينبغي» .

قال العباس يا رسول الله أوص بقريش فقال: **«إني إنما أوصي بهذا الأمر قريشًا، الناس تبع لقريش بارهم لبارهم، وفاجرهم لفاجرهم؛ فاستوصوا آل قريش بالناس خيرًا، يا أيها الناس، إن الذنوب تغير النعم، وتبدل القسم؛ فإذا بر الناس برَّ بهم أئمتهم، وإذا فجر الناس؛ عقوهم وقال الله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]» ذكر هذا سيف بن عمر في كتاب «الفتوح» له(١).

وذكر الواقدي بسند وصله بعبد الله بن مسعود ﷺ قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا ﷺ نفسه قبل موته بشهر بأبي هو وأمي، ونفسي له الفداء فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة ﵂ وقال: **«حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نفعكم الله؛ رفعكم الله، آواكم الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، واستخلفه عليكم، وأحذركم الله أني لكم نذير مبين، أن لا تعلوا**

---

(١) عن أبي سعيد بن عبد الله عن أبيه رواه ابن عساكر كما في «مختصر تاريخ دمشق» (١/٢٩٤-٢٩٥) قال العراقي (٢٠٨/٤): حديث مرسل ضعيف، وفيه نكارة، ولم أجد له أصلا.

على الله في عباده وبلاده؛ فإنه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]».

قلنا يا رسول الله متى أجلك؟ قال: «دنا الفراق، والمنقلب إلى الله تعالى، وإلى جنة المأوى» قلنا: يا رسول الله من يغسلك؟ قال: «رجال أهلي؛ الأدنى فالأدنى» قلنا: يا رسول الله ففيم نكفنك؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتم، أو في ثياب مصر أو في حلة يمانية» قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك بآبائنا وأمهاتنا أنت وبكينا وبكى؟ فقال: «مهلاً رحمكم الله، وجزاكم عن نبيكم خيرًا، إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني؛ فضعوني على سريري هذا على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة؛ فإن أول ما يصلي عليّ حبيبي وخليلي جبريل، ثم ميكائيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثم ادخلوا عليّ فوجًا فوجًا فصلوا عليّ وسلموا تسليمًا، ولا تؤذوني بتزكية وليبتدئ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم ثم أنتم، واقرؤوا السلام على من غاب من أصحابي، واقرؤوا السلام على من تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة» قلنا: يا رسول الله من يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم»[(١)].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٥٦) من طريق الواقدي، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٩٦) من وجه آخر، واختصره الحاكم (٤٣٩٩). قال الهيثمي (١٤٢٥١): فى إسناده ضعفاء منهم أشعث بن طليق قال الأزدى لا يصح حديثه والله أعلم أ هـ، وفيه أيضا عبد الملك بن عبد الرحمن قال الذهبي: مجهول.

وقال الطبري في «تاريخه»[1] أخبرنا ابن عبد الباقي بإسناده عن محمد بن سعد قال: حدثنا أنس بن عياض الليثي قال: حدثونا عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث؛ نزل عليه جبريل فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكرامًا لك، وتفضيلاً لك وخاصة بك؛ يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ قال: **«أجدني يا جبريل مكروبًا»** ؛ فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ قال: **«أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا»** ؛ فلما كان اليوم الثالث نزل جبريل، وهبط معه ملك يقال له: إسماعيل يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط، ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف ملك فسبقهم جبريل، فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك؛ إكرامًا لك وتفضيلاً لك وخاصة بك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا، ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمي قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك.

قال: **«ائذن له»** ؛ فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ

---

(١) لم أقف عليه في تاريخ الطبري، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٢٥٠) والطبراني في «الكبير» من حديث علي (٣/ ١٢٩) قال الهيثمي (١٤٢٦١): فيه عبد الله بن ميمون القداح؛ ذاهب الحديث.

فقال: يا رسول الله يا أحمد إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني؛ إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، قال: «**وتفعل يا ملك الموت؟**» قال: بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما تأمرني به، فقال جبريل: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطيء الأرض، إنما كنت حاجتي فتُوفى رسول الله ﷺ، وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس، ولا يرون الشخص؛ السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ**﴾، إن في الله عزاءً من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، فبالله فثقوا وإياه فأرجوا، إنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقال الطبري أيضًا: أخبرنا محمد بن عمر الأرموي بإسناده عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه، فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول كيف تجدك؟ قال: «**أجدني وجعًا يا أمين الله**»، ثم جاءه اليوم الثاني ومعه ملك الموت فقال: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول كيف تجدك؟ قال: «**أجدني يا أمين الله وجعًا من هذا معك؟**» قال: هذا ملك الموت وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، وآخر عهدي بها، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبدًا؛ فوجد النبي ﷺ سكرة الموت، وعنده قدح فيه ماء فكلما وجد سكرات الموت أخذ من ذلك الماء فمس

به وجهه ويقول: «**اللهم أعني على (سكرة)[١] الموت**»[٢].

وروي أن جبريل أتى إلى النبي ﷺ في مرضه ذلك فقال: إن ربك يقرئك السلام ورحمة الله ويقول لك: إن شئت شفيتك وكفيتك، وإن شئت توفيتك وغفرت لك، قال: «**ذلك إلى ربي، يصنع ما يشاء**».

وقال الطبري أيضًا: أخبرنا ابن عبد الباقي بإسناده عن محمد بن سعد قال: حدثنا أنس بن عياض الليثي قال: حدثونا عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما بقي من أجل رسول الله ثلاث فذكره.

وذكر صاحب كتاب «وسيلة المتعبدين»[٣] عن أبي العالية أن جبريل أتي النبي ﷺ في مرضه الذي تُوفي فيه فقال: إن ربي يخيرك بين أن تعيش ما شئت، وأن تُعطي نُهمتك من الدنيا، وأنت عبده ورسوله أو الرفيق الأعلى، فقال نبي الله ﷺ: «**فأنت رسولي إلى ربي يا جبريل؛ فليختر لي**»؛ فخرج جبريل فرأى عزرائيل على باب الحجرة فقال له جبريل: لا تدخل الحجرة ولا تُرِعَنّ محمدًا حتى آتيك فحدّث رسول الله أصحابه بذلك وقال: «**ربي أرسل إليَّ يعرض عليّ كذا وكذا**».

فقال له أصحابه: يا نبي الله وما كان عليك لو تختار أن تعيش فتأخذ

---

(١) في (ق): «سكرات»، والمثبت هو الموافق لما في مصادر التخريج.

(٢) رواه ابن عساكر كما في مختصر «تاريخ دمشق» لابن منظور (١/ ٢٩١)، وذكره ابن الجوزي في صفوة «الصفوة» (١/ ٢٢٥).

(٣) مؤلفه عمر بن محمد بن خضر المشهور الأردبيلي الصوفي نزيل دمشق بالملاء المتوفى سنة سبعين وخمسمائة. انظر «معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠٩)، و«هدية العارفين» (١/ ٧٨٤).

نُهمتك من الدنيا، وأنت عبد الله ورسوله، يأتيك خبر السماء غدوةً وعشيةً، فقال ﷺ: «**كلا خيرةَ ربي**» ثم لبث ساعة ثم قال: «**ما أراني إلا مقبُوضًا**» ثم جاءه جبريل فقال: إن الله قد أحب لك أن تلقاه فما زال رسول الله ﷺ يقول: «**لقاء ربي لقاء ربي**»[(١)] حتى مات ﷺ انتهى.

ورُوي أن الله أوحى إلى ملك الموت؛ أن اهبط على حبيبي وصفيي محمدٍ في أحسن صورة، وارفق به في قبض روحه فهبط ملك الموت، فوقف بالباب شبهَ أعرابي ثم قال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، أأدخل؟...وفيه أنه أُذِن له ودخل، وجاء جبريل فجلس عند رأسه فقال رسول الله ﷺ: «**يا جبريل، هذا الرحيل من الدنيا؛ فبشرني ما لي عند الله**» قال: أبشرك يا حبيب الله إني تركت السموات قد فتحت، والملائكة قد قاموا صفوفًا يحيون روحك يا محمد، فقال: «**لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل**»، قال: أنت أول شافع وأول مشفع يوم القيامة، قال: «**لوجه ربي الحمد، فبشرني**».

قال جبريل: يا حبيبي عما تسألني، قال: «**أسألك عن غمي وهمي، من لقراء القرآن من بعدي؟ من لصُوَّام شهر رمضان من بعدي؟ من لحجاج بيت الله الحرام من بعدي؟ من لأمتي من بعدي؟**» قال: أبشر يا حبيب الله فإن الله يقول: قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأُمم حتى تدخلها أنت وأمتك يا محمد، قال: «**الآن طابت نفسي، ادن يا**

---

(١) بنحوه رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ٢١٥).

ملك الموت لما أُمرت»[١].

فصل في التعزية به ﷺ

لقد أتاه حِمامه، وانقطع عن عينه منامه، وكثر أنينه واشتد سقامه، ودنت لقبض روحه النفيسة أملاكه، وعزَّ على البرية من وثاق المنية فكاكه، وعلا رونق وجهه الشحوب وغشيته الكروب، ولم يجد لدائه دواء ولا لسقامه شفاء، فعنده عادت حركاته سكونًا، وكلماته أنينًا، قد طاف به أحبابه وأولاده، وخاف عليه أصحابه وعُوَّاده، وهو يردد إليهم نظرًا كليلاً، ويعاند لسانًا ثقيلاً، قد جلله عرق السياق، ووصلت نفسه بين اللها[٢] والتراق، وسرفت منه بالدموع الآماق[٣]، ونادى الله تعالى جبريل، أن ناد في الكروبيين[٤] والمقربين وسكان سدرة المنتهى؛ لا

---

(١) جزء من حديث جابر وابن عباس رواه الطبراني في «المعجم «الكبير» (٣/ ٥٨). قال الهيثمي (١٤٢٥٣): فيه عبد المنعم بن إدريس؛ كذاب وضاع.

(٢) جمع لَهَاة، وهي اللحمات في سقف أقصى الفم. النهاية في «غريب الحديث» (٤/ ٥٨٣).

(٣) هي مؤخرة العين. انظر الفائق في «غريب الحديث» (٣/ ٣٤١)

(٤) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٤/ ٢٦): يقال لحملة العرش والحافين به؛ الكروبيون جمع كروبي؛ بفتح الكاف وضم الراء المهملة المخففة وتشديدها خطأ، ثم واو بعدها باء موحدة، ثم ياء مشددة من كرب بمعنى قرب، وقيل: من الكرب بمعنى الشدة والحزن وكأن وصفهم بذلك؛ لأنهم أشد الملائكة خوفا، وزعم بعضهم أن الكروبيين حملة العرش، وعن البيهقي أنهم ملائكة العذاب وكأن ذلك إطلاق آخر من الكرب بمعنى الشدة والحزن. انتهى بتصرف.

تدعوا طيبًا ولا كافورًا إلا حملتموه لحبيبي محمد ﷺ، ونادى رضوان؛ أن زَخْرف الجنان بالحور الحسان، للقاء حبيبي محمد ﷺ.

قال شيخنا في «اللطائف»: واختلفوا في وقت دفنه؛ فقيل: دُفن من ساعته وفيه بُعد، وقيل: من ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم الثلاثاء، وقيل: يوم الأربعاء، وقيل: ليلة الأربعاء، ولما توفي ﷺ اضطرب المسلمون؛ فمنهم من دُهش، ومنهم أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتُقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية، وقال: إنما بُعث إليه كما بعث إلى موسى وكان من هؤلاء المنكرين [لموته][1] عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

وبلغ الخبر أبا بكر فأقبل مسرعًا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجًا؛ فكشف عن وجهه الثوب، وأكبَّ عليه وقبَّل وجهه مرارًا وهو يبكي ويقول: وانبياه، واخليلاه، واصفياه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله رسول الله ﷺ، والله لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة التي كتبت عليك فقد مِتها.

ثم دخل المسجد وعمر يكلم الناس وهم مجتمعون عليه؛ فتكلم أبو بكر، وتشهد وحمد الله؛ فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى

(١) مثبت من (ق).

ﱡﭐﱁ ﱂ ﱠ [آل عمران: ١٤٤]؛ فاستيقن الناس كلهم بموته ﷺ، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل أن يتلوها أبو بكر، فتلقاها الناس منه فما يُسمع أحد إلا يتلوها.

فصل

كادت الجمادات تتصدع في ألم مفارقة الرسول ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين؟ لما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر؛ حنّ إليه وصاح كما يصيح الصبي؛ فنزل إليه فاعتنقه فجعل يهدأ كما يهدأ الصبي الذي يسكن عند بكائه وقال: **«لو لم أعتنقه، لحن إلى يوم القيامة»**[1].

ما أمرّ عيش من فارق الأحباب؛ خصوصًا من كانت رؤيته حياة الألباب.

قال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء؛ فلما كان اليوم الذي دفن فيه أظلم منها كل شيء.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: لما اجتمع القوم لغُسل رسول الله ﷺ، وليس في البيت إلا أهله، عمه العباس وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، [وقثم بن العباس][2]، وأسامة بن زيد، وصالح مولاه فلما

---

(١) رواه ابن ماجة (١٤١٥) قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.أ هـ وحنين الجذع متواتر كما أفاده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٢٧٥).

(٢) مثبت من (ق).

اجتمعوا لغسله نادى من وراء الباب أوس بن خولي الأنصاري -وكان بدريًا- علي بن أبي طالب فقال: يا علي، نُنْشدك الله حظنا من رسول الله ﷺ فقال له علي: ادخل فدخل فحضر غُسله، ولم يل من غسله شيئًا، قال: فأسنده علي إلى صدره، وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وكان أسامة وصالح يصبان الماء، وجعل علي يغسله، ولم يُر من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت، وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيَبَك حيًا وميتًا.

قال الحافظ ابن عبد البر: وقد أكثر في ذكر من أدخله قبره، وأصح ذلك أنه نزل في قبره؛ العباس عمه وعلي، وقثم والفضل بن العباس ويقال: أوس بن زيد ﵁، وكان آخرهم خروجًا من القبر(١) قثم ابن العباس، وكان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ، [ذكر ذلك ابن عباس وغيره وهو الصحيح.

وروى ثابت عن أنس قال: لما ثَقُلَ النبي ﷺ](٢) جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة ﵂ واكرب أبتاه، فقال لها: عليه الصلاة والسلام: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت: [يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه إلى جنة «الفردوس» مأواه](٣)، يا أبتاه، إلى جبريل أنعاه فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا

---

(١) أمامها في (ق): حاشية: وقبره ﷺ أفضل بقعة من بقاع الأرض.
(٢) مثبت من (ق).
(٣) مثبت من (ق).

على نبيكم التراب. أخرجه البخاري والنسائي[1]. وعاشت فاطمة بعد النبي ﷺ ستة أشهر ثم ماتت.

فصل

ورثاه بعد موته جماعة من الآل والأصحاب ﷺ مراثي كثيرة فمنها؛ ما رُوي عن أبي بكر ﷺ سيد المهاجرين والأنصار وصاحبه في الغار شيخ «المجالس» والصدور فيه ﷺ:

لما رأيتُ نبينا متجندلاً
ضاقت عليَّ بعرضهنَّ الدورُ
وارتاع قلبي عند ذاك بهُلكه
والعظمُ مني ما حييت كسيرُ
أعتيقُ ويحك إنَّ حبك قد ثوى
والصبرُ عندك ما بقيت يسيرُ
يا ليتني من قبل مَهلكِ صاحبي
غُيبت في جدثٍ على صخور
فلتحدُثنَّ بدائعٌ من بعده
تعيًّا بهن جوانحٌ وصدورُ

ورَثَته عمته صفية ﷺ بمراثي كثيرة منها، أن قالت:

فقدت أرضنا هناك نبيًّا
كان يُروى به النبات زكيا

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٣)، وابن ماجة (١٦٣٠)، والنسائي (١٨٤٤).

خُلُقًا عاليًا ودينًا كريمًا
وصراطًا يهدي الأنامَ سويا
وسراجًا يجلو الظلام منيرًا
ونبيًّا مسودًا عربيا
حازمًا عازمًا كريمًا حليمًا
عائدًا بالنوال برًا تقيا
إن يومًا أتى عليك ليوم
كُورت شمسه وكان جليا
فعليك السلام منا ومن
ربك بالرَوح بكرة وعشيًا

وبكاه أبو سفيان بن الحارث ﷺ وعن سائر الصحابة أجمعين فقال:

أرقتُ فبتُ ليلي لا يزول
وليل أخي المصيبةِ فيه طولُ
وأسعدني البكاء وذاك فيما
أُصيب المسلمونَ به قليلُ
لقد عظمت مصيبتُنا وجلت
عشيةَ قيلَ قَدْ قُبض الرسولُ
وأضحت أرضُنا مما عَرَاهَا
تكاد بنا جوانبُها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيلَ فينا
يروحُ به ويغدُو جبريلُ

وذاك أحقُّ ما سالت عليه
نفوسُ الناسِ إذ كرِبتْ تسيلُ
نبي كان يجلو الشك عنا
بما يُوحى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا يُخشى ضلالاً
علينا والرسول لنا دليلُ
أفاطمُ إن جزعت فذاكَ عذرُ
وإن لم تجزعي ذاك السبيلُ
فقبر أبيك سيدُ كلِّ قبرٍ
وفيه سيدُ الناسِ الرسولُ

وسُمع منشد في زوايا المدينة ينشد هذه الأبيات:

يا معشرَ الإسلام مات نبيكم
صلوا بأجمعكم عليه وَسَلمُوا
كان النبي محمدٌ نورَ الهدىَ
فالدين بعد وفاتِه مُتثلمُ
مات النبي فمن لنا مِنْ بعده
أو من يكون لنا أبرُ وأرحمُ
رُجت مدينته لأجل وفاته
حتى تكاد بأهلها تتهدمُ
فهو الذي بكت البقاع لفقده
والطير في تغريدها تترنمُ

وهو الذي بكت البحار وأظلمت
شمس الضحى وبكى الحطيمُ وزمزمُ
وهو الحبيب إلى القلوب وذكره
وهو الرسول الآخر المتقدمُ
للأنبياء منازل وفضائل
لكنهم حقًّا بأحمد يختموا
فعليه من رب السماء صلاته
وسلامه يُبدأ بذاك ويختمُ

اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وعترته، وأحيينا على سنته وتوفنا على ملته، وأحشرنا في زمرته. اللهم توفنا على هديه وطريقته، يا من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين آمين رب العالمين.

المجلس السابع

لسلخ جمادى الآخرة

الحمد لله الذي لا مانع لما وهب ولا واهب لما سلب، ولا ناسخ لما كتب، ولا مظهر لما حجب؛ طاعته أفضل مكتسب وتقواه للمتقين أعلى نسب، والمصائب في جنب أجره تحتسب، والمعاصي من خوفه تجتنب، والعطايا من فضله ترتقب، وهو المرجو لكشف الكُرب، وفي معاملته يُستعمل الأدب، وفي إخلاص طاعته تسموا الرتب، وفي تحقيق خدمته يحسن النَّصب، وفي الإعراض عن بابه يقع العطب، وفي نسيان تقديره يتوفر التعب.

اختار ما شاء كما شاء وانتخب، ومنع العقول أن تفترض للاعتراض في إيجاب ما وجب، وعقّب جمادى الآخرة بشهر رجب؛ أحمده على نعم جمة أسلفها، وأشكره على أسباب هدى عرَّفها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة مخلص أقر ب«الوحدان»ية وعرفها، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله، والنفوس قد ملأها الهوى وتألفها، فأقبل نوربهدايته يفري ظلمات الضلال حتى كشفها، صلى الله عليه وعلى موافقي شرعه إلى يوم[1] مشاهدة النفوس مسلفها وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) بعدها في (ك): «الدين»، وهي مقحمة في السياق.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله، وألهمنا صدق التوبة وإخلاص الإنابة، وأيقظنا لاتباع الحق وطريق الإجابة، ووفر نصيبنا من جزيل فوائد الإصابة، واجعلنا ممن تعلق بالخير ولازم أسبابه، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله قد أزف انتقالكم إلى شهر حرام؛ فتطهروا من دنس الذنوب والآثام، وتلقوا شهر الله بالإجلال والإعظام.

وقد رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يعجبني أن يفرغ الرجل نفسه في أربع ليال؛ ليلة الفطر، وليلة الأضحى، وليلة النصف من شعبان، وأول ليلة من رجب. رُوي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى عدي بن أرطأة -وهو عامله على البصرة- أن عليك بأربع ليال فإن الله يُفرغ فيهن الرحمة إفراغًا فذكر هذه الليالي الأربع.

لله در أقوام بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات؛ فالعين مشغولة بالدمع عن المحرمات، واللسان محبوس في سجن الصمت عن الهلكات، والكف قد كُف بالخوف عن الشهوات، والقدم قد قيد بقيد المحاسبات، والليل لذتهم يجأرون فيه بالأصوات، فإذا جاء النهار قاطعوه بمقاطع اللذات، فكم من شهوة ما بلغوها حتى الممات.

فتيقظ أيها الغافل للحاقهم من هذه الرقدات، ولا تطمعن في الخلاص مع عدم الإخلاص في الطاعات ولا تؤمِّلن النجاة، وأنت مقيم على الموبقات، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

قال الشاعر: شعر

عجبًا لأمنِك والحياة قصيرة
وبفقد إلْف لا تزال تروَّعُ
أفقد رضيت بأن تُعلل بالمُنى
وإلى المنية كل يوم تُدفعُ
لا تخدعنّك بعد طول تجارب
دنيا تَغر بوصلها وستقْطعُ
أحلام نوم أو كظل زائل
إن اللبيب بمثلها لا يُخدعُ
وتزودنّ ليوم فقرك دائبًا
لغير نفسك لا أبالك تجمعُ

وقال: لما علم القوم الصالحون قصر العمر، وحثهم حادي وسارِعوا طووا مراحل الليل مع النهار انتهابًا للأوقات، فيا أيها التائب، مولاك بابه مفتوح للطالبين، وبره مبذول للراغبين، وفضله ينادي يا غافلين وإحسانه ينادي الجاهلين، فأخرجوا من دائرة المذنبين، وبادروا مبادرة التائبين، وتعرضوا لنسمات الرحمة؛ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، شعر:

دارك فما أمرك بالواني
ولا تثق بالعُمر الفاني
يأتي لكم اليوم بما تشتهي
فيه ولا يأتي لك الثاني

ويأمل الباني بقاء الذي
يبني وقد يُختلس الباني
يُصبح في شأن بما تقتضي
الآمال والأيام في (شان)(١)
فانظر بعين الحق (مستبصرا)(٢)
إن كنت ذا عقل وعرفان
هل [نال](٣) من جمَّع أمواله
يومًا سوى قبر وأكفاني
أليس كسرى بعد ما ناله
زُحزح عن قصرٍ وإيواني
وعاد في حفرة خاليًا
في تربة يَبلى وديداني
كم تلعب الدنيا بأبنائها
تَلاعب الخمرِ بنشواني
والناس في صحبتها ضِحكةٌ
قد رفضوا الباقي بالفاني
وهم نيام عن ملمَّاتها
تُبصرهم في زيٍّ يَقظاني

---

(١) في (ك): «شاني».
(٢) في (ق): «مستبصرة».
(٣) سقط من النسختين، والمثبت من «التبصرة» لابن الحوزي (١/ ٥٣).

فصل

حاسب أيها العبد نفسك، ألست الذي دمت على الخطايا وعصيت؟، وبارزت بالخطايا وما استحييت، وعلمت تحريم الذنب ثم أتيت، وعرفت عظيم الجزاء ثم تناسيت، كم من ذنب فعلته واستدمت، وكم من حرام بادرته وأقدمت، وكم من واجب ضيعته وما اهتممت، وكم من قاطع عن الله إذا فاتك اغتممت.

أتراه إن أخذك على بعض ذنوبك، وهتكك في بعض عيوبك، من يمنعك ويحميك، من يرزقك على الخطايا ويعطيك، أسفًا لك، سيرتك أقبح سيرة، ونفسك في يد الشيطان أسيرة، وطاعتك بالنفاق وإن كثرت يسيرة، وذنوبك دائمة جمة كثيرة. شعر:

ألا يا غافلاً يُحصى عليه
من العمل الصغيرة والكبيره

يُصاح به ويُنذر كل يوم
وقد أنسته غفلته(مصيره)[1]

تأهب للرحيل فقد تدانى
وأنذرك الرحيل أخٌ وجيره

وأنت رخيٌّ بالٍ في غرور
كأن لم تقترف فيها صغيره

(١) في النسختين (بصيرة)، والمثبت من «التبصرة» لابن الحوزي (٢/ ٢٢).

وكم ذنبٍ أتيت على بصيرة
وعينُك بالذي تأتي قريره
تُحاذر أن تراك هناك عين
وأن عليك للعين البصيره
وكم حاولت من أمر عظيم
منعت برحمة منه وخيره
وكم من مدخل لومتَّ فيه
لكنت به نكالاً في العشيره
وُقيت السوء والمكروه فيه
ورحت بنعمة فيه ستيره
وكم من نعمة لله تمسي
وتصبح ليس تعرفها كبيرة

اسمع يا من لازم القبيح المذموم، وأصبح على الخطايا يدوم، ونسي بغفلته يوم القدوم، وأهمل ذكر العرض على الحي القيوم كيف نسيت من أنشاك وخلقك؟ كيف عصيت من علمك وأنطقك؟. كيف أعرضت عمن نصحك وصدقك؟ كيف تخلفت عمن جد فسبقك؟ أما بين يديك اليوم العصيب؟ أترضى بفوات الحظ والنصيب؟متى تقصر إصلاح نفسك والتهذيب؟ متى تحذر يوم الحشر وشدة التعذيب؟

أمامك والله كل هول عجيب، وعن قليل تدعى إلى القبور فتجيب، ثم تقوم للعرض على الرب الرقيب، وتشاهد يوم تبري المحب من الحبيب، والأمر شديد وكل آت قريب ذلك يوم نجاة المتقي وهلاك

الفاجر، وجريان الدموع التي تفرق بها المحاجر، وظهر الخسران في كثير من المتاجر، وتعاظم الحسرات إذا القلوب لدى الحناجر.

يا حسرة من احتوشته الزبانية من كل جانب، وهو مطرق الرأس إطراق الحزين الخائب، تواترت عليه الآفات وحلت المصائب، ونودي عليه هذا المدعي الكاذب، ولازمته الحيرة ونابته النوائب.

وذلك يوم يظهر فيه التوبيخ والتعزير، ويقل الصفا ويكثر التكدير، ويساق المحروم ذليلاً كالأسير، ويقع السؤال عن القليل والكثير، ويُغضب على الفجار الملك الجليل الكبير، ويأتي غني العاصين كأحقر فقير، ويُعدم المتجبر الإعزاز والتوقير، ويبدي الكتاب الفتيل والنقير، وينقسم الخلق إلى قسمين ويصير، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

تنبه يا من قد أزف انتقاله إلى شهر حرام، متى تنتقل عن قبيح الآثام، إلى متى ترضى بالإصرار على الإجرام، إلى متى لا ينجع فيك لوم (الكلام)[1].

لله در أقوام بادروا الأعمال فتداركوها، وجاهدوا الأنفس حتى ملكوها، وتأهبوا لسبيل التوبة ثم سلكوها، وعرفوا عيوب العاجلة فتركوها، استعمالُهم الأدب في جمادي كرجب، إقبالهم على التقى لعلمهم بقرب اللقا، إصلاحهم للأعمار لعلمهم بالجنة والنار، قل للذين أعرضوا عن الهدى فما اتبعوا، وخُوفوا يوم الحر فما خافوا ولا ارتدعوا، وسمعوا المواعظ فما أثرت عندهم ولا انتفعوا، واستكثروا

---

(١) في (ق): «الملام».

من الدنيا ولحطامها جمعوا، وذلوا في تحصيلها لأربابها وخضعوا، وأمّلوا طول البقاء فيها وطمعوا، وكأنهم ما يظعنون عنها فلقد خدعوا، تقلبوا كيف شئتم وما شئتم فاصنعوا، وأنشدوا شعر:

غـدًا تُـوفـى الـنـفـوس بـمـا كـسـبـت

ويـحـصـد الـزارعـون مـا زرعـوا

إن أحـسـنـوا أحـسـنـوا لأنـفـسـهـم

وإن أسـاءوا فـبـئـس مـا صـنـعـوا

فرحم الله امرءًا أصلح عمله وحققه، وأطاع في جميع الأقوال من خلقه، وقام بالخطاب المتوجه إليه، وعرف ماله وقضى ما عليه، ما دام في الوقت سعة الاعتذار، وفي الزمن مكنة الاقتدار، وفي الأيام فرصة الاعتذار، قبل أن يضيق الطريق، ويقع التفريق ويحمل الفاجر ما لا يطيق، ويخرس المتكلم المنطيق، وينصب الصراط ويحبس الطليق، فأما أصحاب الإيمان فهم في الجنان في الرحيق يسقون من رحيق، وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق.

جعلنا الله وإياكم ممن مال إلى نجاته وانعطف، واستقام على أفعال الخير فما زاغ ولا انحرف، فقام بما علم وعمل بما عرف، واقتفى آثار الأتقياء الأبرار من السلف، وجانب ما يؤدي إلى الخيبة ويحمل إلى الأسف، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ومصيرنا ومرجعنا إليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المجلس الثامن

لافتتاح شهر رجب الفرد

الحمد لله الذي لا يخيب من قصد بابه وأمَّ، ولا يندم من أفنى عمره في طاعته واهتم، ولا يخاف محنة اللوم ولا يحذر الذم، أسبغ النعم فأفضل وجاد فوفر وعمَّ، وكشف الكروب بفضله ورفع بمنّه الغمّ، وكم عافى بلطفه من أَلمٍ أَلَمْ إذا آلم، إله كثير الفضل إذا أنعم أتم، وملك واسع الجود وأعطى الخير الجم، وكريم إذا أسدى النعمة ساق الأخرى وضم.

جف القلم بتقديره فألقي عنك الهم، وتصبر للشدائد فقد أُودع موسى اليم، وألقاه في حِجر عدوه فرعون فرباه، ثم خلق العباد فاصطفى من جمع فيه الخير واستتم، (وخلق)[1] الشهور فاختار لنفسه شهر رجب الأصم، أحمده إذ أرانا شهر رجب الأصب، وأشكره على إيمان به في القلوب صب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله فلق النوى بقدرته والحب، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله اختاره من بين الكل وأوجده كما أحب، صلى الله عليه وعلى من صاحبه وحامى عنه وذب، وعلى أزواجه اللواتي جمعن به الخير فاستتب، وعلى التابعين لهم

---

(١) في (ق): «واختار».

بإحسان ما أخرجت الأرض الأَب[1]، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وبارك لنا في شهرك شهر رجب، وأعنّا على القيام بما علينا وجب، واجعلنا من المتمسكين بحسن الأدب، واكتبنا فيمن تأهب لطاعتك وانتدب، وانفعني والحاضرين بما علمت، وأدخلنا في جملة من هديت وسلمت، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ورُوي عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل رجب قال: «**اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان**»[2].

وروي عن أبي إسماعيل الأنصاري قال: لم يصح في فضل رجب غير هذا الحديث، قال شيخنا في «اللطائف»: وفي قوله نظر[3]، وفي هذا الحديث دليل على استحباب الدعاء بالبقاء إلى الأزمان الفاضلة؛ لإدراك الأعمال الصالحة فيها؛ فإن المؤمن لا يزيد عمره إلا خيرًا،

(١) الأَبُّ؛ هو المرعى الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الدّواب والأنعام. انظر «المصباح المنير» (١/ ١).

(٢) من حديث أنس رواه أحمد (٢٣٤٦) والطبراني في «الأوسط» (٣٩٣٩) والبيهقي في «الشُعب» (٣٨١٥) وقال: تفرد به زياد النميري، وفيه زائدة بن أبي الرقاد قال البخاري: زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري منكر الحديث. قال الهيثمي (٤٧٧٤): فيه زائدة بن أبي الرقاد وفيه كلام وقد وثق. أ هـ وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف «الجامع» (٤٣٩٥). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) ومن تأمل تخريج الحديث، ظهر له صحة تعقب ابن رجب؛ فالحديث ضعيف كما قرره غير واحد من أهل العلم.

وخير الناس من طال عمره وحسن عمله(١) .

عباد الله؛ اعلموا أن شهركم هذا شهر رجب الأصب، شهر نسب إلى الله تعالى، شريف قدره وعظيم أمره؛ من عظَّمه عظِّم، ومن كرَّمه كرِّم، ومن استكان لقدره سعد، ومن استهان بأمره بعد، فيه تصب الرحمة على التائبين، وتفيض أنوار القبول على العاملين، وهو الفرد من الأشهر الحرم التي عظم الله أمرها، وضاعف بإحسانه قدرها.

شهر الله وجُنة لأولياءه، وجُنة تقي الجحيم من أرضاه؛ من صام أيامه وصان فيه لسانه، وحفظ فيه إسلامه، وباين فيه آثامه، وجافى الجفون هاجرًا به منامه، مؤثرًا أرجى به قيامه، رجاء إكرامه؛ ففي مقام فضله الآثار تشهد والإيثار يحمد، والتقي يسعد والشقي يطرد، والمفرط يعض بنان ندمه ويكمد إذا لم يرشد، بخل وخجل وغرر، ومنطق وسود بنور يمن لا ينكر، وجونب الفحشاء والمنكر.

فرد أشهر سرد؛ جعلها الله حرمًا، وشرف قدرها تكرمًا، فرجب نور سواد عين سؤدد محرماتها، وأنس القلوب بلقاء المحبوب، يرفع درجاتها في فسيح جناتها، رجب خالع الأعنة، وقالع الأسنة، ومخمد نيران الحروب بصوت دؤب ما الهدنة، فطوبى لراغب في صلاة ليله ليلة رغائبه، ومستغفر بالأسحار لظهور أسرار عجائبه، وهو نزهة الأبرار في برهة الأعمار، لأذكار الملك العزيز الجبار.

---

(١) ورد مرفوعا من حديث عبد الله بن بسر رواه الترمذي (٢٣٢٩) وقال: حسن غريب.

ويقال رجب ثلاثة أحرف، راء وجيم، وباء، فالراء من الرحمة، والجيم جرم العبد، والباء، بكاؤه، فكأنه عني جرم العبد بين رحمته وبكائه، ويقال: أوله طلب وأوسطه تعب، وآخره طرب، ولما زاد قدره وبهاؤه، كثرت أوصافه وفضائله وأسماؤه، وذكر بعض أهل العلم لرجب ثمانية عشرة اسمًا؛ شهر الله ورجب، ومضر ومنصل الأسنة، والأصم والأصب، ومنفس ومطهر، ومعلي ومقيم، وحرم، ومقشقش، ومبري، ومفرط، ومرحم بالميم، ومنصل الألة، وهي الحراب، ومنزع الأسنة، والشهر السابق، ولكل اسم من هذه الأسماء معنى نفيس عليه قد بني وبه قيس.

أما اسمه المعروف المشهور الذي وُسم به من بين الشهور رجب؛ فاشتقاقه من الترجيب، وهو التعظيم عند العرب، يقال: رجبت الشهر إذا عظمته، والترجيب؛ أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها، والترجيب؛ التعظيم، وإن فلانًا لمرجب لمعظم، قال بعضهم: إذا ضموا إليه شعبان قالوا: رجبان، وقول الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة: أنا جزيلها المحكك وعذيقها المرجب معناه أنا ذو الرأي الصواب، الذي يؤخذ به (ويستشفى)[1] بإشاراته.

وقال بعضهم: الترجيب التأهيب والاستعداد؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يترجب فيه خير كثير لشعبان**»[2] وقال بعضهم: الترجيب تكرار

(١) في (ق): «يسقى» و(ك) «يستسقى» والمثبت هو الصواب الموافق لما في كتب اللغة. انظر «لسان العرب» (١٠٦/١١).

(٢) رواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال في «فضائل رجب» عن أنس كما =

ذكر الله تعالى وتعظيمه؛ لأن الملائكة يرجبون أصواتهم بالتسبيح والتحميد والتقديس لله ﷻ.

وأما اسمه شهر الله فلما روي عبد القادر في «الغنية» وابن الجوزي في «النور» -رحمهما الله تعالى- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي**»(١)، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريبه»: وفي بعض الحديث شهر الله الأصم عن المحرم ويقال: لمحرم ورجب، وروي عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه لما استهل رجب رقى المنبر يوم الجمعة وخطب ثم قال: ألا إن هذا شهر الله رجب، ذكره الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في «الغنية».

وأما تسميته شهر مضر فينسب إليهم؛ لأنهم كانوا يبالغون في تعظيمه، وقال شيخنا في «لطائفه»: وقد قيل: [إن](٢) ربيعة ومضر كانوا يحرمون أربعة أشهر من السنة مع اختلافهم في تعيين رجب، وقال شيخنا وقدوتنا عبد القادر في «الغنية»: وقيل إنما سمي رجب مضر؛ لأن بعض الكفار

= في «الجامع «الصغير» وزيادته (٧٠٢٩). قال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٢٨٥)، وفي «الضعيفة» (٣٧٠٨): موضوع.

(١) رواه السهمي في «تاريخ جرجان» (١/ ٢٢٤) عن أبي سعيد، وفيه عطية العوفي وهو ضعيف. وأفاد العجلوني في «كشف الخفا» (١٣٥٨): أنه ورد من حديث أنس وأبي هريرة. ونقل المناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٨) عن العراقي في شرح الترمذي أنه لم يثبت في فضل رجب حديث. ونقل قول النووي: لم يثبت في صوم رجب ندب ولا نهي بعينه، ولكن أصل الصوم مندوب.

(٢) سقط من النسختين، والمثبت من «لطائف المعارف».

دعا على قبيلة من القبائل فأهلكهم الله ﷻ فعظموه لذلك، ولهذا قيل: إن الدعاء فيه مستجاب، ولهذا كانت الجاهلية يؤخرون دعوتهم على من ظلمهم فيدعون عليه في رجب فلا يرد خائبًا، وما زاده الإسلام إلا تعظيمًا؛ فاجتهدوا فيه بالدعاء لعله أن يقبل ولا يرد. وروي عن قيس بن عباد أنه قال: في اليوم العاشر من رجب يمحو الله ما يشاء ويثبت.

وأما تسميته منصل الأسنة؛ فإنهم كانوا ينزعون الأسنة ويقولون: نصلت السهم إذا جعلت له نصلاً، وأنصلته إذا نزعت عنه نصله، وهي معنى تسميته منزوع الأسنة ومنصل الألة.

وأما تسميته الأصم؛ فلأنه ما كان فيه تسمع قعقعة السلاح، ولا صلصلة الرماح، وكان الرجل إذا لقي قاتل أبيه لا يتعرض له، فسمي أصم لذلك، وقيل: سُمي بذلك لأنه لم يسمع فيه غضب الله على قوم قط؛ لأن الله عذب الأمم الماضية في سائر الشهور، ولم يعذب أمة من الأمم فيه، ذكره الشيخ عبد القادر. وقيل: لأنه أصم من جفائك وزلتك، سمع بفضلك يا مؤمن وشرفك فجعله الله أصمًا من جفائك وزلتك؛ لئلا يشهد عليك بها يوم القيامة بل يكون شهيدًا لك لما سمع من فضلك وإحسان العمل فيه.

وأما تسميته الأصب بالباء فمعناه أنه تصب فيه الرحمة صبًا على العباد ويعطيهم الله من الكرامات (والمثوبات)[1] ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر على ما سيأتي في فضائله إن شاء الله

---

(١) في (ق): «المسرات».

تعالى، وأما المنفس؛ لما فيه من تنفيس كرب التائبين وكثرة ثواب العاملين والله أعلم.

وأما المطهر؛ فلأنه يطهر (صائمه)[١] من الذنوب والخطايا، ويرفع للمؤمنين عنه الله الدرجات في فسيح الجنات. وأما المعلي؛ فلأنه والله أعلم من علو مقام من أطاع الملك العلام، والمقيم يعني إقامة أجره وثوابه عند الله على الدوام، (وعود ذلك في كل عام)[٢]، والمهدم فلأنه يهدم الذنوب عن صاحبها هدمًا، والمقشقش؛ فلأنه يمحق الذنوب ويقشها فلا يبقى لها أثر وتصفوا به الأحوال من الكدر، والمبرئ كأنه يكتب للطائع فيه براءة من النار، ويرفع له فيه عند الله المقدار، والفرد؛ لكونه مفردًا عن الأشهر الحرام الثلاثة المتوالية وهي ذي القعدة وذي الحجة والمحرم، كما قال ﷺ: **«ثلاثة سرد، وواحد فرد»**.

وأما اسمه رجَم بالميم؛ فلما ورد من رجم الشياطين فيه بالشهب وحراسة السماء بالشهب النجوم منهم، والسابق في «الثواب» والأجر والسابق لغيره من الأشهر في الفضيلة، ويحتمل أن يكون لهذه الأسماء معان فوق ذلك وهذا (بعض)[٣] ما لمحه العبد من مختصر معانيها والله أعلم بما أودع من أسرار الحكم فيها.

وذكر صاحب كتاب «الحقائق» أن باب الكعبة يفتح في رجب في أوله

---

(١) في (ك): «صيامه».

(٢) في (ق): « وعون من الله عز وجل».

(٣) في (ق): « تبصرة».

إلى آخره؛ لأنهم قالوا: البيت بيته والعبد عبده والشهر شهره؛ فلا يمنع عباد الله في شهره عن بيته، كذا قال، ولعل الأمر كان كذلك أو هو كما قال أحيانًا هنالك.

قال الشيخ عبد القادر ﷺ أنه قيل: شهر رجب لترك الجفاء وشعبان للعمل والوفاء، وشهر رمضان للصدق والصفاء، رجب شهر التوبة، وشعبان شهر المحبة، ورمضان شهر القربة، رجب شهر الحرمة، وشعبان شهر الخدمة، ورمضان شهر النعمة، رجب شهر العبادة، وشعبان شهر الزهادة، ورمضان شهر الزيادة، رجب تضاعف فيه الحسنات، وشعبان تكفر فيه السيئات، رمضان (تنتظر)[1] فيه الكرامات، رجب شهر السابقين، شعبان شهر المقتصدين، رمضان شهر العاصين.

وقال ذي النون المصري: رجب لترك الآفات، وشعبان لاستعمال الطاعات، ورمضان تنتظر الكرامات فهو من أهل النزهات. وقال أيضًا: رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر الحصاد، وكل يحصد ما زرع ويجزى ما صنع، ومن ضيع الزراعة؛ ندم يوم حصاده واخلف ظنه مع سوء معاده.

وقال بعض الصالحين: السنة شجرة رجب أيام (إيراقها)[2]، وشعبان أيام ثمارها، ورمضان أيام قطوفها، وقيل: رجب خص بالمغفرة من الله تعالى، وشعبان بالشفاعة، ورمضان بتضعيف الحسنات، وليلة القدر

---

(١) في (ق): «تظهر». (٢) في (ق): «أوراقها».

بإنزال الرحمة، ويوم عرفة بإكمال الدين، لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ويوم الجمعة بإجابة الدعاء.

قال صاحب «الحقائق»: وفي الخبر «**إن الله تعالى يقول في كل ليلة من رجب: رجب شهري والعبد عبدي، والرحمة رحمتي والفضل بيدي، وأنا غافر لمن يستغفرني**»(١) وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم؛ ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر؛ الذي بين جمادى وشعبان**»(٢) وذكر الحديث.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٣٦]؛ فأخبر ﷻ أنه منذ خلق السموات والأرض جعل السنة اثنا عشر شهرًا بحسب الهلال، وجعل من هذه الأشهر حرمًا، وقد فسرها النبي ﷺ في هذا الحديث، وذكر أنها ثلاثة متواليات وواحد فرد، وهو رجب.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد رويت أحاديث تفيد أن رجب شهر الله منها حديث أنس عند البيهقي في «الشُعب» (٣٨١٣) من طريق نوح بن أبي مريم عن زيد العمي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «**خيرة الله من الشهور شهر رجب و هو شهر الله من عظم شهر رجب فقد عظم أمر الله ... الحديث**» قال البيهقي: قال الإمام أحمد: هذا إسناد منكر بمرة.

(٢) تقدم تخريجه قريبا.

وقد روى من حديث ابن عمر مرفوعًا «**أولهن رجب**»[(١)]، وفي إسناده موسى بن عبيدة وفيه ضعف شديد من قِبل حفظه، وحكي عن أهل المدينة أنهم جعلوها من سنتين، وأن أولها ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم ثم رجب آخرها، وعن بعض المدنيين أن أولها رجب ثم ذو القعدة، ثم ذو الحجة، واختلف في أي الأشهر أفضل؟ فقيل: رجب. قاله بعض الشافعية وضعفه النووي وغيره، وقيل: المحرم، قاله الحسن ورجحه النووي، وقيل: ذو الحجة. رُوي عن سعيد بن جبير وغيره وهو أظهر والله أعلم. ومراده إبطال ما كانت الجاهلية تفعله من النسيء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] الآية.

واختلفوا في أي عام عاد الحج إلى ذي الحجة واستدار الزمان فيه كهيئته؟، فقالت طائفة: إنما عاد على وجهه في حجة الوداع، وهذا قول مجاهد وعكرمة بن خالد وغيرهم. وقيل: إنه اجتمع في ذلك العام حج الأمم كلها في وقت واحد؛ فلذلك سمي يوم الحج الأكبر، وحجة الصديق رضي الله عنه كانت في ذي القعدة. وقالت طائفة: بل وقعت حجة الصديق في ذي الحجة، قاله الإمام أحمد رضي الله عنه، وأنكر قول مجاهد، واستدل بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليًا رضي الله عنه فنادى يوم النحر: «**لا يحج بعد اليوم مشرك**»، وفي رواية يوم الحج الأكبر، وهذا يدل على أن النداء وقع في ذي الحجة.

---

(١) الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٤) وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

وقيل: بل استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض كان من عام الفتح، وخرّج البزار من حديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال لهم يوم الفتح: «**إن هذا العام الحج الأكبر؛ قد اجتمع حج المسلمين وحج الكافرين في ثلاثة أيام متتابعات، واجتمع حج اليهود والنصارى في ستة أيام متتابعات، ولم يجتمع منذ خلق الله السموات والأرض، ولا يجتمع بعد العام حتى تقوم الساعة**»(١) وفي إسناده السمتي، وهو ضعيف جدًا.

وقد اختلف العلماء في حكم القتال في الأشهر الحرم هل تحريمه باق أم نسخ؟ والجمهور أنه نسخ تحريمه؛ نص على نسخه الإمام أحمد (وغيره من الأئمة)(٢)، وذهبت طائفة من السلف منهم عطاء إلى بقاء تحريمه ورجحه بعض المتأخرين، واستدلوا بآية المائدة، [والمائدة](٣) من آخر ما نزل من القرآن، وقد رُوي: «**أحلوا حلالها وحرموا حرامها**»(٤)، وقيل: ليس فيها منسوخ.

وخرّج الإمام أحمد رضي الله عنه في «مسنده»(٥) عن جابر قال: لم يكن

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٥٦)، والبزار (٤٦٥٦) قال الهيثمي (١٠٢٦٣): فيه يوسف بن خالد السمتي؛ ضعيف.

(٢) في (ك): «من الأئمة»، وفي (ق): «وغيره» والمثبت هوالأليق بالسياق وهو كما أثبتناه في «لطائف المعارف» فقد نقله ابن الرسام عن شيخه ابن رجب.

(٣) سقط من النسختين، والمثبت من «لطائف المعارف» لابن رجب.

(٤) رواه القاسم بن سلام (١/ ٢٣٩) في «غريب الحديث».

(٥) رواه أحمد في «مسنده» (١٤٦٢٣) قال الهيثمي (٩٩٣٧): رجاله رجال الصحيح.

رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى؛ فإذا حضره قام حتى ينسلخ. واستدل الجمهور بأن الصحابة بعد النبي ﷺ اشتغلوا بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد، ولم ينقل عن أحد منهم أنه توقف عن القتال وهو طالب له في شيء من الأشهر الحرم، وهذا يدل على إجماعهم على نسخ ذلك، والله أعلم.

ومن عجائب الأشهر الحرم ما روي عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي رضي الله عنهما أنه ذكر عجائب الدنيا؛ فعدَّ منها بأرض عادٍ عمود نحاس [عليه شجرة من نحاس؛ فإذا كان في الأشهر الحرم قطر منها الماء فملؤا منه حياضهم، وسقوا مواشيهم وزروعهم؛ فإذا ذهب][١] الأشهر الحرم انقطع الماء.

[بعض أحكام شهر رجب]

ويتعلق بشهر رجب أحكام كثيرة فمنها ما كان في الجاهلية واختلف العلماء في استمراره في الإسلام كالقتال وقد سبق ذكره.

وكالذبائح فإنهم كانوا في الجاهلية يذبحون ذبيحة يسمونها العتيرة، واختلف العلماء في أحكامها في الإسلام فالأكثرون على أن الإسلام أبطلها، وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « (لا فرع)[٢] ولا عتيرة»[٣]، ومنهم من قال: أنها مستحبة منهم ابن سيرين،

---

(١) سقط من النسختين، والمثبت من «لطائف المعارف»، وبه يستقيم المعنى.

(٢) في نسخة (ق): «لا فرح» والصواب ما أثبتناه.

(٣) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٥١٥٦).

وحكاه الإمام أحمد عن أهل البصرة، ورجحه طائفة من أهل الحديث المتأخرين، ونقل حنبل عن أحمد نحوه.

وفي «سنن أبي داود» والنسائي وابن ماجة[١] عن مخنف بن سليم أن النبي ﷺ قال بعرفة: «**إنه على أهل كل بيت في كل عام؛ أضحية وعتيرة**»، وهي التي يسمونها الرجيبة، وفي النسائي عن نبيشة أنه قالوا: يا رسول الله إنا كنا نعتر فيه في الجاهلية يعني في رجب قال: «**اذبحوا لله في أي شهر كان، وبروا الله (وأطعموا)**[٢]»، وفي حديث آخر قال: «**العتيرة حق**»[٣] وخرّج الطبراني[٤] بإسناده عن ابن عباس قال: استأذنت قريش رسول الله ﷺ في العتيرة فقال: «**عتر كعتر الجاهلية، ولكن من أحب منكم أن يذبح لله فيأكل ويتصدق؛ فليفعل**».

وهؤلاء جمعوا بين هذه الأحاديث وبين حديث: «**لا فرع ولا عتيرة**» بأن المنهي عنه هو ما كان يفعله أهل الجاهلية من الذبح لغير الله تعالى، وحمله سفيان بن عيينة على أن المراد به نفي الوجوب، ومن العلماء من

---

(١) أبوداود (٢٧٨٨)، والترمذي (١٥١٨)، والنسائي (٤٢٢٤)، وابن ماجة (٣١٢٥) قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) في (ك): «وأطيعوا» وفي (ق): «وأطيعوه» والمثبت الموافق لما في سنن النسائي.

(٣) من حديث عبد الله بن عمرو رواه أحمد (٦٧١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٤٥٥١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم «الكبير» (١١/ ٢٣٢) قال الهيثمي (٦٠٠٢): فيه إسماعيل ابن إبراهيم بن أبي حبيبة وثقة ابن معين وضعه الناس. أ هـ والذي في المصدرين «أعتر».

قال حديث أبي هريرة رضي الله عنه أصح من هذه الأحاديث وأثبت؛ فيكون العمل عليه دونها وهذه طريقة الإمام أحمد رضي الله عنه. وروى مبارك بن فضالة عن الحسن قال: ليس في الإسلام عتيرة، إنما كانت العتيرة في الجاهلية كان أحدهم يصوم رجب ويعتر فيه.

ويشبه الذبح في رجب اتخاذه موسمًا وعيدًا؛ لأكل الحلواء ونحوها فقد رُوي عن ابن عباس أنه كان يكره أن يتخذ رجبًا عيدًا قاله شيخنا في «اللطائف»، وأصل هذا أنه لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيدًا إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيدًا، وهو الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق، وهي أعياد العام، ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع، وما عدا ذلك؛ فاتخاذه عيدًا وموسمًا بدعة لا أصل له في الشريعة.

قال: وأما أحكام رجب وما ورد فيه من الصلاة والزكاة والاعتمار؛ فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به، والأحاديث المروية في صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب؛ كذب وباطل لا يصح، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين (من الحفاظ)[١]؛ الحافظ أبو إسماعيل الأنصاري، وأبو الفضل ابن ناصر، وأبو الفرج ابن الجوزي وغيرهم، وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم، (وأول)[٢] ما ظهرت بعد الأربعمائة؛ فلذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها.

---

(١) في النسختين (منهم) والمثبت من «لطائف المعارف» وهو الأليق بالسياق.

(٢) في نسخة (ق): «وأوله» والصواب ما أثبتناه.

إن في الجنة قصرًا من ذهب لم يثبت بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، ولكن روي عن أبي قلابة قال: في الجنة قصر لصوام رجب، قال البيهقي: أبو قلابة من كبار التابعين لا يقول مثله إلا عن بلاغ، وفي معني ذلك لبعض المشايخ هذين البيتين شعر:

إن في الجنة قصرًا من ذهب
صاغه الله لمن صام رجب
هو شهر الله حق فاعرفوا
قدره واستعملوا فيه الأدب

وروي «**أكثروا من الاستغفار في شهر رجب؛ فإن لله في كل ساعة من رجب عتقاء من النار، وأن لله مدائن في الجنة من ذهب؛ لا يسكنها إلا صوام رجب**»[(١)]، وذكر ابن الجوزي وأخرجه الحافظ عبد الغني المقدسي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام ثلاثة أيام من شهر حرام -الخميس والجمعة والسبت-؛ كتب الله له عبادة تسعمائة عام**»[(٢)] وعن وهب بن منبه قال: قرأت في بعض الكتب

(١) من حديث علي رواه الديلمي (٢٤٧) قال الفتني في تذكرة «الموضوعات» (١/ ١١٦): فيه الأصبغ بن نباتة؛ ليس بشيء.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨١٠) والذي فيه: عبادة سنتين قال الهيثمي (٥١٥١): فيه يعقوب بن موسى المدني عن مسلمة، ويعقوب مجهول، ومسلمة هو ابن راشد الحماني قال فيه أبو حاتم الرازي: مضطرب الحديث، وقال الأزدي في «الضعفاء»: لا يحتج به وأورد له هذا الحديث، وأبوه راشد بن نجيح أبو محمد الحماني أخرج له ابن ماجة. وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما أخطأ، =

المنزلة؛ أنه من استغفر الله في رجب سبعين مرة بكرة، وسبعين مرة عشية؛ مات والحق ﷻ عنه راضٍ، ولا تمسه النار ببركة رجب، قالوا: كيف يستغفر؟ قال: يقول استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من سبح هذا التسبيح في شهر رجب أحيا الله قلبه، ولا يموت إذا ماتت القلوب، ويحاسبه حسابًا يسيرًا؛ يقول في العشر الأول كل يوم مائة مرة: (سبحان الله الحي القيوم)[(١)]، وفي العشر الثاني سبحان الله الأحد الصمد، وفي العشر الثالث؛ سبحان الله الغفور الرحيم مائة مرة مائة مرة لا يقدر الواصفون (تصف)[(٢)] ما يعطى من «الثواب» فطوبى للعاملين، ويا حسرة الغافلين المفرطين المتخلفين»** ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في «مختصر مصباح المتهجد في عمل السنة»[(٣)] وأنشدوا:

يا عبد أقبل منيبًا واغتنم رجبًا
فإن عفوي عمن تاب قد وجبا

= وقال ابن الجوزي: إنه مجهول، وليس كما قال فقد روى عنه حماد بن زيد، وابن المبارك، وأبو نعيم الفضل بن دكين وآخرون.

تنبيه: الذي في المطبوع من المعجم «الأوسط» للطبراني و«مجمع البحرين» (١٥٩١): «عبادة سنتين» وفي مجمع «الزوائد»: «ستين سنة» ولفظ: «عبادة تسعمائة سنة» رواه الأزدي في «الضعفاء» كما في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٢٣٧).

(١) كررت في (ك): .

(٢) كذا في (ك، ق) ولعل الصواب «وصف أو أن يصف».

(٣) لم أقف على هذا الكتاب مطبوعا، والحديث ذكره مختصرا عبد الرحمن =

في هذه الأشهر الأبواب قد فتحت
للتائبين فكلٌ نال ما طلبا
(شدوا المضارب)[(١)] في ميدان رحمتنا
بحسن ظنٍ فكل نحونا هربا
وقد نثرنا (عليكم)[(٢)] من تعطفنا
نثار حسن قبول فاز من نهبا

فصل

وكان بعض السلف يصوم الأشهر الحرم كلها منهم عمر والحسن البصري وأبو إسحاق (السبيعي)[(٣)] وفي «سنن أبي داود» أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم من الأشهر الحرم ورجب آخرها ولفظ الحديث من رواية مجيبة الباهلية عن أبيها أو عن عمها أنه أتى النبي ﷺ ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغير حاله وهيئته فقال: يا رسول الله: أتعرفني؟ قال: «ومن أنت؟» قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول.

قال: «ما غيّرك وقد كنت حسن الهيئة؟» قال: ما أكلت طعامًا منذ فارقتك إلا بليل، فقال رسول الله ﷺ: «عذبت نفسك» ثم قال: «صم شهر الصبر ويوم من كل شهر» قال: زدني فإن لي قوة، قال: «صم

= ابن عبد السلام الصفوري في «نزهة «المجالس» (١/ ١٥٥) فقال: ورأيت في كتاب البركة عن النبي ﷺ.

(١) كذا في النسختين وفي المطبوع من «لطائف المعارف» «حطوا الركائب».

(٢) كذا في النسختين، وفي المطبوع من «لطائف المعارف»: «عليهم».

(٣) في النسختين «الشيبي» والمثبت هو الصواب الموافق لما في «الطائف المعارف».

يومين» قال: زدني، قال: «صم ثلاثة أيام» قال: زدني، قال: «صم من الحرم واترك، [صم][1] من الحرم واترك» وقال: بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها، وأخرجه النسائي وابن ماجة[2]، قال المنذري في «حواشي سنن أبي داود»: وروى عن بعض الصالحين أن مرض قبل شهر رجب فقال: إني دعوت الله أن يؤخر وفاتي إلى رجب؛ فإنه بلغني أن لله ﷻ فيه عتقًا فبلّغه الله ذلك، ومات في شهر رجب. فاعلموا عباد الله أن شهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة، وجدير بمن سودت صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة في هذا الشهر، ومن ضيع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر شعر:

بيّض صحيفتك السوداء في رجب
بصالح العمل المنجي من اللهب
شهر حرام أتى من أشهر حرم
إذا دعا الله داع فيه لم يخب
فطوبى لعبدٍ ذكي فيه له عمل
كف فيه عن الفحشاء والريب

وذكر ابن الجوزي في «التبصرة»[3] من الأحاديث المذكورة في فضل

---

(١) سقطت من (ق، ك) والمثبت من «سنن أبي داود».

(٢) رواه أبو داود (٢٤٢٨) وابن ماجة (١٧٤١) وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف أبي داود» (٢٠٧٣).

(٣) «التبصرة» (٢/ ١٣) وبنحوه من حديث عبد العزيز بن سعيد عن أبيه رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٦٩) وقال الهيثمي في مجمع «الزوائد» (٥١٣٢): فيه عبد الغفور؛ متروك.

صوم رجب قال: أخبرنا أبو علي بن محبوب، أخبرنا طراد بن محمد، أخبرنا الحسين بن عمر بن برهام، حدثني عثمان بن أحمد عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن شهر رجب شهر عظيم، ومن صام منه يومًا جزي [الله] له ألف سنة، ومن صام منه يومين جزي [الله] له ألفي سنة، ومن صام ثلاثة أيام جزي [الله] له صوم ثلاثة آلاف سنة، ومن صام من رجب سبعة أيام أغلقت عنه أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية فيدخل من أيها شاء، ومن صام منه خمسة عشر يومًا بدلت سيئاته حسنات، ونادى مناد من السماء قد غفر لك؛ فاستأنف العمل»**[(١)] .

وروي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: **«رجب من الشهور الحرم، وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة؛ فإذا صام الرجل منه يومًا، وجرد نصومه لتقوى الله تعالى؛ نطق الباب ونطق اليوم وقالا: يا رب اغفر له، وإذا لم يتم صومه بتقوى الله لم يغفر له، وقيل: خذ حفظ نفسك»**[(٢)] قال: وقد رويت أحاديث كثيرة في فضائله من هذا الجنس غير أنها لا تثبت ولا تصح؛ فلذلك تجنبنا ذكرها وما يروى فيه من صلاة الرغائب فإنما يتهم بوضعها ابن جهضم. انتهى.

وقال الإمام أبو بكر (الطرطوشي)[(٣)] في كتاب «الباعث في البدع»

---

(١) ما بين المعكوفين في الحديث سقط من النسختين، وأثبت من المطبوع من «التبصرة».
(٢) «التبصرة» (٢/ ١٣)، ورواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال في «فضائل رجب» كما في «كنز العمال» (٣٥١٦٥).
(٣) في النسختين «الطوسي» والمثبت هو الصواب.

والحوادث: قال قتادة: إن العمل الصالح والأجر أعظم في الأشهر الحرم، والذنب والظلم فيهن أعظم فيما سواهن، وقد تقدم[١] قول النبي ﷺ للباهلي: «صم من الحرم واترك»، رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة. وروى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في «الغنية» بسنده حديث صلاة الرغائب وابن الجوزي في كتاب «النور» بسنده عن علي بن جهضم الصوفي، وهو المتهم بوضعه كما ذكره في «التبصرة»، وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني -قدس الله روحه- شعرًا:

إذا نظرت عيني وجه حبايبي
فتلك صلاتي في ليالي الرغائب
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها
أضاءت لها الأكوان من كل جانب
عُدمت الرضا إن لم أكن باذلا دمي
أزاحم شجعان الوغى بالمناكب
ومن لم يوفي الحب ما يستحقه فذاك
الذي لم يأت قط بواجب

وفي جامع الأصول في صوم التطوع النوع الثالث في صوم رجب قال: [عثمان بن حكيم][٢]: سألت سعد بن جبير عن صوم رجب،

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) في النسختين «عباد بن حنيف» والمثبت هو الصواب الموافق لما في مصادر التخريج، وهو سقط من النساخ فإن عثمان بن حكيم هو ابن عباد بن حنيف. وانظر «مختار الصحاح» (٥٥٥٤) وجامع الأصول (٤٤٥٤) والحديث عند البخاري (١٨٧٠) من طريق أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير، =

ونحن يومئذ في رجب فقال: سمعت ابن عباس[1] يقول: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم. أخرجه البخاري ومسلم، وخرجه أبو داود[2] عن عثمان بن حكيم أنه سأل سعيد بن جبير وذكر الحديث.

فصل

لله در أقوام بادروا الأعمال واستدركوها، وجاهدوا النفوس حتى ملكوها، وتأهبوا لسبيل التوبة ثم سلكوها، وعرفوا عيوب العاجلة فتركوها، استعمالهم الأدب في جمادي كرجب، يا هذا إذا هممت بخير فبادر هواك، وإذا هممت بشر فخف مولاك، الحكمة نور الفطرة، والصواب فرع الروية، والتدبير قيمة الهمة، والهوى ضد الحزم.

إشارة: قال بزرجمهر: أخذت من كل شيء أحسن ما فيه حتى من الكلب والغراب والهرة، قيل: وما أخذت من الكلب؟ قال: ذبه عن حريمه وإلفه لأهله. قيل: فمن الهرة؟ قال: رفقها في المسألة ولين صياحها، وقيل: ومن الغراب؟ قال: شدة حذره.

يا هذا صن حياة عقلك عن مخالطة عور هوى نفسك. من طلب المعالي استقبل العوالي، وعلى مثل هذا أنشدوا شعرًا:

= وليس عثمان بن حكيم؛ فليس له رواية عن سعيد بن جبير في البخاري، ولم يرو له البخاري إلا تعليقا.

(١) في (ك): «عياض» وهو تحريف.

(٢) البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١١٥٧)، وأبو داود (٢٤٣٠).

بقدر الكد تكتسب المعالي
ولمن طلب العلا سهر الليالي
تروم الخلد ثم تنام ليلاً
يغوص البحر من طلب اللألي

اعلموا أنه من لازم الرقاد؛ فاته المراد، ومن داوم كسله؛ خاب أمله، وقال بعضهم شعرًا:

ولو أن كل العالمين معاندي
لما ضرني يومًا وأنت مساعدي
وإذا تألفت القلوب على الولاء
فالخلق تضرب في حديد بارد

فكل من جدَّ وجد، ومن توانى فالموت في الرصد، فالسعيد من أقبل على مولاه، ورضي به عمن سواه، فإنه إذا كان كذلك أعطاه مناه، ونال من فضله وإحسانه ما يتمناه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فبادروا رحمكم الله في شهركم هذا إلى حراسة أوقاته، واجتهدوا بالطاعات في عادة ساعاته، فإن طلوع الهلال في كل شهر مئنة لانقضاء الزمان، وفناء الدهر؛ فتحفظوا بالجد في السر والجهر، قبل أن ينازلكم الموت بشدة القهر، وانظر بعين البصيرة أين من سبقك إلى الجوع والظمأ، وعلا عليك في حسن الاجتهاد وسما؟ وأين من انتسب إلى الدنيا وانتمى، واحترس في القصر المشيد بأبواب الحديد واحتمى. أصاب الكل سهم الموت إذ رمى؛ فتفكر في مصارعهم، وارفع عن بصرك حجاب العمى.

حكاية: كان بالبصرة امرأة عابدة زاهدة يقال لها: مقدسية البصرة، وكانت إذا جاء رجب استقبلته بالصوم، والاستغفار كل يوم سبعين مرة بكرة وسبعين مرة عشية، وتقوم بعض ليالي رجب وتحيي أول ليلة منه؛ فلما حضرتها الوفاة أوصت ولدها أن يكفنها في ثوبها الذي كان عليها؛ فلما ماتت كفنها ابنها في غيره حياءً من الناس؛ لأنه كان خليعًا فلما عاد الولد بعد دفنها إلى البيت؛ وجد الكفن الذي كفنها فيه في زاوية البيت، وفقد الثوب الخليع الموصى به لم يجده؛ فتعجب من ذلك فهتف به هاتف: يا هذا قد كفناها في ثوبها الذي وصتك به، وأنها كانت تعبدنا فيه، قال: فذهب الولد مسرعًا إلى القبر فكشف عنها التراب لينظر الثوب (على والدته)[1] ؛ فلم يجدها فبقي متحيرًا متفكرًا فنودي؛ يا هذا نحن أكرم من أن نترك صوام رجب في القبر ساعة واحدة.

وصل المحب إلى الحبيب والمستغفر إلى الغفار والضيف إلى المضيف وسيجد من يعبدنا ثواب عبادته وإخلاصه غدًا ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

(ومن معالجة القلوب كعلاج الأبدان هذه الأوقات الشريفة؛ جعلها الله تعالى معجون ربيع الفهم؛ فإذا فرط العبد في عمره طول السنة، ولم يحمي بدنه من المعاصي المدنفة[2] والمخالفات المتلفة، جاء وقت الربيع واستعمل فيه الدواء، وإن لم يستعمل المعجون، ومال إلى التقييد

---

(١) في (ق): «عليها».

(٢) معناها الملازمة. انظر «مختار الصحاح» (١/ ٢١٨).

والتضييع؛ أدركه الصيف وهو ضعيف الجسد؛ فتصعب مداواته ومعالجته وتعزب عنه ممارسته وينادى عليه عند ذلك وقت لواعة الشدة، ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾.

والعلماء أطباء القلوب من سقامها؛ ينُال بهم غاية مرامها؛ فهذا الشهر أيها المؤمن وقت شرب دوائك لتسلم أدوائك؛ فعليك بإصلاح حالك مع مولاك، وراقبه فإنه مطلع عليك يراك.

حكاية عن عطاء السلمي رحمه الله قال: مررت ذات يوم في أزقة الكوفة؛ فرأيت عليان المجنون واقفًا على طبيب يضحك منه، وما أعهد منه الضحك، فقلت له: ما يضحكك؟ قال: من هذا العليل السقيم الذي يداوي غيره، وهو مسقوم القلب فهل تعرف دواء تنجيه مما هو فيه؟ قلت: نعم شربة إن هو شربها رجوت برؤه فيها، قلت: صفها لي؟ قال: خذ ورق الفقر، وعرق الصبر، وأهليلج[1] التواضع، وبليلج المعرفة و(غاريقون)[2] الفكر، ودق الجميع دقا ناعما في (هون)[3] الندم، واجعلها في (طنجرة)[4] التقى، وصب عليه ماء الحياء.

وأوقد تحتها حطب المحبة حتى ترغو، واقذف الزبد ثم أفرغها في

---

(١) ثمر أكثر الناس يسمونه الأسود، وأهل الأندلس يوقعون هذا الاسم على ما يسمى عيون البقر.

(٢) في (ق): «سيرقون». والغاريقون: أصل نبات ترياق للسموم.

(٣) في(ك)«هارون». ومعنى الهون: إناء من نحاس غليظ. انظر «مختار الصحاح» (١/ ٧٠٥)

(٤) في (ك): «طنجير» وهو وعاء من النحاس.

جام الرضا، وروحها بمروحة الحمد، واجعلها في قدح الفكرة، وأذقها بمعلقة الاستغفار؛ فلن تعود إلى المعصية أبدًا؛ فشهق الطبيب (شهقة)[١]، وخر مغشيًا عليه، ثم فارق الدنيا. قال عطاء: ثم رأيت عليان بعد ذلك في الطريق فقلت له: وعظت رجلاً فقتلته قال: بل أحييته، قلت: وكيف؟ قال: رأيته في منامي بعد ثلاثة أيام، وعليه قميص أخضر، وبيده قضيب من قضبان الجنة فقلت له: حبيبي ما فعل الله بك؟ قال ياعليان: قدمت على رب رحيم، غفر ذنبي وقبل توبتي، وأقالني عثرتي برحمته لا بعملي وها أنا في جوار المصطفى ﷺ وأنشد بعض العارفين:

بادر لأبوابنا إن كنت ذا أدب
تفز بأقصى (المراد وغاية الطلب)[٢]
ولا تكن معرضًا عنا فتحرم ما
ترجوه من كل مأمول ومن طلب
خاب الذي صد عن أبوابنا وقنى
فمن أتى نال ما يهوى ولم يخب

يا هذا المحب التائب؛ إن كنت عازمًا على النهضة فهذا زمانها أو نادبًا للقضية؛ فهذا أوانها. التاجر يتوقع وقت النفاق، ويهوى قيام الأسواق، واللديغ يتوقع حضور الترياق؛ فإن كنت تاجرًا فقد قامت الأسواق، وإن كنت لديغًا فقد حضر الترياق.

---

(١) مثبت من (ك).

(٢) في (ك): «المنى والسؤل والإرب».

لا تسوف بالطاعة فتأسف، ولا تضطجع في البادية، وتتوقف فتتحسر ندامة على تفريطك وتستلهف. العجب كل العجب ممن يتوانى في رجب أو يبخل فيه بما وجب أو يتعرض فيه لله‌لاك والعطب.

هذا شهر الله وأنت عبد الله، وأولى من احترم شهر الله عبد الله، وما استحل محارم الله استحق العذاب، ويضرب بسوط البعد والحجاب، حاسب نفسك بالله إذا عصيت الله في الشهر الحرام، وبادرت بالموبقات والآثام، وخالفته في شهره وأعرضت عن مقتضى أمره؛ فمتى ترجوا لنفسك فلاحًا مع افتضاحك صباحًا؛ إذا لم تتب في رجب فمتى تتوب؟! فإذا لم تؤب فيه من غيبتك متى تؤب؟! إذا لم تتيقظ منه متى تتيقظ؟! إذا لم تحفظ فيه فمتى تتحفظ؟! من لا يطيع في شهر الله متى يطيع؟! من لا يبيع سلعته في الموسم متى يبيع؟!.

فقد ورد أن في شهر رجب؛ تستجاب الدعوة، وتقال العثرة كما روي في حكاية عن أصبغ بن نباتة عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﵁ قال: بينما نحن في الطواف إذ سمعت صوتًا وهو يقول شعر:

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم الظلم
يا كاشف الكرب والبلوى مع السقم
قد بات وفدك حول البيت وانتبهوا
ونحن ندعوك وعين الله لم تنم
هب لي من بجودك ما أخطأت من جرم
يا من أشار إليه الخلق بالكرم
إن كان عفوك لم يسبق لمجترم
فمن يجود على العاصين بالنعم

قال الحسين بن علي قال لي أبي علي: يا حسين أما تسمع (النادب ذنبه)[1] امضي فعساك تذكره وناده، قال الحسين فأسرعت حتى أدركته، وإذا أنا برجل؛ جميل الوجه نقي (البدن)[2]؛ نظيف الثياب طيب الرائحة إلا أنه قد شل جانبه الأيمن فقلت: أجب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ فقام يجر شقه حتى وقف على أمير المؤمنين فقال له: من أنت وما شأنك؟ قال: يا أمير المؤمنين ما شأن من أخذ بالعقوبة ومنع الحقوق؟.

قال: ما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق، قال: فما قصتك؟ قال: كنت مشهورًا في العرب باللهو والطرب اركض في صبوتي، ولا أفيق من غفلتي؛ إن تبت لم تقبل توبتي، وإن استقلت لم تقل عثرتي، أديم العصيان في رجب وشعبان، وكان لي والد شفيق رفيق يحذرني مصارع الجهالة وشقوة المعصية، ويقول لي: لله سطوات ونقمات فلا تعرض لمن يعاقب بالنار؛ فكم ضج منك الظلام والملائكة الكرام، والشهر الحرام والليالي والأيام، وكان إذا ألح عليَّ بالعتب؛ ألححت عليه بالضرب فأبلغت إليه يومًا لأصومن، ولا أفطر ولأصلينّ، ولا أنام أسبوعًا، ثم ركب جملاً أورق، وأتى مكة يوم الحج الأكبر، وقال: لأفدن إلى بيت الله، ولأستعدين عليك، قال: فقدم مكة يوم الحج الأكبر فتعلق بأستار الكعبة ودعا عليّ وقال:

(١) في (ق): «النادي ربه».

(٢) في (ق): «الدرن».

يا من إليه أتى الحجاج من بُعد
يرجون لطف عزيز واحد صمد
هذا منازل لا يرتد عن عقـقي
فخذ بحقي يا رحمن من ولدي
وشل منه بجود منك جانبه
يا من تقدس لم يُولد ولم يلدي

قال: والذي رفع السماء وانبع الماء؛ ما استتم كلامه حتى شُل جانبي الأيمن، وصرت كالخشبة الملقاة بأرجاء الحرم، وكان الناس يغدون ويروحون ويقولون: هذا الذي أجاب الله فيه أبيه فقال له علي: فما فعل أبوك؟ قال: يا أمير المؤمنين سألته أن يدعوا الله لي بالموضع الذي دعا عليَّ بعد أن رضيّ عني فأجابني؛ فحملته على ناقة (وجددت)[1] في السير حتى وصلت إلى وادي يقال له: وادي الأراك؛ فنفر طائر من شجرة فنفرت الناقة فوقع منها ومات.

قال علي: ألا أعلمك دعوات سمعتها من رسول الله ﷺ وقال: «**ما دعا بها مهموم إلا فرج الله عنه، ولا مكروب إلا فرج الله عنه كربته**»، فقال: نعم فقال الحسين: فعلمه الدعاء ودعا به (وخلص)[2] من مرضه، وغدا علينا صحيحًا سليمًا فقلت للرجل: كيف عملت؟ قال[3]: لما هدأت العيون دعوت الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب،

---

(١) في (ق): «وحديت».

(٢) في (ق): « وعفي ».

(٣) من هنا سقط في (ق): حوالي عشر ورقات، والمثبت من (ك).

وإذا سئل به أعطى مرة وثانية وثالثة؛ فنوديت حسبك ثم «حملتني»[(١)] عيني؛ فرأيت رسول الله ﷺ في منامي فعرضتها عليه.

فقال: صدق على ابن عمي؛ فيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى فقال: «**قل اللهم إني أسألك يا عالم الخفية، ويا من السماء بقدرته مبنية، ويا من الأرض بعزته مدحية، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة ومضية، ويا مقبلاً على كل نفس مؤمنة زكية، يا مسكن رعب الخائفين وأهل التقية، يا من حوائج الخلق عنده مقضية، يا من نجى يوسف من ضيق العبودية، يا من ليس له بواب ينادي ولا صاحب يغشى ولا وزير يؤتى، ولا غيره ربٌّ يدعى، ولا يزداد على الحوائج إلا كرمًا وجودًا، صل على محمد وآله، وأعطني سؤلي أنك على كل شيء قدير**»[(٢)] قال: فانتبهت وقد برئت قال علي: تمسكوا بهذا الدعاء؛ فإنه كنز من كنوز العرش وقد نقل مثل ذلك في زمن عمر بن الخطاب وغيره رضى الله عنه حكى ذلك الشيخ عبد القادر في «الغنية» فتعرضوا لنفحات جود ربكم، وسلوه اللطف بكم.

سجع على قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٣٦]، عباد الله كأنكم بالحافظ

---

(١) لعل صوابها غلبتني

(٢) لم أقف على الحديث المرفوع الوارد في قصة منازل بن لاحق، وقد أشار ابن قدامة في كتاب «التوابين» (١/ ٢٣٧-٢٣٨) إلى قصة توبته باختصار.

الذي غرسكم، وقد حصدكم بعد أن غرسكم، وبعث الموت فشيب غرسكم[(١)] فلينوا إلى التقى في هذه الأشهر، وخلوا أمركم؛ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

هذه أوقات معظمة، وساعات مكرمة، وقد صيرتم ضحاياها بالذنوب معتمة؛ فبيضوا بالتوبة صحفكم المظلمة؛ فالملك يكتب خطاكم ونفسكم؛ فلا تظلموا فيهن أنفسكم، وقد ضيعتم معظم السنة؛ فدعوا من الآن هذه السِنة؛ البدار والبدار قبل الفوات؛ الحذار والحذار فقد قرب الموت، اليقظة اليقظة فقد أسمع الصوت، قبل أن يضيق بكم محبسكم؛ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

لا بد أن تنطق الجوارح، وتشهد عليكم بالقبائح؛ فاملأوا الأوقات بالعمل الصالح، فإنكم إذا نزلتم بطون الصفائح آنسكم، ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾. اعزموا اليوم على ترك الذنوب، واجهدوا في إزالة العيوب، واحذروا سخط علام الغيوب، واكتبوا على صفحات القلوب مجلسكم؛ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، اللهم صل على سيدنا محمد، وانقلنا من ذل المعاصي إلى عز التقى، وارفع منازلنا عندك في دار البقا، واجعل خير أيامنا يوم الورود واللقا، واحفظنا من موجبات الزيغ وأسباب الشقى، وهيأ لنا إلى طاعاتك المرتقى، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) لعل صوابها «رؤسكم».

المجلس التاسع

لليلة الإسراء والمعراج السابعة والعشرين من شهر رجب ووداعه

وسميته النور الوهاج في الإسراء والمعراج والله الموفق

الحمد لله فالق الحب والنوى، وخالق العبد وما نوى، المطلع على باطن الضمير وما حوى، بمشيئته رشد من رشد، وغوي من غوى، وبإرادته فسد ما فسد واستوى ما استوى، صرف من شاء إلى الهدى، وعطف من شاء إلى الهوى، قرب موسى نجيا وقد كان مطويا من شدة الطوى، فمنحه فلاحًا وكلمه كفاحًا وهو بالواد المقدس طوى.

وعرج بمحمد ﷺ فرآه بعينه ثم عاد، وفراشه ما انطوى، فأخبر بقربه من ربه وحدث بما رأى، فأقسم على تصديقه من حرسه بتوفيقه عن ثوى ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ١ - ٣]؛ أحمده على صرف الهم والجوى؛ حمد من أناب وارعوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فيما نشر وطوى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أرسله وعود الهدى قد زوى، فسقاه ماء المجاهدة حتى ارتوى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعظّم وبجل وكرّم.

أما بعد،

فإن الله تعالى فضل سيدنا محمدًا سيد المرسلين وسيد الأولين والآخرين ﷺ؛ بما تضمنته كرامة الإسراء والمعراج؛ من المناجاة

والرؤية وإمامة الأنبياء، والعروج به إلى سدرة المنتهى، وما رأى من آيات ربه «الكبرى»، وذلك بما حصل له من الدرجات الرفيعة، وقوة الحراسة المنيعة وقد نبه على ذلك وشهد به؛ الكتاب والسنة وأقوال العلماء من هذه الأمة.

أما الكتاب: فقوله تعالى جل ذكره: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ١ - ٤].

والحكمة في المسرى والمعراج من وجوه:

الأول: إن الله تعالى علم أن كفار قريش يكذبونه؛ فيما يخبرهم به من أخبار السماء؛ فأراد أن يخبر بما قد علموه وعاينوه من صفة بيت المقدس، وكانوا قد علموا أن النبي ﷺ لم يدخل بيت المقدس قط، وإنما ذهب إلى الشام مرتين؛ الأولى: مع عمه أبي طالب، وهو ابن اثنتي عشرة سنة. والثانية: مع ميسرة غلام خديجة، وله من العمر خمس وعشرون سنة.

ثم عاد إلى مكة من غير أن يأتي بيت المقدس كما تقدم ذكر ذلك في مولده الشريف ﷺ؛ فلما أخبرهم أخبار بيت المقدس؛ دلَّ ذلك على صدقه في أخبار السماء، وذلك لأن ابتداء أمر المعراج كان المَسْرَى والإعراج كان قبل الإسراء؛ فاقتضت الحكمة أن يخبرهم أولاً عن المسرى، ولو أخبر أولاً بعروجه إلى السماء؛ لاشتد إنكارهم وعظم

ذلك في قلوبهم فلم يصدقوه؛ فلما أخبرهم بخبر بيت المقدس أولاً؛ تمكن ذلك في قلوبهم ولزمهم وقامت الحجة عليهم؛ أخبر بعروجه إلى السماء العلى وسدرة المنتهى وبقربه من ربه جل وعلا.

الثاني: أنه إنما أُسري به إلى بيت المقدس؛ لأن باب السماء الذي هو مصعد الأنبياء بحذاء بيت المقدس.

الثالث: أنه أراد أن يريه القبلة التي يصلي إليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرًا؛ لما هاجر إلى المدينة حتى صرف إلى الكعبة التي رأها وشاهدها؛ فشاهد القبلتين.

الرابع: أن هجرة الأنبياء قبله كانت إلى بيت المقدس؛ فأراد أن يجمع له الهجرتان بما شارك فيه الأنبياء وما اختص به.

الخامس: أن الله تعالى [أراد][1] أن لا يُخلي تربة فاضلة من مشاهدته ووطء قدمية بها؛ فتم تقديس بيت المقدس بصلاة محمد ﷺ.

السادس: أن الملائكة الكرام اشتاقت إلى قربه ومشاهدته؛ فعرج به ﷺ

السابع: لإظهار علو درجته وقربه ومكالمته ومشاهدته، وكم تحت ذلك من حكم يعلمها الله ﷻ ولا نعلمها.

الثامن: أن النبي ﷺ هو صاحب الشفاعة يوم القيامة فبُوسط قبلها؛ لئلا يقع حشمة البديعة كما لغيره من الأنبياء؛ فأراد الحق ﷻ أن يزيل عنه مقام الانقباض؛ ليتمكن من المقام المحمود الذي وعده الذي

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

يحمده عليه الأولون والآخرون يوم القيمة.

التاسع: وهو ما قيل: أن الحق تعالى شاهد القلوب فلم يرى قلبًا أشوقَ إليه من محمد؛ فأكرمه بالمعراج للمكالمة؛ فلما أُهِّلَ لذلك المشهد العظيم؛ صغرت الأكوان في عينه حتى لم يلتفت إلى شيء سواه ﷺ.

العاشر: من وجوه الحكم أن الله اتخذ دارا للضيافة، وهي الجنة، وبعث رسول الله ﷺ داعيًا للخلق إليها؛ فاقتضت حكمة الله ﷻ أن أراه ليلة المعراج دار الضيافة؛ ليعلم سعتها ويشاهد نعيمها، وما أعد الله لعباده الصالحين فيها؛ فيدعوا الخلق إليها من غير فترة، وأنها لا تضيق على الخلق بأسرهم، وقد حصل له مشاهدتها في صلاته أيضًا حتى دنا منها، وأراد أن يأخذ من قطافها، وكذلك رأى النار في صلاته وليلة معراجه على ما سيأتي ذلك بعد إن شاء الله تعالى، وهذا مما منَّ الله تعالى وفتح به، وعلم الله واسع، والعبد أذل وأخضع، وإنما ذكر العبد هنا ما أشار العلماء إليه، والله أعلم بحِكمه في ذلك وغيره.

ومن الحكم أن الإسراء كان ليلاً ولم يكن نهارًا وقيل: لئلا يقال فيه ما قالت النصارى في عيسى حين رفع بالنهار، وقيل: لأن الليل أفضل من النهار، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

وفي الحديث الصحيح: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا...»

الحديث(١) وفي «معجم الطبراني»: «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا»(٢)، وثبت أن النبي ﷺ سأل جبريل عن الليل وأيُّه اسمع قال: لا أدري إلا أن العرش يهتز عند السحر(٣)، ونادى الله موسى عليه السلام ليلاً، وهذا قول أكثر العلماء، ولم يذهب إلى تفضيل النهار على الليل إلا طائفة قليلة وقيل: لأن اجتهاده في عبادة ربه تعالى كانت بالليل أكثر؛ فإنه صلى ليلاً حتى تفطرت قدماه أي تشققت من طول القيام، فأكرمه الله بالإسراء ليلاً، وهذه من بعض وجوه الحكم والله أعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١، ٢] فهذا قسم أقسم الله به فقيل المقسم به محذوف تقديره ورب النجم فعلى هذا؛ أن المقسم به هو الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، وأشباه ذلك وقيل: للرب تبارك وتعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته إذ لا يقدر على خلقها غيره، وعلى هذا فقيل: أن المقسم به هاهنا، المراد به الثريا وقيل: الرجوم من النجوم. وقيل: إنه القرآن؛ لأنه نزل نجومًا متفرقة. وقيل: نجوم السماء كلها. وقيل: الزهرة. وقيل: النجم هاهنا؛ النبت

---

(١) رواه البخاري (١٠٩٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٦٧٩١)، وأبو يعلى (٧٤٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٣٤) عن جبير بن مطعم. قال الهيثمي (١٧٢٤٦): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح ورواه الطبراني.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٠٣) بسنده عن الجريري قال: بلغنا أن داود عليه السلام سأل جبريل فذكره.

الذي له ساق وهويه سقوطه على الأرض. وقيل: المراد بالنجم هنا محمد ﷺ إذا هوى إذا نزل من السماء ليلة المعراج ذكر هذه الأقوال السبعة ابن الجوزي في «زاد المسير» وغيره من المفسرين.

قال ابن الجوزي وغيره: إنه كان سبب نزول هذه السورة أن كفار قريش قالوا: إن محمدًا يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه؛ فأقسم الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: ١، ٢] هذا جواب القسم أي ما ضل محمد ﷺ، وما حاد عن الصواب وما غوى الغي ضد الرشد. وقيل: معناه ما تكلم بالباطل. و ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ قال أبو عبيدة: «عن» بمعنى الباء أي، وما ينطق بالهوى أي وما ينطق بالقرآن عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾: أي ما القرآن إلا وحي يوحى، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ أي جبريل، وجاء من قوته أنه قلب مدائن قوم لوط فجعل عاليها سافلها.

وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ معناه ذا إحكام للشيء، وقيل: قوي في أمر الله تعالى، وقيل: ذو رأي محكم. وقيل: منظر حسن.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ معناه جبريل عليه السلام، وقيل: محمد ﷺ، والمعنى استويا بالأفق الأعلى لما أُسري برسول الله ﷺ.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال الفراء: المعنى ثم تدلى فدنا وفي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تعالى بدليل ما روي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: دنا الجبار رب العزة؛ فتدلى حتى كان من محمد ﷺ قاب

قوسين أو أدنى[١] وهذا اختيار مقاتل، قال: دنا الرب من محمد ﷺ ليلة أسري به.

الثاني: أنه محمد ﷺ دنا من ربه قاله ابن عباس والقرظي وقيل: تدلى هوى للسجود.

الثالث: أنه جبريل عليه السلام؛ دنا من محمد ﷺ فكان قاب قوسين، قال أبو عبيدة: القاب القدر ويقال: بل القاب ما بين المقبض والسية[٢]، وقيل: من مقبضها إلى رأسها. والمعنى؛ كان بينهما قدر ذراعين. قال ابن مسعود: دنا جبريل حتى كان قدر ذراع أو ذراعين. قال أهل المعاني: هذا إشارة إلى تأكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قيل أو بمعنى بل.

وقوله ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أوحى إلى محمد ﷺ كفاحًا، وهذا على قول من يقول: أنه كان في ليلة المعراج.

الثاني: أوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى الله إليه، رواه عطاء عن ابن عباس.

الثالث: أوحى الله ﷻ إلى جبريل ما يوحيه.

قال شيخ السنة البغوي: قال سعيد بن جبير أوحى الله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ

---

(١) رواه البخاري (٧٠٧٩)، ومسلم (١٦٢).

(٢) وهو طرف القوس المعطوف. انظر «تاج العروس» (١/ ٨٤٢٣).

يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ إلى قوله ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. وقيل: أوحى الله أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك. وقيل: أوحى الله إليه؛ خصصتك بحوض الكوثر فكل أهل الجنة أضيافك في الماء، ولهم الخمر واللبن والعسل. وقيل: أوحى إليه الصلوات الخمس في ليلة الإسراء. قاله المعافى في «تفسيره».

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قرئ بالتشديد، ومعناه؛ ما أنكر فؤاده ما رأته عيناه، وقرئ بالتخفيف، ومعناه ما أوهمه فؤاده أنه رأى، ولم ير بل صدق الفؤاد.

وفي الذي رأى أربعة أقوال:

أحدها: أنه رأى ربه ﷻ. قاله ابن عباس وأنس والحسن وعكرمة وهل رأى بعيني رأسه أو بقلبه؟ قولان.

الثاني: أنه رآه في المنام قاله السدي.

الثالث: أنه رأى جلاله وعظمته. رواه أبو العالية.

الرابع: أنه رأى جبريل على صورته التي خلق عليها. قاله ابن مسعود وعائشة.

وقوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ المعنى أفتجحدونه، وقيل: أفتدفعونه عما يرى معناه أفتشككونه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني رأى محمد ربه في قول ابن عباس وأصحابه، وبيان هذا أنه تردد لأجل الصلوات مرات فرأى ربه ﷻ في بعض تلك المرات مرة أخرى. وقيل: رأى جبريل مرة أخرى ﴿عِندَ سِدْرَةِ

ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ على ما سيأتي بيانه بعد إن شاء الله تعالى فثبت المسرى والمعراج بنص القرآن.

وأما السنة الثابتة عن النبي ﷺ في صحة المعراج والإسراء به وتفضيله به وشرح عجائبه وخواصه فثبت ذلك في أحاديث كثيرة منتشرة منها؛ ما ثبت في «صحيح مسلم» عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل؛ يضع حافره عند منتهى طرفه**»[1] قال: «**فركبته حتى أتيت بيت المقدس؛ فربطته بالحلق التي تربط بها الأنبياء**»[2] زيادة ذكرها ابن سيد الناس في سيرته رواية قال: قال رسول ﷺ: «**لما انتهيت إلى بيت المقدس فقال جبريل: بأصبعه فخرق الحجر بها فشد البراق**» رواه الترمذي[3] **ثم دخلت المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه.**

قال: ففتح لنا فإذا أنا بآدم ﷺ، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج

---

(١) رواه مسلم (١٦٢).

(٢) ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١٩١).

(٣) رواه الترمذي (٣١٣٢) وقال: حسن غريب.

بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه عليهما؛ فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن؛ فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، وذكر مثله. فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، وإذا أنا بإبراهيم عليه السلام؛ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال.

قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها حسنًا، فأوحى الله إليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة؛ فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحطَّ عني خمسًا؛ فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسًا.

قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛

فلم أزل أراجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد أنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر؛ فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة؛ فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، فقال رسول الله ﷺ: «قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه[1]» والمراد بهذا الحديث والله أعلم اجتماع أرواحهم عليهم السلام.

وفي «تفسير البغوي»[2] في قوله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، قال عطاء عن ابن عباس لما أسري بالنبي ﷺ؛ بعث الله له آدم وولده من المرسلين؛ فأذَّن جبريل ثم أقام وقال: يا محمد تقدم فصلي بهم؛ فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية، فقال رسول الله ﷺ: «لا اسأل فقد اكتفيت» وجاء في رواية عن موسى أنه قال: وقد فرض على بني إسرائيل صلاتين فما أقاموا بهما؛ فكيف تقوم أمتك على خمسين صلاة مع ضعفهم؟.

قال النووي في شرح مسلم[3]: سميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ انتهى. قال

---

(١) مسلم (٢٥٩).

(٢) البغوي في «تفسيره» (١/ ٢١٦).

(٣) النووي في شرح مسلم (٢/ ٢١٤)

ابن الجوزي في «التبصرة»: السدرة وهي شجرة النبق، وهي فوق السماء السابعة. وقيل: في السادسة. قال في «المجمل»: والنبق حمل السِّدر.

وروى شيخ السنة البغوي[١] بسنده عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ يذكر سدرة المنتهى قال: «**يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة عام، ويستظل في الفنن منها؛ مائة ألف راكب، فيها فراش من ذهب كأن ثمرها الغلال**».

قال مقاتل: هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الأكوان؛ لو أن ورقة وضعت منها في الأرض؛ لأضأت لأهل الأرض وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد، وذكره في تفسير سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ وذكره المعافى في «تفسيره»، وقال شيخ السنة البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ [الرعد: ٢٩] عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قال: طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها[٢].

قال عبيد بن عمير: هي شجرة في جنة عدن؛ أصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار وغرفة غصن منها، لم يخلق الله لونًا ولا زهرة إلا فيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله تعالى فاكهة إلا وفيها منها؛ نبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل. قال مقاتل: كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح.

---

(١) البغوي في «التفسير» (١/ ٤١٤).

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٣١٦).

وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه: «**طوبى؛ شجرة غرسها الله تعالى بيده، ونفخ فيها من روحه؛ تنبت الحلي والحلل، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة**»(١). وعن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يقال لها: طوبى يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما يشاء؛ فتفتق عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء، وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء.

وعن ثابت وروى أبو العالية عن أبي هريرة أو غيره ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]، قال: غشيها نور الخلائق وغشيها الملائكة من حب الله ﷻ، أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة قال: فكلمه عند ذلك، وقال الحسن: قال غشيها نور رب العزة جل جلاله فاستنار. ويروى في الحديث: «**رأيت على كل ورقة منها ملكًا قائمًا يسبح الله ﷻ**»(٢)، وقال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حديث أنس المتقدم الثابت في «صحيح مسلم»: أن السدرة رفعت له بعد العروج به من السماء السابعة إلا ما رواه طلحة بن مصرف عن مرة عن عبد الله أنها في السماء السادسة قال: وهذا يخفى على الجهال الأغبياء.

وحديث طلحة غير رافع لحديث أنس؛ لأنه يحتمل أن يكون قد أري أصل السدرة في السماء السادسة وانتهى به إلى أعلى السدرة في السماء السابعة لأنها سدرة لا يقاس بغيرها من الأشجار؛ لإخبار النبي ﷺ عنها

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٣١٦).
(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٤٠٦).

إذا الورقة الواحدة منها مغطية الدنيا.

قال هلال بن يساف: سأل ابن عباس كعبًا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله تعالى وعندها أدني نبينا محمد ﷺ فنودي ونوجي وأوحى إليه ما أوحى وهو المستوى الذي أخبر عنه ابن عباس وأبو حبة البدري عن النبي ﷺ أنه ظهر بمستوى سمع فيه صريف الأقلام فأعطي خواتيم سورة البقرة وهي الكنز.

قال ﷺ: «**أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش**»(١) قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: فراش: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: خواتيم سورة البقرة، والصلوات الخمس، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا من أمته المقحمات(٢). والمقحمات؛ بضم الميم وإسكان القاف، وكسر الحاء هي: الذنوب العظام الكبار.

وفي حديث ابن مسعود(٣) أن سدرة المنتهى في السماء السادسة يخرج من أصلها ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا، وإذ ورقة مظلة للخلق فغشيها نور،

---

(١) أحمد (٢١٣٨٣) عن أبي ذر. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) مسلم (١٧٣).

(٣) مسلم (١٧٣).

وغشيتها الملائكة(١). قال الله تعالى: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾.

وذكر الحافظ أبو نعيم في حديث أنس، أنه وجد في السماء الدنيا آدم، وإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال: «**ما هذا يا جبريل**» قال: النيل والفرات، ثم مضى به في السماء؛ فإذا هو بنهر آخر من لؤلؤ وزبرجد؛ فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك، فقال: «**يا جبريل ما هذا النهر؟**» قال: هذا الكوثر الذي حباك ربك.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس... حتى انتهينا إلى السماء السابعة فأتيت على إبراهيم، وقال في الحديث: وحدث نبي الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت: «**يا جبريل ما هذه الأنهار؟**» قال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل، ثم رفع إلى البيت المعمور. وفي «صحيح مسلم»(٢) عن النبي ﷺ قال: «**سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة**». وقال كعب: دجلة نهر ماء الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم.

قال النووي في شرح مسلم(٣): قال مقاتل: الباطنان هما السلسبيل والكوثر. وقال القاضي عياض: هذا الحديث يدل على أن سدرة المنتهى

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٥٥) قال الهيثمي (٢٣٥): رجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٤)، وابن خزيمة (٣٠١).

(٣) النوزي في شرح مسلم (٢/ ٢٢٤)

في الأرض؛ لخروج النيل والفرات من أصلها، قال النووي: قلت: هذا الذي قاله ليس بلازم؛ بل معناه أن الأنهار تخرج من أصلها، ثم تخرج تسير حيث أراد الله تعالى حتى تخرج من الأرض وتسير فيها، وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع، وهذا ظاهر الحديث؛ فوجب المصير إليه والله أعلم.

وذكر القرطبي في «التذكرة» عن البيهقي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] . . . إلى أن قال: **أتى بفرس فحمل عليه؛ فسار وسار معه جبريل؛ فأتى على قوم يزرعون في يوم، ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: المجاهدون في سبيل الله تعالى يضاعف لهم الحسنة بسبع مائة ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت؛ لا يفتر عنهم شيء من ذلك، فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة.**

قال: ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع؛ يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم، ورضف جهنم وحجارتها قال: «من هؤلاء يا جبريل؟» قال: الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قِدرنضيج، ولحم آخر خبيث؛ فجعلوا يأكلون الخبيث ويدعون النضيج، فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: هذا الرجل الذي يقوم وعنده امرأة حلالاً طيبًا؛ فيأتي المرأة

الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح(١).

وخرج أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وفيه قال: «مَضَيْتُ هُنَيْئَةً؛ فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول: اللهم لا تقم الساعة، قال: وهم على سابلة آل فرعون قال: فتجيء السابلة فتطؤهم قال: فسمعتهم يضجون إلى الله ﷻ، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس».

ثم مضيت هنيئة؛ فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال: فتفتح أفواههم ويلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم؛ فسمعتهم يضجون إلى الله ﷻ، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا، قال: ثم مضيت هنية؛ فإذا أنا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يضجن إلى الله ﷻ، قلت: يا جبريل من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك».

قال: ثم مضيت هنية؛ فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون

---

(١) ذكره القرطبي في «التذكرة» (١/ ١٤٥) ورواه ابن جرير (٨/ ٣) والبزار كما في «كشف الأستار» (٥٥) عن أبي هريرة. قال الهيثمي (٢٣٥): رجاله موثقون إلا أن الربيع ابن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول. وضعفه قبله المنذري في «الترغيب» (٥٥٣٤) بعد أن عزاه للبزار. وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٤٦٧).

يقال له: كل من لحم أخيك، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون» وذكر الحديث وفي رواية «بينا أنا أسير؛ إذ دعاني داع عن يميني: يا محمد؛ انظرني أسألك فلم أُجِبْهُ ولم أقم عليه، فقال جبريل: ذاك داعي اليهود أما أنك لو أجبته أو وقفت عليه؛ لتهودت أمتك، وبينا أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري فقال: يا محمد انظرني فلم ألتفت إليه ولم أقم عليه، قال جبريل: ذاك داعي النصارى؛ لو أجبته لتنصرت أمتك» .

وفي رواية: «فبينا أنا أسير إذ أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها؛ عليها من كل زينة خلقها الله تعالى تقول: يا محمد انظرني اسألك؛ فلم أجبها ولم أقم عليها، قال جبريل: تلك المرأة الدنيا؛ أما أنك لو أجبتها أو أقمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة»[1] وكل هذا والله أعلم في مسراه نحو بيت المقدس.

فائدة: ذكر ابن الخضري الحنبلي البغدادي في «منجز السول في معجز الرسول» قال الحافظ في كتابه «طوال الأخبار» عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أسري به قبل أن يخرج [من مكة يعني إلى المدينة][2] والله أعلم بسنةٍ إلى بيت المقدس قال: وقال لي يا أنس: «إنا معاشر الأنبياء لا نتوضأ للصلاة؛ تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا نناجي ربنا عز وجل؛ بينا

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث» (٢٧) والطبري (٨/ ١٢) وفي سنده أبو هارون العبدي، واسمه عمارة بن جوين؛ متروك كما قال ابن حجر في «التقريب».
(٢) في (ك): «من المدينة يعني إلى مكة» والمثبت هو الصواب.

أنا على ذلك إذ جاءني جبريل وإسرافيل فقال إسرافيل: هذا هو القائم؛ خذ بيده يا جبريل قال: نعم هو؛ فأتيت بدابة بين الحمار والبغل يقال لها: البراق».

قال: قلت يا رسول الله صفها لي؟ قال: «رأسها من لؤلؤة بيضاء، وركابها من زبرجدة خضراء، وهي من ياقوتة حمراء أضاء لها ما بين السموات والأرض؛ فاشمأزت مني إذ جئت أركبها فقال لها إسرافيل: يا براق لا تشمأزي منه؛ فوالذي بعثه بالحق نبيًا؛ ما ركبك أحد أحب إلى الله تعالى منه، ولا أكرم على الله منه فطأطأت لي حتى كأنها الأرض فركبتها، ثم طويت لي الأرض» . . . الحديث(١) .

قال: وأما الموضع الذي أسري به منه ففيه قولان:

أحدهما: أنه أسري به من نفس المسجد؛ قاله الحسن وقتادة ويؤيده الحديث الثابت في «الصحيحين» ولفظه: «بينا أنا في الحطيم» وربما قال الراوي: في الحِجر، والحطيم والحجر واحد.

والثاني: أنه أسري به من بيت أم هانئ بنت أبي طالب، وهو قول أكثر المفسرين فعلى هذا؛ المراد بالمسجد الحرام المذكور في الآية الحرم كله، وكله مسجد وكل مُحرم ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره.

وذكر سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: أن المعراج كان في السنة الثانية عشر من النبوة قال شيخنا في «اللطائف»: وروي بإسناد لا يصح

---

(١) بنحوه رواه ابن سعد (١/ ٢١٤) عن عبد الله بن عمر وأم سلمة وعائشة وأم هانئ وابن عباس، ورواه ابن عساكر (٣/ ٥٠١) عن أنس.

عن القاسم بن محمد؛ أن الإسراء كان في سابع عشر من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره.

وروي أن النبي ﷺ ولد في أول ليلة منه، وأنه بعث في السابع والعشرين منه، وقيل: في الخامس والعشرين ولا يصح شيء من ذلك، وذكر القاضي عياض حديث شريك وقال: خلط في روايته أن ذلك كان قبل أن يوحي إليه، وذكر قصة الإسراء، ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي وقال غير واحد: أنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل: قبل هذا.

وروى ابن سعد عن الواقدي من أشياخه؛ أن المعراج كان ليلة السبت لسبعة عشرة ليلة خلت من رمضان قبل الهجرة إلى السماء، وأن الإسراء كان ليلة سبعة عشر خلت من ربيع الأول، وهذا على قول من فرق بين المعراج والمسرى، وسيأتي ذكر ذلك بعد في المجلس الرابع عشر في العشر «الأوسط» من شهر رمضان. وفي رواية أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل**» . . . فذكر حديث الإسراء[1] .

ورُوي فرج بالتخفيف والتشديد، ومعناه الشق في موضع أو مواضع. وقال الواقدي: كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس؟، وإلى السماء بروحه دون جسده؛ ذكره السهيلي في الروض الآنف. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: إن الإسراء كان مرتين؛ أحدهما في نومه توطئة له وتيسيرًا عليه، والثانية بجسده.

---

(١) البخاري (٣١٦٤)، ومسلم (٢٦٣).

فائدة: من «توثيق عرى الإيمان»[١] عن حذيفة ﷺ قال: والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا؛ يعني النبي ﷺ وجبريل، وبهذا استدل بعضهم على أن جبريل ركب مع النبي ﷺ ليلتين، وهكذا روي أن النبي ﷺ لما أتى المعراج قال: «**فقعدت فيه أنا وجبريل، وعرج بنا حتى أتينا باب الحفظة**»، وفي رواية إلى السماء الدنيا[٢] وذكر الواعظ أبو سعيد عبد الملك صاحب كتاب «شرف النبي ﷺ» في كتاب «اللوامع» له قال: كان المعراج أرسل من جنة الفردوس منظومًا باللؤلؤ، وما من مؤمن إلا ويحمل عليه عند رؤيته المعراج أما ترون كيف يتبع بصره روحه؟ قال: والمعراج أحسن شيء خلقه الله تعالى من ياقوتة أحمر وأصفر ولؤلؤ، وذهب وزهور؛ عن يمينه أربع مائة ملك لكل ملك جناحان أخضران، ويعرج به ملك متوج من نور معه خمس مائة ملك، وجوههم كالقمر يقولون مرحبًا مرحبًا يا محمد، وما من درجة من المعراج إلا وعليها زمرة من الملائكة لهم زجل بالتسبيح كذا قال والله تعالى أعلم.

---

(١) مؤلفه هو شرف الدين أبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي لخصه من الشفا في مجلد. انظر «الرسالة المستطرفة» (١/ ١٩٨)

(٢) رواه الطبري (٨/ ١٢) والحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث» (٢٧) من حديث أبي سعيد وفيه أبو هارون العبدي وهو متروك.

فصل

في مقام القرب والإدناء، والمكالمة والمخاطبة والمناجاة وأقوال علماء هذه الأمة في المعراج

تقدم الكلام على الدليل على ذلك من الكتاب والسنة، وأما أقوال علماء هذه الأمة؛ فذهب عامة الصحابة والتابعين والخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، أن الله تعالى عرج بجملة نبينا محمد ﷺ جسده وروحه، وحكى عن معاوية بن أبي سفيان؛ أنه إنما عرج بروحه دون جسده، والدليل على القول الأول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] الآية ذكر الجملة، ولو كان منامًا لقال: بروحه، ولأنه لو كان منامًا لم تكن معجزة، ولا أنكرته قريش.

وقد دل عليه الأحاديث الصحاح وإجماع العلماء مثل الخلفاء الأربعة وابن عباس وجابر، وأنس وأبي هريرة وحذيفة وابن مسعود، ومالك بن صعصعة وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن عمر، وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وأم هانئ في أخرين، ومن التابعين خلق يطول ذكرهم لم يعرف لهم مخالف إلا ما روي عن معاوية رضي الله عنه.

والقصد هنا ذكر القرب والإدناء؛ ففي الصحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ **«عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى؛ فأوحى إليه بما شاء، وأوحى إليه خمسين صلاة»** . . . الحديث[1]. قال جعفر بن محمد الصادق: أدناه

---

(١) رواه البخاري (٧٠٧٩).

ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين، وقد تقدم في تفسير الآية الكريمة. وقال ابن عباس: تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة المعراج؛ فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه ﷻ، وفي رواية قال: «**فارقني جبريل، وانقطعت عني الأصوات، وسمعت كلام ربي**».

وذكر القرطبي في «التذكرة» في صفة أبواب الجنة قال الترمذي الحكيم[(١)]: ورُوي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى؛ جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش؛ فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضًا ورفعًا يهوي به حتى أداه إلى جبريل، وجبريل عليه السلام يبكي ويرفع صوته بالتسبيح والتحميد.

فالرفرف؛ خادم من الخدم بين يدي الله ﷻ له خواص الأمور في محل الدنو والقربة؛ كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء عليهم السلام مخصوصة بذلك في أرضه؛ فهذا الرفرف الذي سخره الله كذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ وهذه نكتة لطيفة، وهي أن النبي ﷺ كان له في ليلة المعراج ثلاث مراكب؛ البراق ركبه من مكة إلى بيت المقدس، والثاني: المعراج إلى السموات، والثالث: الرفرف من سدرة المنتهى إلى الله ﷻ.

قال الشيخ عبد القادر في «الغنية» قدس الله روحه: نبينا ﷺ لما عرج به إلى السماء، وقرب من الحق ﷻ؛ تنحى عنه جبريل فقال

---

(١) «نوادر الأصول» (١/ ١٦٢).

الرسول ﷺ: «يا أخي يا جبريل هنا يفارق الخليل خليله؟» فقال له: هنا مقامي ها أنت وربك؛ ففي تلك الحالة ضاقت السماء عليه، وجاءه التحير ثم الخوف ثم لقيه ربه ﷻ، ولطف به وظهرت محبته وثمرتها؛ استقبله بيد النعمة والمنة والقرب؛ فانتقل الخوف أمنًا والحزن فرحًا انتهى.

فائدة: رأيت منقولاً عن الشيخ أبي الحسن قال: سمعت شيخي يروي عن عائشة ﵂ قالت: قلت: يا رسول الله بحقي عليك ما الذي أوحى إليك ربك ليلة الإسراء حيث قال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾؟ قال: «يا حميراء [أتدرين][1] أن تعلمي ما لم يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل؟» فقلت: نعم، قال: «قال ربي: يا محمد وعزتي وجلالي لولا أني أحب العتاب؛ لما حاسبت أمتك يوم القيامة»[2] كذا قال والله أعلم.

وقال النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض: وفي علو منزلة نبينا ﷺ، وارتفاعه فوق سائر منازل الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات؛ دليل على علو درجته وإبانة فضله، قال: وقد ذكر البزار خبرًا في الإسراء عن علي ﵁، وذكر فيه مسير جبريل، والذي بعثك بالحق إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت، وأني أقرب الخلق مكانًا، وفي حديث آخر قال: فارقني جبريل وانقطعت هذا آخر كلام القاضي.

---

(١) كذا في (ك): ولعل الصواب «أتريدين».

(٢) لم أقف عليه بعد البحث.

قال أبو سعيد الواعظ: في رواية أنه لما بلغ الحجاب خرج ملك من وراء الحجاب فقال: الله أكبر الله أكبر فنودي من وراء الحجاب؛ صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر؛ فقال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فنودي من وراء الحجاب؛ صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا؛ فقال الملك: أشهد أن محمدًا رسول الله؛ فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي، ودعا إلي عبادتي فقال رسول الله ﷺ: **«فيومئذ أكمل الله لي الشرف على الأولين والآخرين»**(١).

واتفقت الروايات عن الإمام أحمد رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى ربه تعالى ليلة أسري به، والمشهور المعتمد عليه أنه رآه بعيني رأسه، ومنع من ذلك المعتزلة ومن وافقهم، قال المخالف: أنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها، والجواب أنه سئل الإمام أحمد عن إنكار عائشة فقال: أرده بقول النبي ﷺ «رأيت ربي»، وابن عباس كان أعلم منها، وقد أثبت الرؤية والمثبت مقدم على المنفي، وعن عائشة؛ رأه بعيني قلبه قاله ابن الجوزي في «النور» وغيره.

قال: وجواب آخر، وهو أن القلب لا يري إلا بعد رؤية العين؛ فما لا تدركه العين لا يدركه القلب؛ فيلزم عائشة بقولها أنه رآه بعينيه. وجواب آخر، وهو أن مبنى رؤية النبي ﷺ لربه، ورؤية الله تعالى مطلقًا على النقل الصحيح لا على القياس؛ فالمخالف جهل الآثار فنزكها.

---

(١) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٣٥٢) من حديث علي. قال الهيثمي (١٨٥١): فيه زياد بن المنذر؛ مجمع على ضعفه.

قال قاضي القضاة شرف الدين ابن البارزي رحمه الله في «توثيق عرى الإيمان»: قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ عن جعفر بن محمد الصادق قال: أوحى إليه بلا واسطة، ونحوه عن الواسطي، وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدًا ﷺ كلم ربه في الإسراء، وحكوه عن الأشعري وذكره عن ابن مسعود وابن عباس، وذكر النقاش عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال: فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني وسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن[١] .

قال في «التوثيق»: فقال الله تعالى لمحمد ﷺ سل فقال: اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكًا عظيمًا وكلمت موسى تكليمًا وأعطيت داوود ملكًا عظيمًا وألنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، وسخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم؛ فلم يكن له عليهما سبيلا.

فقال له ربه جل جلاله: قد اتخذتك حبيبي فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الله الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا، وأعطيتك

---

(١) ذكره القرطبي في «التفسير» (١٧/ ٨٨).

سبعًا من المثاني، ولم أعطها نبيًا قبلك، وجعلتك فاتحًا خاتمًا[١].

وفي رواية قال: «**فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثًا؛ أعطي الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا من أمته المقحمات؛ يعني الذنوب الكبائر، وفي رواية: وأعطيتك سبعًا من المثاني لم أعطها نبيًا قبلك**»[٢].

فائدة: من جملة أسماء الفاتحة السبع المثاني، وسميت بذلك؛ لأن نصفها ثناء العبدِ للرب، ونصفها عطاء الرب للعبد، وقيل: لأنها تثنى في كل ركعة من الصلاة، وقيل: لأنها مستثناة لهذه الأمة من بين سائر الأمم وتقرأ في الصلاة مرتين.

وذكر الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة»[٣] أن النبي ﷺ عرج به في ملكوت السموات؛ مسيرة خمسين ألف سنة في أقل من ثلث ليلة؛ فدخل السموات سماء سماء، ورأى عجائبها ووقف على الجنة والنار، وعرض عليه أعمال أمته، وصلى بالأنبياء وملائكة السماء، وخرق الحجب ودلي له الرفرف الأخضر فتدلى، وأوحى إليه رب العالمين ما أوحى؛ ذكره في الفصل الثالث والثلاثين.

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البزار كما في «كشف الأستار» عن أبي هريرة (٥٥). قالَ الهيثمي (٢٣٥): رجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول.

(٢) رواه مسلم (١٧٣).

(٣) أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٥٩٥/ ٥٤١).

وذكر سبط ابن الجوزي عن الثعلبي خبر المعراج، وأطال فيه، وذكر سدرة المنتهى، وأن جبريل انتهى إلى حجاب من فراش الذهب، وأن ملكًا أخرج يده من الحجاب فاحتمله، وتخلف جبريل فقال له إلى أين؟ فقال: هذا منتهى الخلائق، وإنما أذن لي في الدنو من الحجاب؛ إجلالاً لك ثم دلي له الرفرف الأخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس، وأنه وضع عليه، وحمل إلى العرش وأنه ﷺ قال: «لما رأيت العرش اتضع عندي كل شيء؛ فقربني الله وأدناني إلى سند العرش، ووقعت على لساني قطرة من العرش؛ فما ذاق الذائقون أحلى منها، وأنباني الله ﷻ نبأ الأولين والآخرين، وأطلق الله على لساني بعد ما كان من هيبة الرحمن، فقلت: التحيات والصلوات والطيبات، فقال الله تعالى: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

فقال الله: يا محمد تعلم فيما يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: أنت أعلم يا رب بذلك وبكل شيء، وأنت علام الغيوب، فقال: قد اختلفوا في الدرجات والحسنات؛ فالدرجات: إسباغ الوضوء في السبرات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وأما الحسنات: فإفشاء السلام وإطعام الطعام، والتهجد بالليل والناس نيام، ثم ألهمني الله ﷻ أن قلت: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] كما فرقت اليهود والنصارى، قال: فما قالوا؟ قلت: قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا: سمعنا وأطعنا.

فقال: صدقت؛ فسل تعطه فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد رفعت عنك وعن أمتك؛ الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعني اليهود قال: لك ذلك ولأمتك، قلت: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: قد فعلت، (قلت)[1]: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ قال: قد فعلت؛ فلما عهد إليَّ بعهده؛ تركني عنده ما شاء، ثم قال ارجع إلى قومك فبلغهم عني؛ فحملت على الرفرف الأخضر حتى انتهيت إلى سدرة المنتهى وجبريل عندها فقال: يا محمد أنت خير خلق الله؛ حياك الله بما لم يحيي به أحدًا من خلقه، وبلغت مكانًا ما وصل إليه سواك من أهل السموات وأهل الأرض. . .» فيه أنه انطلق به إلى الجنة؛ فأراها إياها، ووصف من قصورها وحورها وولدانها، وما فيها وأراه النار وسلاسلها وما فيها، وأنه مرَّ على موسى عليه السلام ورده في الصلوات، وأنه عاد إلى الله تعالى حتى أبقاها خمسًا.

فائدة: في هذا الخبر أن الانصراف من حضرة الربوبية المقدسة كان بإذن له ﷺ، وكنت سئلت عن هذه المسألة بحلب المحروسة؛ فحصل هذا الجواب والله أعلم.

وفي بعض الروايات؛ أن النبي ﷺ لقي أرواح الأنبياء عليهم السلام فأثنوا على ربهم ﷻ، ثم أثنى نبينا ﷺ على ربه ﷻ، وذكر ما أعطاه ربه من الكرامات ورفع الدرجات، وأنه سمع صوت الجنة تقول: يا رب ائتيني

---

(١) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

بأهلي وما وعدتني؛ فقد كثر غرسي وحريري، وسندسي وإستبرقي؛ فعجل إليَّ بأهلي، قال الله تعالى: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحًا أني أنا الله لا إله إلا أنا أحسن الخالقين، قالت: رضيت.

وفيه أنه سمع صوت النار تقول: رب ائتيني بأهلي وما وعدتني؛ فقد كثرت سلاسلي وأغلالي، وسعيري وحميمي وغساقي و،بعُد قعري واشتد حرِّي؛ فأتني بما وعدتني قال الله ﷻ: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب(١).

فصل: في عوده ﷺ إلى مكة المشرفة ليتلذذ بعد ذلك

قال ابن الجوزي في «المنتخب في النوب»(٢): لما تكامل شرف نبينا محمد ﷺ في الأرض؛ أعطي طروق طرق السماء فسما؛ جيء يطرق إذا وضع وضع قدمه على الطرف؛ فأتى بيت المَقدس المُقدس، وصلى بالأنبياء وكلهم لسبقه قد صلى؛ فلما خرج عن المسجد الأقصى قطع بالمعراج سفرًا لا يحصى؛ فلما أتى السماء طرق المطرق بين يديه الباب، ولا يعلم جبريل إذ صعد يستأذن، فكأنه بالاستئذان أعلم بشرف

---

(١) رواه البزاركما في «كشف الأستار» عن أبي هريرة (٥٥) قال الهيثمي (٢٣٥): رجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول.

(٢) (ق١٥٨) وهو كتاب جيد في الآداب والرقائق قسمه ابن الجوزي إلى مائة مجلس، وفسر في كل مجلس بعض الآيات بإسلوب أدبي رائع وبه الكثير من الفوائد في علم مصطلح الحديث والرجال وجاري العمل في تحقيقه وضبط نصه؛ يسر الله نشره بفضله وكرمه آمين.

القادم، فهو من جنس غضوا أبصاركم؛ لتجوز فاطمة.

فتلقته الملائكة بالبشر والترحيب، وحارت من فضله العجيب؛ فلقي في السماء الأولى أباه آدم؛ فسلم عليه والعهد قد تقادم؛ فقال: مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الناصح، ودعا له بالخيرات والمصالح؛ ثم سلم إلى السماء الثانية؛ فإذا عيسى بن مريم، ومعه الذي ما عصى ولا هم، ورأى في الثالثة يوسف الصديق، ودخل الرابعة؛ فإذا إدريس في الطريق، وسلم في الخامسة على هارون، وفي السادسة على الكليم، ثم لقى في السابعة أباه إبراهيم.

هذا وملائكة كل سماء تستبشر بقدومه، وتقر بالجد إنكارها ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية بالعجز عن علومه، والأنبياء كلهم يتلقونه بالمديح، وما بلغوا كنه قدره، وقد قالوا في الصحيح، وأنه لما مرَّ على موسى فسلم ثم جاوزه؛ بكى وكلم فقيل: يا موسى هل علمتم أن صحيح لسان موسى من كر كرب لن؛ فنطق لسان حاله بقوله: ما أنا الشهيد بسيف لن؛ السائل دمه على أجسام تبت، وعبادة التفضيل يا موسى أنت الشهيد المخلص، وهذا العالم الراسخ، ولو وزن مداد العلماء لرجح عن دم الشهداء؛ أنسيت صحبة الخضر في طريق ذل ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦] وهذا على سرير عز فـ﴿أَوْرَثْنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

ثم انتهى نبينا ﷺ إلى سدرة المنتهى، ثم نال نيل نوال، ثم دنا فتدلى، ثم ارتقى إلى قاب قوسين أو أدنى فاجتنى ثمار فأوحى، وثبت جأشه بتأييد ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧]، فاتفق رفيقًا ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾

[النجم: ١١]، ونوضل أعداؤه بسهام ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢]، وشد أشد رؤيته لْيلة الإسراء بأسر ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، وفرض عليه ثم الصلوات، وأري ما قد أجنت الجنات، وما أعد في النار لأهل المخالفات؛ فلما عاد أخبر موسى بمقدار التكليف فقال: عد فسل في التخفيف؛ فلوي إلي جبريل كالمستشير فقال جبريل: نعم إن شئت فتعالى به إلى الجبار تعالى؛ فما زال يردده موسى حتى أبقى خمسًا فقال: فسل فيها وكلم فقال: لا بل أمضي وأسلم، وإذا نادى منادي قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي؛ فهن خمس في باب التكليف، وهن خمسون في حساب التضعيف.

وهذه منزلة لهذه الأمة في كل أعمالها ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ثم عاد نبينا ﷺ إلى الأرض على أكمل حال، وثبت جنود نصره حتى زحزحت الجبال، وعدل معه مشاهد عدل يشهد بما يرى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]؛ فأصبح يحدث عن إسرائه؛ فكلهم كذب ببديهة رأيه وسعى بعضهم إلى الصديق فقال بلسان استهزائه: صاحبك يزعم أنه الليلة مرَّ إلى بيت المقدس وانطلق فقال: إن كان قد قال فقد صدق، قالوا: أتصدقه بمثل هذه الأنباء؟ قال: قد صدقته قبلها بخبر السماء.

فقام النبي ﷺ في الحجر حين كذبوه؛ فجلَّى الله له بيت المقدس فقال: فوه ما عرفوه، وأخبره بحلية إبل رآها ليلة إذ فبان بقدومها التحقيق؛ غير أن الحسد صدهم عن سلوك المهيع إلى سلك المضيق؛ لقد أديرت عليهم إباريق الهدى؛ فكلهم أبى ريق الأباريق وسائر

الصحابة سكتوا لما سمعوا وسابق إلى التصديق الصدِّيق.

فيا منكر المعراج؛ أما علمت أن فضاء القدرة لا يضيق، ويا من زعم منامًا لم أنكرت قرب طول الطريق لو رددت القرآن العظيم والنقل القويم الوثيق؛ ثكلتك أُمك هل أَمَّك أنت في هذا الاعتقاد إلا زنديق؛ لقد كان لك أسوة لو رفعت في عتيق؛ سبحان من أنعم على أبي بكر الصديق بحُلة الهدى وحلية التوفيق، لقد سافر موسى إلى الطور فوقع في فريسة التفريق؛ فلما قدم رآهم حول العجل في زفير وشهيق فقال: هلا زجرتهم يا هارون؟ فقال: ما كنت أطيق ونبينا ﷺ لما سافر ليلة المعراج قيل: لا تنزعج فلي في الأرض صدِّيق.

وقال سبطة في «مرآة الزمان»: قال ابن عباس: وفقدت قريش رسول الله ﷺ تلك الليلة، وخرج العباس في طلبه، وجعل يصرخ يا محمد يا محمد؛ فأجابه لبيك لبيك فقال: يا ابن أخي غيبت قومك منذ الليلة فأين كنت؟ قال: كنت بالبيت المقدس قال: أمن ليلتك هذه؟ قال: نعم، قال: فما أصابك إلا خير؟ قال: نعم، وكان العباس أسلم قبل الهجرة، وكان يكتم إسلامه. وقيل: أسلم يوم بدر، وكان حضر بدرًا مع المشركين مكرهًا، وأسر وفدي والله أعلم.

وجحد أبو جهل المعراج والمسرى وكذب به ووافقه أشقياؤهم من قومه قال في المرآة قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: **«لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة؛ عرفت أن الناس لا يصدقوني فضقت بأمري ذرعًا»** وقعدت مضني لا حزينًا مهمومًا فمر أبو جهل فجلس إليَّ

كالمستهزئ بي فقال: هل كان شيء؟ قلت: **«نعم، أُسري بي إلى بيت المقدس»** .قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قلت: **«نعم»** .قال ابن عباس: فلم يرى أبو جهل أن يكذبه مخافة أن يجحده. . .الحديث.

فقال: رأيت لو دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني؟ قال: **«نعم»** ؛ فصاح أبو جهل: معاشر قريش هلموا فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا فجلسوا إليهما فقال له: حدث قومك بما حدثتني فقال: **«نعم أسري بي الليلة من هاهنا إلى بيت المقدس»** قالوا: أو أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال: فهم بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبًا ثم قالوا: أتستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى؟ قال: **«نعم»** فجيء بالمسجد فوضع دون دار عقيل؛ فنعته لهم وفيهم من قد سافر إليه فقالوا: أما النعت فقد أصاب والله في وصفه.قالوا: فأخبرنا عن عيرنا هل أتيت منها؟ قال: **«على عير بني فلان بالروحاء، وقد أضلوا بعيرًا لهم، وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح فيه ماء؛ فعطشت فشربت منه؛ فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا؟. . .»** وذكر لهم أشياء فتحقق عندهم صدقها.

وفي رواية أنهم [لما][1] سألوا عن بيت المقدس؛ أتاه جبريل بصورته في جناحه فجعل يقول: باب منه كذا في موضع كذا، وأبو بكر يقول عند ذلك صدقت.وفي رواية أن النبي ﷺ أخبرهم عن عيرهم، وأنه ندَّ لهم

---

(١) السياق يقتضيها

بعير فأرشدهم إليه حتى ذكر الغرارتين والبرقاء على البعيرين الأولين فكان كذلك. وفي رواية أنه وعد قريشًا بقدوم عيرهم طلوع الشمس يوم الأربعاء؛ فكان قدوم عيرهم طلوع الشمس كفرسي رهان؛ فقائل يقول: هذه الشمس طلعت، وقائل يقول. هذه العير قدمت[1]. وفي رواية أنه وعدهم بقدومها يوم كذا مطلقًا؛ فكاد النهار ينصرم ولم تقدم فدعا أن يحبس الله الشمس؛ فحبسها عليه حتى قدمت، ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وللنبي الذي فتح القرية ويقال: أنه يوشع بن نون عليه السلام.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: **«لما كذبتني قريش؛ قمت في الحجر فجلَّى الله لي بيت المقدس؛ فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»**[2] وهذا مما يجب الإيمان به والتصديق والعمل بموجبه، والاعتراف لهذه النبي الكريم بهذا المقام العظيم.

فيا إخواني قفوا ليلة المعراج على قدم الشكر تارة لما أنعم على نبيكم من إسرائه، وتارة للإنعام عليكم بالإيقان بمعراجه، والذي ناله نبيكم المصطفى من الارتفاع والعلو؛ يحث أمته على التماس القرب والدنو؛ فالسعيد من تأهب للمقاربة بتأديب نفسه وتطهير قلبه، وانظروا كم عاد عليكم من بر وإنعام، وتيسير الشرائع والأحكام، وتخفيف الصلاة من

---

(١) رواه أحمد (٢٨٢٠) والبزار (٥٣٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٦٧/ ١٢٧٨٢) و«الأوسط» (٢٤٤٧) قال الهيثمي (٢٢٩): رجال أحمد رجال الصحيح. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) من حديث جابر رواه البخاري (٤٤٣٣)، ومسلم (١٧٠).

خمسين إلى خمس بسلام، وبحسبكم هذه التحفة والإكرام يا أهل الإسلام؛ حتى إن إبراهيم خليل الرحمن يقرأ عليكم مع نبيكم السلام كما خرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**لقيت ليلة أسري بي إبراهيم عليه السلام فقال لي: يا محمد اقرأ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وإن غراسها؛ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»(١).

فنعمت الهدية وحبذا العطية فيالها من نعمة؛ كم كشفت من غمة ورفعت من همة، وكم قد حصل لنا من رفعة مقام بهذا النبي عليه الصلاة والسلام، وقال ربنا الملك العلام: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقول النبي ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون**» فلا يدخل نبي قبل نبينا محمد ﷺ الجنة، ولا أمة نبي قبل هذه الأمة؛ فيا من أكرمه الله وشرفه بدين الإسلام لا تبخل على محمد نبيك بالسلام.

وقد روي عن عبد الرزاق في «مصنفه»(٢) عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط؛ فسألته فقال: «**وما يمنعني وقد خرج جبريل أنفا؛ فأتاني ببشارة من ربي** عز وجل

---

(١) لم أقف عليه عند أحمد بعد البحث ورواه الترمذي (٣٤٦٢) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه عبد الرزاق (٣١١٣)، والطبراني في «الكبيز» (٥/ ١٠٠/ ٤٧١٩)، والنسائي (١٢٨٣، ١٢٩٥).

[قال: إن الله][1] **بعثنى إليك أبشرك؛ أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك؛ إلا صلى الله وملائكته عليه بها عشرًا»** .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من صلى عليَّ صلاة؛ صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات**» رواه ابن أبي شيبة[2] .

وروى البزار في «مسنده» عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**»[3] اللهم صل على سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام، وعلى أصحابه السادة الأعلام؛ صلاة دائمة على توالي الشهور والأعوام، وعدد أنفاس مخلوقاته المكررة في الضياء والظلام، واختم لنا وللحاضرين بخير ولسائر أهل الإسلام؛ برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) سقط من (ك) والمثبت من «المعجم الكبير» للطبراني.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٨٧٠٣)، وأحمد (١٢٠١٧)، والنسائي (١٢٩٧)، وصححه ابن حبان (٩٠٤) والحاكم (٢٠١٨).قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٣) تقدم تخريجه صـ ١٨٨ .

فصل في وداع رجب الفرد الحرام

عباد الله هذا الشهر الأصم رجب يؤذنكم بإقلاعه؛ فأيكم أودعه ما ينفعه[١] غدًا، وإياكم دوام المعاصي فيه (فلم يقلع حتى غدا)[٢]، طوبى لمن يشهد له في الصالحات في حشره، وبؤسًا لمن يشهد عليه بقبيح زلله ووزره؛ ففارقوا عباد الله خطاياكم قبل مفارقته، وسابقوا رحيله بالتوبة قبل مسابقته، واعلموا أن الأوقات عليكم شاهدة بما منكم مشاهِدة، فالحذر الحذر قبل فوات الاقتدار، فما زالت الدنيا تخدع وتغر، ثم ترحل وتمر.

فانظر لنفسك أيها الغافل وتفكر في حالك، ولا تركن إلى دنيا تنتقل حين انتقالك، واعمل لنفسك خيرًا فتجزى بأعمالك، وإياك والتواني وتأهب لارتحالك، أين من جمع فيها الأموال بعضها إلى بعض، وخزّن القناطير ولم يقنع بها ولم يرض، ولم يبال بعد تحصيل شهوته بترك الواجب والفرض، ونسي يوم الحساب والحشر والعرض، لما نقل من قصوره إلى بطن الأرض اخرج بعد توطنها منها، ونقل بعد أن آثرها عنها، وقتلته سمومها وكم كان يُنهى عنها شعر:

نح عن نفسك القبيح وصنها
وتوق الدنا ولا تأمنها

---

(١) إلى هنا انتهى السقط الذي في (ق): .

(٢) في (ق): «لقد غدا».

لا تثق بالدنا فما أبقت ألـ
ـدنيا لحي وديعة لم تخنها
إنما جئتها لتستقبل الموت
وأُسكنتها لتخرج عنها
ستخلى الدنيا وما لك إلا
ما تزودت أو تبلغت منها
وسيبقى الحديث بعدك فانظر
أي أحدوثة تكون فكنها

كأني بك وقد نازلك الموت ففاق المذهب، وتحيرت في أمورك ولا (منجا)[1] ولا مهرب، وأصبحت على فراش الحسرات تتقلب، وعلمت إذًا أنك كنت في الهوى تلعب، وتلتفت فترى ملك الموت فأي أمر منه أصعب، وما هي إلا ساعة وإذا أنت بأيدي (الرجال)[2] تقلب، وجيء بالكفن والطيب وما اخترت أن تُطيب، ولم ينفعك قول المادح وإن أكثر وأطنب، ثم تركب مركبًا ما مثله قط يُركب، ثم يجاء بك إلى الجدث فإذا أنت المغيب، ورجع عنك من كان يودك ويحبك [ويصحب[3] وعاينت في وحدتك ما كنت تخافه وترهب، وأعظم المصائب إن كنت في اللحد معذب.

---

(١) في (ق): «ملجأ».

(٢) في (ق): «الغاسل».

(٣) سقط من (ق) من هذه الكلمة إلى قوله: وقد قال النبي لرجل وهو يعظه في ص (٢٩٧).

لقد نادى الموت وقال: يا معشر النساء والرجال أنا منتهى الأعمار والآجال لا مفر مني ولا بحال، كم سلبت حميمًا وأذللت كريمًا، وأيبست لينًا رطيبًا، وأذفزت من الأبدان طيبًا، كل مأسور فأنا أسرته، وكل غصن مقوم فأنا كسرته، وكل عزيز فأنا أذللته، وكل كثير فأنا أقللته، أنا موتم الأولاد ومفني الأعداد، أنا مفتت الأكباد ومتلف العباد، إذا أسررت أسرت، وإذا أقبلت قتلت أين من كان في روح وسعة؟ نقلته إلى قبر ما وسعه. أين من كان يخاف لبأسه؛ انظروا ماذا عوضته من لباسه.

عباد الله؛ فلا الموت تنتظرون، ولا القلوب للمواعظ تحضرون، وكأنكم للتلف والفناء تأمنون؛ أو بالوعد والوعيد ما تُؤمنون أما أنتم عن قريب ترحلون؟ كأننا والله بنا وقد ندمنا إذا قدمنا، ووضع صبيحة الحساب العرض للحشر، وقدمنا وفتشنا ما يرى في صحائفنا فعدمنا، وفاز الصالحون بتحقيق التقى وحرمنا، ووقفنا في مقام الجزاء على الأعمال وأقمنا، واطلعنا على أعمال نسيناها فقرأناها وفهمنا فلما تذكرنا معاصينا حزِنا وهمنا. شعر

هذا شهر رجب قد رحل أكثره وبان
ونور شعبان قد لاح وبان
وقد ساطعنا النور ركبان
وأقدم الشجاع وما تقدم الجبان

يا من ذهب عنه رجب وانصرم، وهو في عداده من هجر الهدى وصرم كيف يطلب الفضل ويرجو الكرم؟ من اجترم وما احترم. هذا شهر رجب

أكثره قد مضى وتولى عنك بعد إقباله معرضًا، وباقيه قد ناداك للتوبة معرِّضًا؛ فاحذر أن يفوتك الغفران مع الرضا، مضت من رجب أيام لا سبيل إلى رجوعها، وأهلا بنفوس صبرت فيه على عطشها أو جوعها، وا أسفًا لأصوات ردت لعدم صدق مسموعها؛ فرحم الله عبدًا استدرك من بقيه باقي الساعات، وصدق في ندمه على الخطايا والتبعات وجانب الذنوب والمعاصي الموبقات. فإن عمر المؤمن لا قيمة له يستدرك فيه ما فات ويحيي به ما أمات.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وتقبل ما عملناه في رجب من طاعة، واغفر لنا ما حصل فيه من التفريط والإضاعة، وألهمنا بذر التقوى في خدمتك والاستطاعة، واجعل معاملتنا لك أربح بضاعة، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

المجلس العاشر

لافتتاح شهر شعبان المبارك

الحمد لله؛ القديم الأبدي الدائم السرمدي، العزيز العلي الجبار القوي، العادل الوفي، القدير الغني، الدال على المنهاج السوي، الموضح سبيل الهدى الرضي، الآمر بالفعل المرضي، المحذر من الشيطان الغوي، المطلع على السر الخفي، مصرف النهار بين الغداة والعشي، المعقب شهر رجب الأصب شعبان شهر النبي.

أحمده والحمد هو وهبه، وأشكره واتقي غضبه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أدناه إليه وقربه ﷺ، وعلى من تابعه وصاحبه، وعلى أزواجه الطاهرات، ومن تبع دينه وطلبه وسلم تسليمًا كثيرًا، واجعلنا اللهم ممن غفرت له في هذا الشهر خطاياه، وأجزلت بفضلك وكرمك عطاياه، ورزقته من خير الدنيا والآخرة ما تمنّاه، وجعلت جنة المأوى يوم لقائك مأواه، وانفعني والحاضرين يا كريم، واغفر لنا كل ذنب عظيم برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله؛ جدوا فقد أقبل عليكم شهر غر أشهر العام، هو سبب لدفع الذنوب والآثام، فيه يتوفر جزيل الفضل والإنعام، تكتب فيه أسماء من يموت في جميع العام، شهر تفتح فيه الخيرات، وتنزل فيه البركات، وتنزل فيه العطيات، وتكفر فيه السيئات.

فينبغي للمؤمن في هذا الشهر أن يتأهب فيه لاستقبال شهر رمضان؛

بالتطهر من الذنوب بالتوبة عما فات وسلف فيما مضى من الآثام، ويتضرع إلى الله ﷻ في شهر شعبان، ويتوسل إليه بصاحب الشهر محمد ﷺ[(١)] حتى يصلح فساد قلبه، ويداوي مرض سره، ولا يسوف ويؤخر ذلك إلى غد؛ لأن الأيام ثلاثة أمس وهو أجل، واليوم وهو عمل، وغدًا وهو أمل لا يدري هل يبلغه أم لا؟، فأمس موعظه، واليوم غنيمة، وغدًا مخاطرة، وكذلك الشهور ثلاثة رجب فقد مضى وذهب فلا يعود، وشعبان وهو واسطة بين شهرين فليغتنم بالطاعات، ورمضان وهو منتظر لا يدري هل يعيش إلى إدراكه أم لا .

وقد قال النبي لرجل وهو يعظه «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**»[(٢)] قال بعضهم: شعبان خمسة أحرف شين وعين

---

(١) هذه من المسائل المختلف فيها، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هل يجوز التوسل بالنبى أم لا؟ فأجاب الحمد لله أما التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه، وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها فى حقه؛ فهو مشروع بإتفاق المسلمين، وأما قول القائل: اللهم إنى أتوسل اليك به فللعلماء فيه قولان كما لهم فى الحلف به قولان، وجمهور الأئمة كمالك والشافعى وأبى حنيفة على أنه لا يسوغ الحلف بغيره من الأنبياء والملائكة ولا تنعقد اليمين بذلك بإتفاق العلماء، وهذا إحدى الروايتين عن أحمد، والرواية الأخرى تنعقد اليمين به خاصة دون غيره، وأحمد فى إحدى الروايتين قد جوز القسم به فلذلك جوز التوسل به. انظر «مجموع الفتاوى» (١/ ١٤٠).

(٢) من حديث ابن عباس رواه الحاكم (٧٨٤٦) وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي. وصححه المنذري (٥٠٨١). ورواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» =

وباء وألف ونون، فالشين من الشرف والعين من العلو، والباء من البر، والألف من الأُلفة، والنون من النور؛ فهذه العطايا من الله للعبد في هذا الشهر. وقال بعضهم: إنما سمي شعبان لأنه يتشعب فيه خير كثير لرمضان. وقيل: تتشعب القبائل المتفرقة فيه؛ لأن العرب كانت تفترق في رجب، ولا تجتمع على الغارات فيه حرمة لمكانه؛ فإذا انسلخ رجب اجتمعت وتشعبت كما كانت في غيره والله أعلم.

وقيل: شعبان مشتق من شعب الخيرات، و«شعب الإيمان» كثيرة الصلات، فينبغي أن يجتهد العبد فيه ولا يهمل أيامه ولياليه؛ بل يقبل على الصيام والصلوات ويكثر من فعل الخيرات، ويتجنب المنهيات ويجمع همومه المتفرقة ويجعلها بالله متعلقة؛ فعسى ينشعب صدع قلبه ويتم عكوفه على ربه والتنصل من مخالفته وذنبه، ويوقع له بعد بُعده بقربه وينشد شعر:

من ذا يشعب في شعبان همته
ويستقيم على الطاعات إذعانا
فإنه شهر من ترجى شفاعته
يوم القيامة فيمن كان خوانا
سمى لما فيه من خير ومن نعم
تشعبت بعد صدع كانا شعبانا

= (١١١) قال العراقي (١٩٨/٤): خرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن، ورواه ابن المبارك في «الزهد» من رواية عمرو بن ميمون الأزدي مرسلا.

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا رأى هلال شعبان: «**اللهم بارك لنا في شعبان وبلغنا شهر رمضان**»(١) وقد روي أنه كان يأمر مناديًا يقول: «**شعبان شهري؛ فرحم الله من أعانني على شهري**» يعني بالصوم والصلاة والصدقة؛ فقد أضافه له ﷺ؛ فينبغي للناس احترامه والصلاة عليه طلبًا لشفاعته؛ فأكثروا من الصلاة عليه، وتشفعوا بها إليه؛ ليكون شافعكم غدًا في عرصات القيامة وموقف الحسرات والندامة.

يا أصحاب الذنوب صلوا على صاحب المعجزات والشفيع في ذي السيئات. يا مقصرين في العبادة والطاعة؛ صلوا على صاحب الشفاعة صلوا في شهره عليه؛ لتكون شاهدًا لديه صلوا عليه في شعبان؛ ليكون لكم شفيعًا غدًا عند الرحمن. يا أرباب الذنوب والخطيئات؛ أكثروا عليه في شعبان من الصلوات من أراد الحظوة منه بالشفاعة فليصل عليه في هذه الساعة. من كان غافلاً عن الله في عمره ودهره فليصل على محمد نبيه ﷺ في شهره، فإنه شفيع لمن يصلي عليه.

وروى ابن الجوزي في «التبصرة» بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان كله حتى يصله برمضان، ولم يكن يصم شهرًا تامًا إلا شعبان؛ فإنه كان يصومه كله فقلت: يا رسول الله إن شهر شعبان لمن أحب الشهور إليك؟ فقال: «**نعم يا عائشة؛ إنه ليس من نفس تموت في السنة إلا كتب أجلها في شعبان؛ فأحب أن يكتب أجلي، وأنا**

---

(١) تقدم تخريجه صـ٢٢٦ .

في عبادة ربي والعمل الصالح»[١] .

قال شيخنا في «اللطائف» عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض؛ فأنا لا أحب أن ينسخ اسمي إلا وأنا صائم»[٢]. وقد روي مرسلاً وقيل: إنه أصح. وعن عثمان بن المغيرة أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل ينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى»[٣].

قال ابن الجوزي: فهذان الحديثان -يعني حديث عائشة وعثمان بن المغيرة- لم يُعين فيهما متى يكون ذلك من شعبان، وقد رُوي من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «ليلة النصف من شعبان تنسخ فيها الآجال والأرزاق»[٤]. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا كان هلال شعبان؛ رفع

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤٣٦) في ترجمة أحمد بن محمد بن حميد أبو جعفر المقرئ المخضوب، ونقل فيه قول الدراقطني: ليس بقوي.

(٢) لفظ رواية ابن النجار لحديث عائشة السابق كما في الدر المنثور (٧/ ٣٩٩).

(٣) رواه الطبري (١١/ ٢٢٢) قال ابن كثير (٤/ ١٧٥): مرسل ومثله لا تعارض به النصوص.

(٤) رواه الخطيب في «الرواة عن مالك» كما في الدر المنثور (٧/ ٤٠٢) وذكره ابن حجر في «لسان الميزان» (١/ ٢٤٩) في ترجمة أحمد بن كعب الدارع الواسطي فقال: وأخرج الخطيب في «الرواة عن مالك»، من طريق أبي الحسين بن المظفر والدارقطني في غرائب مالك ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قالا ثنا أحمد بن كعب الواسطي، ثنا محمد بن عبد الوهاب بن مروزق الواسطي، ثنا سعيد بن عيسى، ثنا مالك، عن هشام بن عروة، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنه فذكره ثم قال: ولا يصح ومن دون مالك ضعفاء.

إلى ملك الموت صحيفة يقبض من فيها إلى شعبان من قابل؛ فإن الرجل ليغرس ويمكن البنيان، وينكح ويولد له، ويظلم ويفجر وما له في السماء اسم، وما اسمه إلا في صحيفة الموتى إلى أن يأتي يومه الذي يقبض فيه أو ليلته.

فيا أيها الغافل تنبه لرحيلك ومسراك، واحذر أن تسلب على موافقة هواك، انتقل إلى الصلاح قبل أن تنقل، وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل، ولا تغفل عن التدارك الله الله لا تفعل.

وروي أن قيس بن عمر الملائي كان إذا دخل شعبان أغلق حانوته، وتفرغ لقراءة القرآن في شعبان ورمضان. وعن الحسن بن سهل قال: قال شعبان: يا رب جعلتني بين شهرين عظيمين فما لي؟ قال: جعلت فيك قراءة القرآن.

وفي «الصحيحين»(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يصوم من شهر أكثر من صيامه من شعبان، كان يصومه كله، وعنها قالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم(٢). وقد رُوي ذلك عن عائشة رضي الله عنها وابن عباس وأنس وغيرهم(٣) رضي الله عنهم.

وقد ورد النهي عن صيام الدهر والتشديد فيه، وهذا كله يدل على أن

---

(١) البخاري (١٨٦٩، ١٨٧٠)، ومسلم (١١٥٦).

(٢) رواه مسلم (١٨٧٠).

(٣) أما حديث ابن عباس فرواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١١٥٧)، وأبو داود (٢٤٣٠)، وأما حديث أنس رواه أحمد (١٢٨٥٥)، والبخاري (١٠٩٠).

أفضل الصيام لا يستدام؛ بل يُعاقِب بينه وبين الفطر، وهذا هو الصحيح من قول العلماء وهو مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه وغيره. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يُقِل الصوم ويقول: إنه يمنعني من قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إليَّ؛ فقراءة القرآن أفضل من الصيام نص عليه سفيان الثوري وغيره من الأئمة.

وكذلك تعلم العلم النافع وتعليمه أفضل من الصيام، وقد نص الأئمة الأربعة رضي الله عنهم على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، والصلاة أفضل من صيام التطوع؛ فيكون العلم أفضل من الصيام بالطريق الأولى؛ فإن العلم مصباح يستضاء به في ظلمة الجهل والهوى، فمن سار في طريق على غير مصباح؛ لم يأمن أن يقع في بئر بواد فيعطب.

وأفضل الصيام أن لا يضعف الجسد حتى يعجز عما هو أفضل منه؛ من القيام بحقوق الله تعالى عز وجل من الجهاد والعلم وعن الكسب للعيال والقيام بحقوق الزوجات؛ فيكون تركه أفضل منه لقوله ﷺ: **«فإن لنفسك عليك حقًا ولزوجك عليك حقًا؛ فأعطي كل ذي حق حقه»**[1] يشير بذلك ﷺ إلى أن النفس وديعة لله عند ابن آدم، وهو مأمور أن يقوم بحقها ومن حقها اللطف بها حتى توصل صاحبها إلى المنزل، كما قال الحسن نفوسكم مطاياكم إلى ربكم؛ فأصلحوا مطاياكم (توصلكم)[2] إلى ربكم.

---

(١) جزء من حديث أبي جحيفة رواه البخاري (١٨٦٧)، ورواه مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو (١١٥٩).

(٢) في (ق): « تؤمكم ».

وقد قال رسول الله ﷺ: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا**»[١] ومعناه لا يترك العطاء حتى تتركوا العمل؛ فإن الله تعالى لا يوصف بالملل، وإنما يوصف به المخلوق الضعيف منا؛ فمن قصر في طاعته، وفي إعطاء نفسه حقها حتى ضعفت وقصرت كان ظالما، ولهذا المعنى كان النبي ﷺ يتوسط في إعطاء نفسه حقها، ويعدل فيها غاية العدل؛ فيصوم ويفطر، ويقوم وينام، وينكح النساء، ويأكل في بعض الأحيان ما يجد كالحلوى والعسل والدجاج، وتارة يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع.

وخرج ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصوم الاثنين والخميس قال: «**يغفر الله لكل مسلم إلا متهاجرين يقول: دعوهما حتى يصطلحا**»[٢] وخرجه الترمذي ولفظه قال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس؛ فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**»، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا قال: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس؛ فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله تعالى شيئًا إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول: انظروا هذين حتى يصطلحا**»[٣]. وكان إبراهيم

---

(١) من حديث عائشة رواه البخاري (٥٥٢٣)، ومسلم (٧٨٢)، وأبو داود (١٣٦٨).

(٢) رواه ابن ماجة (١٧٤٠)، والترمذي (٧٤٧) قال البوصيري: إسناده صحيح فيه محمد بن رفاعة ذكره ابن حبان في «الثقات»؛ تفرد بالرواية عنه الضحاك بن مخلد، وباقي إسناده على شرط الشيخين، وله شاهد من حديث أسامة بن زيد رواه أبو داود والنسائي، وروى الترمذي بعضه في «الجامع» وقال: حسن غريب.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٥).

النخعي رحمه الله يبكي إلى امرأته يوم الخميس وتبكي إليه ويقولا : اليوم تعرض أعمالنا على الله.

وهذا عرض خاص في هذين اليومين يعني الاثنين والخميس غير العرض العام كل يوم؛ فإن ذلك دائم بكرة وعشيا؛ دليله قوله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ثم يعرجون إلى الله تعالى فيسألهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: آتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**» . . . الحديث رواه البخاري ومسلم[1] وكان الضحاك يبكي آخر النهار ويقول: لا أدري ما رفع من عملي.

اسمع يا من عمله معروض على من يعلم السر والخفا، لا تتبهرج فالناقد بصير وهو بما تقول وتفعل خبير. شعر:

السقم على الجسم له ترداد
والعمر يهدم والذنوب تزاد
ما أبعد شقتي وما لي زاد
ما أكثر بهرجي ولي نقاد

وبهذا استدل العلماء على صيام الاثنين والخميس.

وروي كراهته عن أنس بن مالك من غير وجه عنه، وكرهت طائفة صيام يوم معين كلما مر بالإنسان. وقال الشافعي في القديم: أكره ذلك وإنما كرهه لئلا يتأسى جاهل؛ فيظن أن ذلك واجب، قال: وإن فعل فحسن يعني على غير اعتقاد الوجوب، وهذا كما قيل في كراهة صوم

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٥٣٠)، ومسلم (٦٣٢).

ستة أيام البيض من شوال؛ لئلا يعتقد وجوبها والله أعلم. على ما سيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

فائدة: في رواية البخاري: أن النبي ﷺ كان يصوم شعبان كله[١] فقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي ﷺ لم يستكمل صيام شعبان، وإنما كان يصوم أكثره فكأنه عبر بالكل عن الأكثر، ويشهد لهذا ما في «صحيح مسلم»[٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما علمت رسول الله ﷺ صام شهرًا كله إلا رمضان، وفي رواية قالت: ما رأيته قام ليله إلى الصبح ولا صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان.

وفي حديث أسامة: «**إنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان**»[٣] إشارة إلى أنه اكتنفه شهران عظيمان؛ الشهر الحرام رجب وشهر الصيام؛ اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولاً عنه.

قال شيخنا في «لطائفه»: كثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيامه لأنه شهر حرام وليس كذلك، وعن عائشة قالت: ذكر لرسول الله ﷺ ناس يصومون رجب، فقال: «**أين هم عن شعبان؟**»[٤] انتهى.

---

(١) من حديث عائشة البخاري (١٨٦٩).
(٢) مسلم (١١٥٦).
(٣) رواه أحمد (٢١٨٠١)، والنسائي (٢٣٥٧) وصححه المنذري (١٥٣٧) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.
(٤) من حديث زيد بن أسلم رواه عبد الرزاق (٧٨٥٨)، ومن حديث عائشة رواه ابن وهب كما في «لطائف المعارف» (١/ ١٣٨).

وذكر ابن الجوزي في «التبصرة» بسنده عن الحسن بن سهل قال: قال شعبان: يا رب جعلتني بين شهرين عظيمين فما لي؟ قال: جعلت فيك قراءة القرآن، وذكره في النور أيضًا وقد تقدم. وعن لؤلؤة مولاة عمار -رضي الله عنه وعنها- قالت: كان عمار يتهيأ لصوم شعبان كما يتهيأ لصوم رمضان. وقال في «النور»: وإن سأل سائل فقال: أيهما أفضل شهر رجب أو شعبان؟ فالجواب: أن الأخبار فيهما متقاربة؛ فإن رجب من الأشهر الحرم قيل: وذو القعدة من الأشهر الحرم، وفضائل شعبان أكثر من فضائله فإن قيل: فأول ليلة من رجب تُحيا؟ قيل: وليلة النصف من شعبان تحيا أيضًا، وهي أشرف لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، ثم قال: يكفي إن تقابل هذه (الجملة)[١] بقوله ﷺ: «**أفضل الصيام صيام شعبان**»[٢] تعظيمًا لرمضان مختصر من كلامه.

وفي ذلك دليل على استحباب عمارة أزمان غفلة الناس بالطاعة، وإن ذلك محبوب لله تعالى كما رُوي في إحياء العشاءين لكونها ساعة غفلة، وقيام وسط الليل؛ لغفلة أكثر الناس فيه عن الذكر، وكما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**القائم بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد**»[٣]

---

(١) في (ك): «الجهالة».

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٩٧٦٣)، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩١٤) وأعله بصدقة بن موسى فقال قال ابن معين: ليس بشيء.

(٣) من حديث أبي هريرة رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠٠) وقال: غريب. ومن حديث ابن عباس رواه محمد بن عبد الله الأصبهاني في مجلس من إملاء الدقاق (٥٠٣) قال المنذري (٦٥): رواه البيهقي في «الزهد» (٢٠٧) من رواية الحسن بن قتيبة =

لغفلة كثير من الناس عنه فيها.

فائدة: كان السلف يستحبون إخفاء الصوم والعبادة؛ ليحصل لهم الإخلاص فيهما، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا أصبحتم صيامًا فأصبحوا (مدهنين)[(١)]. وقال قتادة: يستحب للصائم أن يدهن حتى يذهب عنه غبرة الصيام.

موعظة في هذا المعنى: كم يستر الصادقون أحوالهم وريح الصدق ينمُّ عليهم، كما قيل: أبت حكمة الله إلا أن تظهر ما في بطن العبد على صفحات وجهه وفلتات لسانه. ريح (الصائم)[(٢)] أطيب من ريح المسك تستنشقه قلوب المؤمنين، وإن خفي، وكلما طالت عليه المدة ازداد قوة ريحه. اللهم طيب روائحنا برحمتك يا أرحم الراحمين شعر:

كم أكتم حبكم عن الأغيار
والدمع يذيع في الهوى أسرار
كم أستركم هتكتموا أستار
من يخفي في الهوى لهيب النار

اقتضت حكمة الله تعالى؛ أنه ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية (شعر)[(٣)]:

= ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به إلا أنه قال فله أجر شهيد. أ هـ
والحديث ضعفه جدا الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٣٠).

(١) في (ق): «مدهونين».

(٢) في (ك): «الصبا» والمثبت من «لطائف المعارف».

(٣) في (ك، ق) «غيره» والمثبت هو الصواب

وهبني كتمت السر وقلت غيره
أتخفي على أهل القلوب السرائر
أبى ذاك أن السر في الوجه ناطق
وأن ضمير القلب في العين ظاهر

يا من فرط في الأوقات الشريفة وضيعها، وأودعها الأعمال السيئة وبئس ما استودعها. اللهم وفقنا للخير يا أرحم الراحمين. وأكرم الأكرمين وغياث المستغيثين شعر:

مضى رجب وما أحسنت فيه
وهذا شهر شعبان المبارك
فيا من ضيع الأوقات جهلاً
بحرمتها أفق واحذر (بوارك)[1]
فسوف تفارق اللذات قهرًا
ويخلي الموت كرهًا منك دارك
تدارك ما استطعت من الخطايا
بتوبة مخلصة واجعل مدارك
على طلب السلامة من جحيم
فخير ذوي الجرائم من تدارك

اسمع يا من فرط في رجب ولم يتب عن العصيان؛ استدرك ما فاتك بالتوبة في شعبان، واحذر أن تكون فيه عاصيًا كما كنت في شهر ربك فيؤدي ذلك لبعدك عن الحضرة وقساوة قلبك؛ أي عذر لك غدًا عند

---

(١) في (ق): «بدارك».

الرسول؛ إذا لم تأخذ أمره بالقبول.

أيها المدعي وفاق رسوله، المظهر تصديقه في قلبه، الزاعم أنه عامل بدليله؛ أيحسن في شهره متابعتك الشيطان في تضليله؟! يا من يروم شفاعته ولا يخلص في شهره في كثيره ولا في قليله؛ أما قد شرع لك ما به تهتدي أما أمرك أن تتبعه وبفعله تقتدي، أما تعلم أن خلافك له في شهره فعل قبيح ردي، عد إلى الموافقة وخل عن المشاققة، واستقبل شعبان -شهر نبيك- بتوبة، واغسل دنس الإثم بها والحوبة، وقل بلسان المنكسر الخاشع الذليل بين يديه، شعر:

ما إن عصيتك والغواة تمدني
أسبابها إلا بنية طائع

فاقبل بحقك توبة من مخلص
وافى بها في ثوب ذل خاضع

وقد قيل: شعبان؛ شهر الإجلال، ومحجة الإقبال، ومزمة الأحوال؛ لاستدراك الإخلال، وفيه ترفع الأعمال، وتبلغ الآمال، ويطلع الله تعالى في ليلة نصفه على عبيده السُّؤال؛ فمن حاول أن يجاب فليقرع الباب، فاخلع فيه ثوب العصيان، وأخلص إلى الله تعالى في السر والإعلان، واقرع بابه بأنامل الندم؛ تجاب بالغفران. شع:

عليك بما يفيدك في الميعاد
وما تنجو به يوم التناد

فما لك ليس يعمل فيك وعظ
ولا زجر كأنك من جماد

ستندم إن دخلت بغير زاد
وتشقى إذ يناديك المناد
أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وأعطنا ما لا تبلغه آمالنا، وأنلنا ما لا تنله أعمالنا، وامنحنا ما لا تصل إليه (آمالنا)[١] وسؤالنا، وألهمنا الشكر ليكثر نوالنا، وبلغنا رضاك عنا وذرياتنا وأهلنا، وألحقهم بنا في الجنة لتقرَّ أعيننا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، يا أرحم الراحمين.

---

(١) مثبت من (ق).

المجلس الحادي عشر

ليلة النصف من شعبان

الحمد لله الملك الرحيم الرحمن، القوي السلطان، العزيز المنّان، الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأمر بالعدل والإحسان، ووضع الميزان، وقضى وقدر؛ فزان وشان، وحكم ودبَّر، وأعز وأهان، وأفقر وأغنى، فلا يقال لتقديره لم كان، أنعم على عباده بأنواع الإنعام والإحسان، والأح لهم مناهج الرشاد وأبان، وأتحف أهل التعبد بليلة النصف من شعبان، أحمده على نعمه وهو أحق من حُمد، وأقصده بالشكر، وهو أولى من قُصد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله بأمره فلم يُنقص ولم يزد؛ صلى الله عليه وعلى من بصحبته فاز وسعد، وعلى أزواجه وتابعيه إلى يوم الجزاء وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، وإذا أطلعت في ليلتنا هذه على خلقك؛ فعد علينا بمنِّك وعطفك، وقدر لنا من فضلك واسع رزقك، واجعلنا ممن قام لك بحقك .

اللهم من قضيت في هذه الليلة بوفاته؛ فاقض مع ذلك رحمتك، ومن قدرت طول بقائه؛ فاجعل مع ذلك نعمتك، اللهم أيقظ قلوبنا من رقدات الآمال، وذكرنا قرب الرحيل ودنو الآجال، (وأجرِنا على أقرب الأمور

وأشرف الخصال، وأعمر بطاعتك الغدوات والآصال اللهم)[١] واشف في هذه الليلة مرضانا، وارحم بفضلك موتانا، واقض بمنك ديوننا واستر عيوبنا، واغفر لنا ذنوبنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله؛ أن ليلتكم هذه -ليلة النصف-؛ عظيمة القدر كبيرة الوصف؛ فيها تُقدر الآجال والأرزاق، ويكثر المنُّ والإعتاق، ويتوافر الإسعاف والإرفاق، ويطلع على عباده الكريم الخلاق، وقد نوه القرآن العظيم بذكر هذه (الآية)[٢] بقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١ - ٣]، قال المفسرون (حم)[٣] قسم جوابه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ والهاء كناية عن الكتاب وهو القرآن ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ فيها قولان:

أحدهما: ليلة القدر، وعليه أكثر (المفسرين)[٤] على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في فضائل ليلة القدر.

والثاني: أنها ليلة النصف من شعبان رواه عكرمة مولى ابن عباس قال: في ليلة النصف من شعبان؛ يدبِّر الله أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب حجاج بيت الله الحرام فلا يزيد فيهم أحد ولا ينقص

---

(١) مثبت من (ق).
(٢) كذا في (ق، ك) ولعل الصواب «الليلة».
(٣) مثبت من (ك).
(٤) في (ق): «المفسرون».

منهم أحد، وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات.

واختلف المفسرون في معنى ﴿حمٓ﴾ على قولين:

أحدهما: أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهذا مذهب جماعة من المفسرين.

الثاني: أنها معروفة المعنى ثم لهؤلاء فيها قولان: **أحدهما**: أنها (حرف)[(١)] من أسمائه، قال ابن عباس: الر، وحم، ون اسم الرحمن. وقيل: إن الحاء مفتاح اسمه الحميد، والميم مفتاح اسمه مجيد، قاله أبو العالية. وقيل: إن الحاء مفتاح كل اسم ابتداؤه حاء؛ مثل حكيم حليم حي، والميم؛ مفتاح كل اسم ابتداؤه ميم؛ مثل ملك مجيد حكاه أبو سليمان الدمشقي. **الثاني**: أن معنى حم قضى ما هو كائن. رواه أبو صالح عن ابن عباس كأنه يشير إلى حُمَّ الأمر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ معناه مخوفين عقابنا.

﴿فِيهَا يُفۡرَقُ﴾؛ معناه يُفصل كل أمر حكيم بمعنى المحكم؛ فيكتب في هذه الليلة ما هو كائن في جميع السنة من الخير والشر من أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، وهذه الآيات للملائكة الموكلين بأسباب الخلق حتى الآجال والمطر ومن يحج.

---

(١) في (ك): «حروف».

وفي «مسند الإمام أحمد»[١] رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فخرجت فإذا هو في البقيع رافع رأسه إلى السماء، فقال لي: **«أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟»** قلت: يا رسول الله ظننت أنك أتيت (بعض)[٢] نسائك فقال: **«إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا؛ فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب»** وخرجه ابن ماجة، وذكر الترمذي عن البخاري أنه ضعيف، قاله شيخنا في «لطائفه». وخص غنم بني كلب بالذكر لكونها (إذ ذاك)[٣] أكثر العرب غنمًا.

وفي جامع الأصول[٤] عن الترمذي عن عائشة قالت: (فقدت)[٥] رسول الله ﷺ ليلة فإذا هو في البقيع فقال: **«أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟»** قلت: يا رسول الله إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك،

---

(١) رواه أحمد (٢٦٠٦٠)، والترمذي (٧٣٩)، ابن ماجة (١٣٨٩) قال الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج -وهو ابن أرطأة-، وسمعت محمدا يضعف هذا الحديث وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج ابن أرطاه لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. أهـ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة ولانقطاعه.

(٢) في (ق): «حجر».

(٣) مثبت من (ق).

(٤) جامع الأصول (٦٨٦٨).

(٥) في (ك): «قصدت».

فقال: «**إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا؛ فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب**» زاد رزين: «**ممن استحق النار**».

وروى ابن زنجويه في «الترغيب والترهيب» له بسنده أن كثير بن مرة قال: بلغني أن الله يطلع إلى الناس في ليلة النصف من شعبان؛ فيغفر كل ذنب إلا ما كان من الشرك أو بغي، ويكتب ملك الموت في تلك السنة من هو قابضه إلى مثلها من قابل. قال شيخنا في «لطائفه»: وفي[(١)] ابن ماجة[(٢)] بإسناد ضعيف عن علي عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان ليلة النصف من شعبان؛ فقوموا ليلها وصوموا نهارها؛ فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا، حتى يطلع الفجر**».

وفي فضل ليلة النصف [من شعبان][(٣)] أحاديث (أخر متعددة)[(٤)] وقد اختلف العلماء فيها، وضعفها الأكثرون وفي «صحيح ابن حبان» بعضها، وخرج ابن ماجة[(٥)] من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال:

---

(١) بعدها في (ق): سنن أبي داود، وأظنه مقحم من النساخ فالعزو لأبي داود غير موجود في المطبوع من «لطائف المعارف»، والحديث من أفراد ابن ماجة.

(٢) رواه ابن ماجة (١٣٨٨). قال البوصيري: ضعيف لضعف ابن ابن أبي سبرة، واسمه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة. قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين: يضع الحديث. أهـ وضعف الحديث المنذري (١٥٥٠).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) في (ق): «كثيرة معدودة».

(٥) رواه ابن ماجة (١٣٩٠)، وأحمد (٦٦٤٢) قال البوصيري: إسناده ضعيف =

«إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان؛ فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» زاد الإمام أحمد «أو قاتل نفس» .

ورُوي عن نوف البكالي أن عليًا ﷺ خرج ليلة النصف من شعبان؛ فجعل ينظر إلى السماء وقال: إن داود ﷺ خرج ذات ليلة في مثل هذه الساعة؛ فنظر إلى السماء وقال: إن هذه الساعة ما دعا الله أحد إلا أجابه، ولا استغفره أحد إلا غفر له؛ ما لم يكن عشارًا أو ساحرًا أو شاعرًا أو كاهنًا أو عريفًا أو شرطيًا أو جابيًا أو صاحب كوبة أو عرطبة - قال نوف: الكوبة الطبل، والعرطبة الطنبورة-، اللهم رب داود؛ اغفر لمن دعاك في هذه الليلة، ولمن استغفرك فيها، وهؤلاء المساكين إنما منعوا من المغفرة لما غلب عليهم من الظلم والتقوي على «الضعفاء» كما ورد: «العرافة حق ولكن العرفاء في النار»(١)، وفي رواية عن علي ابن أبي طالب ﷺ قال: فيغفر لكل مسلم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم أو امرأة تبغي في فرجها.

وكان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول وغيرهم؛ يعظمون ليلة النصف من شعبان ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ

= لضعف عبد الله بن لهيعة، وتدليس الوليد بن مسلم أ هـ قال شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة.

(١) رواه أبو داود (٢٩٣٤) وصححه المنذري (١١٨٣) وقال: رواه أبو داود ولم يسم الرجل ولا أباه ولا جده. وقال المنذري في حاشيته على أبي داود (١٩٦/٤): في إسناده مجاهيل، وغالب القطان قد وثقه غير واحد من الأئمة، واحتج به البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

الناس فضلها وتعظيمها وقد قيل: أنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية، فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قبله ومنهم من وافقهم على تعظيمها، ومنهم طائفة من عباد أهل البصرة، وأنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز وابن أبي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وقالوا إن ذلك كله بدعة.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتاب «الحوادث والبدع»، وأخبرني أبو محمد المقدسي قال: لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب وشعبان، وأول ما حدثت عندنا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس يعرف بابن الحمراء، وكان حسن التلاوة فقام فصلى في المسجد الأقصى في ليلة النصف من شعبان فشاعت، وأما صلاة رجب فحدثت ببيت المقدس سنة ثمانين وأربعمائة انتهى.

وقد سئل بعضهم عن صلاة ليلة النصف من شعبان هل هي سنة حسنة أم بدعة؟ فقال: الحمد لله إذا صلى ليلة النصف وحده أو في جماعة خاصة كما كان يفعله طوائف من السلف فهذا حسن، وأما اجتماع الناس في المساجد على صلاة مقدرة كالاجتماع على مائة ركعة بقراءة ألف مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] دائمًا فهذه بدعة لم يستحبها أحد من الأئمة أهـ، فهذا يوضح أن العبادة في هذه الليلة والصلاة بابها مفتوح لا ينكر، وإنما ينكر من في ذلك ما لم يصح به سنة عن النبي ﷺ.

فصل

أيها العبد [صلِّ][١] ما قدر لك من غير توقيت ولا تحديد واقتد بالسنة فقد هديت، قال شيخنا في «لطائفه»: واختلف علماء أهل الشام في إحيائها على قولين:-

أحدهما: أنه استحب إحياؤها جماعة في المساجد. قال ذلك إسحاق بن راهويه وحرب الكرماني في «مسائله».

الثاني: أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وعالمها، وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى. قال الشافعي: بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال؛ ليلة الجمعة والعيدين، وأول رجب وليلة النصف من شعبان، ولا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة نصف شعبان، وفي استحباب قيامها عنه روايتان ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء الشام.

ورُوي عن كعب الأحبار قال: إن الله يبعث ليلة النصف من شعبان جبريل عليه السلام إلى الجنة فيأمرها أن تتزين ويقول: إن الله قد أعتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء، وعدد أيام الدنيا ولياليها، وعدد ورق الشجر، وزنة الجبال وعدد الرمال.

---

(١) ليست في النسختين، والسياق يقتضيها.

وروي عن عطاء بن يسار قال: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان، ينزل الله إلى سماء الدنيا؛ فيغفر لعباده إلا لمن أشرك أو مشاحن أو قاطع رحمه.

فصل

فيا من أعتق من النار هنيئًا لك هذه المنحة الجسيمة، ويا أيها المطرود فيها؛ جبر الله مصيبتك فإنها مصيبة عظيمة. اللهم أهدنا وألهمنا رشدنا، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين ويا غياث المستغيثين شعر:

بكيت على نفسي وحقي أن أبكي
وما أنا من تضييع عمري في شك
لئن قلت أني في صنيعي محسن
فإني في قولي لذاك ذو إفك
ليالي شعبان وليلة نصفه
بأية حال قد تنزل لي صك
وحقي عمري أن أديم تضرعي
لعل إله الخلق يسمح بالفك

فصل

فينبغي للمؤمن أن يتضرع ويتفرغ في تلك الليلة، لذكر الله ﷻ ودعائه بغفران الذنوب، وستر العيوب وتفريج الكروب، وأن يُقدِّم على ذلك التوبة؛ فإن الله يتوب فيها على من يتوب بمنِّه وكرمه. شعر:

فقم ليلة النصف الشريف مصليا
فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه
كم من فتى قد بات في النصف آمنا
وقد نسخت فيه صحيفته حتفه
فبادر بفعل الخير قبل انقضائه
وحاذر هجوم الموت فيه بصرفه
وصم يومها لله وأحسن رجائه
لتظفر عند الكرب منه بلطفه

ويجب على المسلم؛ أن يتجنب الذنوب التي تمنع من المغفرة وقبول الدعاء في تلك الليلة، وقد روي أنها الشرك وقتل النفس والزنا هذه الثلاثة أعظم الذنوب عند الله تعالى كما في حديث ابن مسعود المتفق على صحته(١) أنه سأل النبي ﷺ: أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» قال: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية يطعم معك**» قال: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**» فأنزل الله تعالى تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ومن الذنوب المانعة أيضًا من المغفرة؛ الشحناء وهي حقد المسلم على أخيه المسلم بغضًا هوى نفسه، وذلك أيضًا يمنع من المغفرة في أوقات المغفرة.

---

(١) البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (٨٦).

إخواني؛ اجتنبوا الذنوب التي تحرم العبد مغفرة الجبار، في مواسم الرحمة والتوبة والاستغفار، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأما القتل؛ فلو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض على قتل رجل مسلم بغير حق؛ لأكبهم الله جميعًا في النار، وأما الزنا فالحذار الحذار من التعرض لسخط الجبار؛ الخلق كلهم عبيد وإماؤه والله يغار، ولا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته في ليل أو نهار؛ فمن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأمر بغض الأبصار.

وأما الشحناء فيا من أضمر لأخيه السوء وقصد الإضرار، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، يكفيك حرمان المغفرة في وقت مغفرة الأوزار، وركونك إلى الدنيا وإلى ما يسخط الجبار. شعر:

خاب عبد بارز المو
لى بأسباب المعاصي
ويحه مما جناه
لم يخف يوم القصاص
يوم فيه ترعد الأقـ
دام من شيب النواصي
لي ذنوب في ازدياد
وحياة في انتقاص
فمتى أعمل ما أعـ
لم لي فيه خلاصي

كم من راح في طلب الدنيا وغدًا، أصبح من سكان القبور غدًا، اللهم وفقنا للأعمال الصالحة والأفعال الناجحة.

وذكر صاحب كتاب «زهرة الرياض»، أنه رُوي أن عيسى عليه السلام كان في سياحة إذ نظر إلى جبل عال فقصده؛ فإذا هو في ذروة الجبل بصخرة أشد بياضًا من اللبن؛ فجعل عيسى يطوف حولها ويتعجب من حسنها؛ فأوحى الله إليه يا عيسى أتحب أن أبين لك كل عجيب ما ترى؟ قال: نعم يا رب، فانفلقت الصخرة عن شيخ عليه مدرعة[1] من شعر بيده عكازة خضراء، وبين يديه عنب وهو قائم يصلي فتعجب عيسى من ذلك وقال: يا شيخ ما هذا الذي أرى؟ قال: رزق كل يوم، فقال له منذ كم تعبد الله في هذا الحجر؟ فقال: منذ أربعمائة سنة، قال: إلهي وسيدي ما أظن أنك خلقت خلقًا أفضل من هذا؛ فأوحى الله عز وجل إليه، أن رجلاً من أمة محمد أدرك شهر شعبان فصلى ليلة النصف؛ فهو أفضل عندي من عبادة عبدي هذا أربعمائة سنة، قال عيسى: يا ليتني كنت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

يا من أنعم علينا بالإسلام؛ جنبنا درك المعاصي والآثام، واحكم لنا في هذه الليلة بأحسن الأحكام، واختم لنا منك بأفضل الختام، فإن الأعمال بالخواتيم، وأنت جواد كريم شعر:

وللناس أعمال حسان كثيرة
ولن يُصلح الأعمال إلا الخواتيم

---

(١) هي الجبة. انظر «مختار الصحاح» (١/ ٢١٨).

وحكي عن يحيى بن معاذ أنه قال: على الكرسي ليلة البراءة -يعني ليلة نصف شعبان- قال: إلهي لو أردت إهانتي في دار الانتقام لما أكرمتني وشرفتني بالتوحيد والإسلام، فبحرمة بداءتك بالنعم، إقسم لنا في هذه الليلة بأحسن القسم، وتغمد بالجود والكرم؛ فإني لا أرجو منك بعد الإنعام إلا إكمال منتك على التمام، وأنشدوا شعرًا:

سقيًا لشعبان من شهر أعظمه
إني لأذكر منه ليلة عجبا
الله يعلم أني ما ذكرتكم
إلا تحدر دمع العين وانسكبا

حكاية: ذكر القاضي أبو عبد الله القضاعي عن عمر بن عبد العزيز؛ أنه كان يأتي كل ليلة نصف شعبان إلى مسجد مهجور، ويصلي فيه ركعات؛ فإذا كان وقت السحر وضع جبهته على الأرض، ومرغ خديه على تراب الخضوع، ولم يزل كذلك إلى طلوع الفجر؛ فلما كان في بعض الليالي فعل ذلك؛ فلما فرغ رفع رأسه إلى السماء من صلاته وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب فيها؛ هذه براءة من النار من العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز.

فيا أيها المقصر هذه ليلة السياسة والهيبة، وإياك والبعد عن الحضرة بالخيبة، وقف على باب الفضل والكرم، ولا تشفق على رجليك من الورم، بل قم منتصبًا على القدم، فعساك تحظى فيها بأجزل القسم، وتفوز بالأفضال والنعم، يا هذا قد مضى رجب عنك (بالإغفال)[1]،

(١) في (ق): «بالانتقال».

وأول شعبان (بالإهمال)[1]، وهذه ليلة النصف منه فاجتهد، فيكون الرب عليك راضي غير غضبان، وتب إليه من المخالفة والعصيان شعر:

دع السهو يا مسكين واستعمل البكا
وضج إلى مولاك يغفر ذنبكا
فأنت على أمر عظيم وغفلة
وعما قليل سوف تنزل لحدكا
مضى رجب عنا وولت صحائفه
عليها يطيب النوح والحزن والبكا
وفي نصف شعبان الصكاك فما الذي
نرى يا أخي في طي صحفي وصحفك
فبادر إلى الرحمن منك بتوبة
مصححة تمحو بها قبح ذنبك

وروي عن ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه وقف بمكة ليلة نصف شعبان وبسط يديه للرحمن وقال: إلهي وسيدي إن كنت كتبت اسمي في ديوان المذنبين؛ فانقله إلى ديوان الطائعين فإنك القائل ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

ويُروى عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يطوف حول الكعبة ويدعو بمثل ذلك، وهذا يدل على المحو والإثبات وله نظائر وأشباه.

عباد الله إنكم في شهر بركته مشهورة وخيراته موفورة، والتوبة فيه من

---

(١) في (ق): «بالإهلال».

أعظم الغنائم الصالحة، والطاعات فيه من أكبر المتاجر الرابحة، وهو شهر شعبان الذي جعله الله مضمارًا لرمضان، وضمن فيه للتائبين الأمان، في ليلة نصفه يتوقع العاملون فيها الغفران والرحمة والرضوان، من عوّد نفسه فيه الاجتهاد فاز في رمضان بحسن الاعتباد.

وروي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: إذا كانت ليلة النصف من شعبان؛ فتحت أبواب السماء السبع، ووقف على كل باب ملائكة يستغفرون للمسلمين؛ فيغفر لكل مسلم إلا من كان مصرًا على كبيرة، ذكره الديريني في «طهارة القلوب»، وتسمى ليلة النصف ليلة البراءة؛ لأن فيها براءة الأشقياء من الرحمن، وبراءة الأولياء من الخذلان ذكره الشيخ عبد القادر قدس الله سره.

فصل

اجتهدوا الليلة في محو ذنوبكم، واستغيثوا إلى مولاكم من عيوبكم، هذه ليلة الإنابة، فيها تفتح أبواب الإجابة، أين اللائذ بالجناب؟ أين الواقف بالباب؟ أين الباكي على ما جنى، أين المستغفر لأمرٍ قد دنا، كم من منقول في هذه الليلة من ديوان الأحياء؛ مثبت في صحف أهل التلف والفنا فهو قريب يفاجأ بالممات، وهو مقيم على السيئات.

ألا رب فرح بما يُؤتى قد خرج اسمه في الموتى، ألا رب غافل عن تدبر أمره؛ قد انقصمت عرى عمره، ألا رب معرض عن سبيل رشده؛ قد آن أوان شق لحده، ألا رب رافل في ثوب شبابه؛ قد أزف فراقه لأحبابه.

ألا رب مقيم على جهله، قد قرب رحيله عن أهله، ألا رب مشغول

بجمع ماله، قد حانت خيبة أماله. ألا رب ساعٍ في جمع حطامه قد دنا تشتت عظامه، ألا رب مجدٍّ في تحصيل لذاته، قد آن خراب ذاته.

أين من كان في مثل هذه الأيام في منازله؛ ينسى في طمأنينته إزعاج منازله؛ أما ظهر له الخسران عند حساب معامله، أين المعتذر مما جناه؟ قد اطلع عليه مولاه، أين الباكي على تقصيره؟ قبل تحسره في مصيره. أيا مطرودًا ما درى؛ يعاتب ولا يفهم ما جرى متى ترى على الباب ما ترى؟ شعر:

تعالوا كل من حضرا
لنطرق بابه سحرا
ونبكي كلنا أسفًا
على من بات قد حجرا

وعن كعب الأحبار قال: إن أهل الجنة ليفرحون بدخول شهر رمضان من الحور والخزنة والولدان؛ كما يفرح أهل الجنة من ذرية آدم بدخول الجنة إذا سكنوها، وذلك أن الله يبعث جبريل عليه السلام في ليلة نصف شعبان، فيقول: السلام عليكن أيتها الجنان، أنا جبريل الأمين رسول رب العالمين، تزيني وتجددي، وازدادي نورًا، وافتحي أبواب مقاصرك المرجانية، وحجالك[1] العبقرية التي بطائنها من إستبرق وحشوها إذفريات المسك، ودرجي متضمنات المخلوقات التي لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان؛ فإن الله قد عتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء، وعدد

---

(١) الحجال هي الخلاخيل. «مختار الصحاح» (١/ ١٦٧).

أيام الدنيا ولياليها، وعدد ورق الشجر وزنة الجبال وعدد الرمال.

يا مضيعًا اليوم بتضييع أمس، تيقظ ويحك قد قتلت النفس، وتنبه للعود فإلى كم أنت نحس، واحفظنَّ بقية العمر فقد بعت الماضي بوكس، شعر:

أطل جفوة الدنيا وتهوين شأنها
فما العاقل المغرور فيها بعاقل
يرجى خلودًا معشر ضل سعيهم
ودون الذي يرجون غول الغوائل
وليس الأماني للبقا وإن مضت
بها عادة إلا تعاليل باطل
يُسار بنا قصد المنون وإننا
لنفرح أحيانًا بطي المراحل

سجع من «التبصرة» على الآية الكريمة:

هذه ليلة أمرها عظيم، والخير فيها جزيل عميم، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]؛ فيها تقسم الآجال والأعمار، فيها يكتب الحجاج والعمَّار. كم من جامع دينار لدينار، وأكفانه عند القصَّار، وهو يعمر الدار عمارة مقيم.

كم مؤمل أملا خاب(كم من منقول على ذم غاب، يا هذا مضى زمان الشباب، يا من كبر على الزلل وشاب، يا مسيء السر والعلن، يا ساريًا على أقبح سنن، يا ناسيًا لحاق من قد ظعن، يا سليمًا في الجسم والبدن لكنه سقيم إلى كم مع الدنا بالامم تأمنون الرزايا، أين الاستعداد

للمنايا. اعتذروا الليلة من الخطايا فالمولى كريم، أقبلوا بالقلوب الليلة إليه وقفوا بالخضوع والخشوع لديه، وتعلقوا بجوده تعويلاً عليه وانكسروا بالذل بين يديه فإنه رحيم.

مدوا أنامل الرجاء إلى بابه، واتبعوا بالبكاء طريق أحبابه، وتعرضوا لجزيل ثوابه، واحذروا من سطوته وعقابه فعقابه أليم، بين يديكم يومًا لا كالأيام؛ ينتبه فيه من غفل ونام، وتزفر جهنم على أهل الآثام، فيجثوا الخليل والكليم، قوموا بنا إلى مطلوبنا قفوا بنا على باب محبوبنا؛ هلموا فلنستغث من ذنوبنا لعله يهب على قلوبنا من العفو نسيم، لقد رضتكم بالوعظ وقومتكم، وشرحت ما يشكل عليكم وفهمتكم، وأعلمتكم ما بين أيديكم وعلمتكم، ولا حيلة لي إلا التعليم ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

فصل: في الصوم بعد نصف شعبان

خرَّج الإمام أحمد رضي الله عنه وأبو داود في [الصوم][(١)]، والترمذي والنسائي وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه والحاكم[(٢)] من حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا انتصف شعبان؛ فلا تصوموا حتى يدخل رمضان**» وصححه الترمذي وغيره.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) أحمد (٩٧٠٥)، وأبو داود (٢٣٣٧)، والترمذي (٧٣٨) وقال: حسن صحيح والنسائي في «الكبرى» (٢٩١١)، وابن ماجة (١٦٥١)، وصححه ابن حبان (٣٥٨٩).

قال شيخنا في «لطائفه»: واختلف العلماء في صحة هذا الحديث ثم في العمل به؛ فأما تصحيحه فصححه غير واحد منهم الترمذي وابن حبان والحاكم والطحاوي وابن عبد البر وتكلم فيه من هو أكبر من هؤلاء وأعلم، وقال: حديث منكر، منهم عبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد، وأبو زرعة الرازي، والأثرم، وقال أحمد: لم يرو العلاء حديثًا أنكر منه، ورده بحديث: «**لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين**»(١) فإن مفهومه جواز التقدم بأكثر من يومين.

وقال الأثرم: الأحاديث كلها تخالفه، يشير إلى أحاديث صيام النبي ﷺ شعبان كله ووصله برمضان، ونهيه عن التقدم على رمضان بيومين فصار الحديث حينئذ شاذًا مخالفًا للأحاديث الصحيحة. وقال الطحاوي: هو منسوخ وحكى الإجماع على ترك العمل به وأكثر العلماء على أنه لا يعمل به.

وقد أخذ به آخرون؛ منهم الإمام الشافعي وأصحابه ونهوا عن ابتداء التطوع بالصيام بعد نصف شعبان لمن ليس له عادة، ووافقهم بعض المتأخرين من أصحابنا، ثم اختلفوا في علة النهي فمنهم من قال: خشية أن يزاد في صيام رمضان ما ليس منه، وهذا بعيد جدًا فيما بعد النصف، وإنما يحتمل هذا في التقدم بيوم أو يومين، ومنهم من قال: النهي للتقوي على شهر رمضان شفقة أن يضعفه ذلك عن صيام رمضان. وروي ذلك عن وكيع.

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٨١٥)، ومسلم (١٠٨٢).

ويرد هذا صيام النبي ﷺ شعبان كله أو أكثره، ووصله برمضان؛ هذا كله في الصيام بعد نصف شعبان، وأما صوم يوم النصف منه فليس منهي عنه، فإنه من جملة أيام البيض الغر المندوب إلى صيامها في كل شهر، وقد ورد الأمر بصيامه من شعبان بخصوصه انتهى.

والله الموفق للصواب المانح أسباب الثواب المنجي من وبيل العقاب وهذا فيه كفاية لأولي الألباب. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأصلحنا بإصلاحك وعد علينا بيُمنك (وبخِلعك)[1]، والطف بنا في تقديرك وأجْرِنا على ألطف تدبيرك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؛ برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) في (ق): «نجاحك».

المجلس الثاني عشر

لوداع شعبان المبارك

الحمد لله الجائد بالفضل الزائد والنعمة، والعائد على عباده بالغفران والرحمة، ومزيل طوارق البلايا والآفات الملمة، ومنيل أهل الآمال من العطايا الأماني المهمة، والمتفضل بخيرات كثيرة لا تحصى جمة، والمتطول بفضله على من قصده وأمَّه، ومعقب شهر شعبان -شهر النبي ﷺ- برمضان شهر الأمة، أحمده على التوفيق لذكره، وأشكره على الإلهام لشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، ولا ضد له في أمره.

وأشهد أن سيدنا محمدًا ﷺ عبده ورسوله؛ أرسله محذرًا من عذابه، مرغبًا في أجره، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم لنصره، وعلى أزواجه واتباعه ما اعتصم مصاب بصبره، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، واجعلنا ممن أحسن لك عملاً، وبلغ منك إذا أمّلك أملاً، واحفظنا أن نرتكب خطأً أو خطلاً، وسلمنا أن نكتسب الشك ونعاود زللاً، وانفعني بما أقول والحاضرين برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله هذا شهر شعبان قد عزم على أن ينتقل، وتأهب للارتحال حتى يرتحل؛ فمن منكم فيه قبل ما عَمِلَ، ومن الذي طُرد وخُذل، هل

شكرتم فيه نعمة، وراعيتم حقًا، وهل تركتم فيه شهوة ما يفنى [رغبة](١) فيما يبقى، وهل حذرتم فيه على النفوس أن تَخسر وتشقى، وهل أظمأتم شفاهكم لمياه الفردوس حتى تُسقى.

هيهات ليجدنَّ المفرط عبث تفريطه، وليقعنَّ العاصي في أثر تخبيطه، وليخجلن ذو المخالفة عند معاتبته، وليندمن صاحب الهوى في عاقبته؛ فالتفتوا رحمكم الله إلى ساعات شهركم الباقية أحسن التفات، واستدركوا منه بتقديم الاجتهاد ما فات، وتأهبوا للقاء أيام العتق والجبر، وتهيؤوا لإقبال شهر الصيام والصبر؛ فإنه قد أقبل عليكم شهر العتق والغفران، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران وتمتلئ المساجد فيه بتلاوة القرآن، ويتصفد فيه كل مارد شيطان؛ تزخرف الجنان فيه للقوام، وتزين الحور العين للصوام، ويتوفر فيه جزيل الإنعام، وتغفر فيه كبائر الآثام.

وروى ابن الجوزي بسنده عن عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا كثير بن يزيد، حدثنا عمر بن تميم، عن أبيه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«أتاكم شهركم هذا بمحلوف رسول الله ﷺ ما مرَّ بالمنافقين شهرٌ شرًا لهم منه؛ إنه ليكتب أجره ونوافله قبل أن يدخل ويكتب إصره وشقاؤه قبل أن يدخل، وذلك أن المؤمن يَعُد فيه القوة للعبادة من النفقة، ويَعُد المنافق فيه اتباع غفلة المسلمين واتباع**

---

(١) مثبت من (ق).

عوراتهم، وهو غنيمة للمؤمنين ونقمة للفاجرين»(١) .

وروى أيضًا بسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول: وقد هلّ رمضان «**لو يعلم العباد ما في رمضان؛ لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها**» فقال رجل من خزاعة: حدثنا به يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الجنة تزين لرمضان من رأس الحول؛ حتى إذا كان أول يوم من رمضان، هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق الجنة، فينظر الحور العين إلى ذلك فيقلن: يا ربنا اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجًا؛ تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا.**

قال: «فما من عبد يصوم رمضان إلا زُوج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله تعالى ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، **على كل امرأة سبعون حُلة ليس منها حلة على لون الأخرى، وتعطى سبعين لونًا من الطيب، ليس منها لون على ريح الآخر، لكل امرأة منهن سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر، على كل سرير سبعون فراشًا بطائنها من إستبرق، وفوق السبعين أريكة، لكل امرأة منهم سبعون ألف وصيفة لحاجتها، وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب، وفيها لون من طعام تجد لآخر لقمة لذة لا تجده لأوله، ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر هذا**

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٥٧)، وابن خزيمة (١٨٨٤). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. قال الأعظمي: إسناده ضعيف لحال تميم مولى أبو رمانة.

لكل يوم صامه من رمضان؛ سوى ما عمل من الحسنات»[١].

فرحم الله عبدًا تاب مما جنى في شعبان، وتأهب (بالتقى)[٢] للقاء شهر رمضان؛ قبل أن يعود الإطلاق أسرًا، والجبر كسرًا، والعقول سكرًا والعرف نكرًا؛ قبل (أن يأتيه)[٣] ما هو بذكره متهاون، ويدخل بيته ملك الموت ولا يستأذن؛ فينقله عن الأوطان والمساكن، ويخرجه عن القصور والمدائن؛ فيبقى رهين عمله حين يعاين. شعر:

اعلم بأنك لا أبالك بالذي
أصبحت تملكه لغيرك خازن
إن المنية لا تؤامر من أتت
في نفسه يومًا ولا تستأذن
ياساكن الدنيا أتعمر منزلاً
لم يبق فيه مع المنية ساكن
المرء يسكنها ويعلم أنه
عنها إلى وطن سواها ظاعن

---

(١) أخرجه أبو يعلي (٥٢٧٣)، وابن خزيمة (١٨٨٦) عن أبي مسعود الغفاري وفي رواية عنده عن رجل من غفار، وقال: إن صح الخبر فإن في القلب من جرير بن أيوب البجلي، وقال البيهقي في «الشُعب» (٣٦٣٤): جرير بن أيوب ضعيف. قال الهيثمي (٤٧٨١): فيه جرير بن أيوب وهو ضعيف. والحديث حكم بوضعه الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ٨٨) والأعظمي في تحقيقه لابن خزيمة (١٨٨٦).

(٢) في (ك): «باللقا».

(٣) في (ق): « إيتائه ».

والـمـوت شـيء أنـت تـعـلـم أنـه
حـقٌ وأنـت تـذكـره مـتـهـاون
ولـقـد رأيـت مـعـاشـر وعـهـدتـهـم
فـمـضـوا وأنـت مـعـايـن مـا عـايـنـوا
ورأيـت سـكـان الـقـبـور ومـا لـهـم
بعد القصور سوى القبور مساكن
جمعوا فما انتفعوا بذاك وأصبحوا
وهـم بـمـا اكـتـسـبـوا هـنـاك رهـائـن

وقد تقدم الكلام على أن النهي عن الصيام بعد النصف من شعبان؛ إنما هو لمن ليس له عادة وإلا فلا يمنع من هذه الطاعة والعبادة كيف وقد ثبت في «الصحيحين»[(١)] عن سيد الثقلين محمد ﷺ من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لرجل: «**هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا؟**» قال: لا، قال: «**فإذا أفطرت فصم يومين**». وفي رواية البخاري أظنه يعني رمضان، وفي رواية مسلم: «**من سرار شعبان شيئًا**».

وقد اختلف في تفسير السرر، والمشهور أنه آخر الشهر. يقال: سرار الشهر بكسر السين وفتحها ذكره ابن السكيت وغيره. وقيل: إن الفتح أفصح قاله الفراء وسُمي آخر الشهر سرارًا؛ لاستسرار القمر فيه. وممن فسر السرار آخر الشهر؛ أبو عبيدة وغيره من الأئمة، وكذلك بوب عليه البخاري صيام آخر الشهر.

---

(١) البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (١١٦١).

قال شيخنا في «لطائفه»: وأشكل هذا على كثير من العلماء لما في «الصحيحين»[(١)] أيضًا عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين إلا من كان يصوم يومًا فليصمه**»، فقال كثير من العلماء كأبي عبيدة ومن تابعه كالخطابي وأكثر شراح الحديث: أن هذا الرجل الذي سأل النبي ﷺ كان يعلم له عادة بصيامه أو كان قد نذره؛ فلذلك أمره بقضائه.

وقالت طائفة: حديث عمران يدل على أنه يجوز صيام يوم الشك وآخر شعبان مطلقًا؛ سواء وافق عادة أو لم يوافق، وإنما يُنهى عنه إذا صامه بنية (رمضان)[(٢)] احتياطًا، وهذا مذهب الإمام مالك، وذكر أنه القول الذي أدرك عليه أهل العلم حتى قال محمد بن مسلمة من أصحابه: يكره الأمر بفطره لئلا يعتقد وجوب الفطر قبل الشهر كما وجب بعده؛ كما قال أبو حنيفة ومالك؛ بكراهة صوم ستة أيام من شوال بعد رمضان على ما سيأتي.

وحكى ابن عبد البر هذا القول عن أكثر العلماء بالأمصار، وقيل: سرار الشهر أوله، وفرّق الأزهري بين سرار الشهر وسِره فقال: سراره وسرره آخره، وسره أوسطه، وهي أيام البيض، وسر كل شيء جوفه انتهى.

قال القاضي الخطيب نور الدين خطيب الدهشة في «التقريب»: وقوله أصمت من سُرة هذا الشهر؛ فسره بعضهم بوسطه يريد أيام البيض

---

(١) البخاري (١٨١٥)، ومسلم (١٠٨٢).

(٢) في (ق): «الرمضانية».

مستدلاً به والمعروف آخره انتهى.

قال شيخنا في «لطائفه» قلت: لا يصح أن يفسر سرر الشهر وسراره بأوله؛ لأن أول الشهر يشتهر فيه الهلال، ويرى من أول الليل، ولذلك سمي الشهر شهرًا لاشتهاره وظهوره، وفي الجملة فحديث أبي هريرة هو المعمول به في هذا الباب عند كثير من العلماء، وأنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له عادة ولا سبق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلاً بآخره، ولكراهة التقدم ثلاثة معان:

أحدها: أنها ليس على وجه الاحتياط لرمضان فينهى عن التقدم قبله؛ لئلا يزاد في صيام رمضان ما ليس منه كما نهى عن صيام يوم العيد لهذا المعنى؛ حذرًا مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم.

وخرج الطبراني(١) وغيره عن عائشة قالت: إن ناسًا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١]، ولهذا نهى عن صيام يوم الشك.

قال عمار: من صامه فقد عصى أبا القاسم ﷺ(٢)، ويوم الشك هو

---

(١) الطبراني في «الأوسط» (٢٧١٣) وقال الهيثمي (٤٨٢٧): فيه حبال بن رفيدة؛ مجهول.

(٢) رواه الترمذي (٦٨٦) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٢١٨٨)، وابن خزيمة (١٩١٤)، وذكره البخاري تعليقا (٢/ ٦٧٣)، وصححه ابن حبان (٣٥٨٥)، والحاكم (١٥٤٢)

اليوم الذي يشك فيه هل هو من رمضان أو غيره؛ فكان من المتقدمين من يصومه احتياطًا، ورخص فيه بعض الحنفية للعلماء في أنفسهم خاصة دون العامة؛ لئلا يعتقدوا وجوبه بناء على أصلهم في أن صوم رمضان يجزئ بنية الصيام المطلق والنفل.

ويوم الشك: هو الذي يتحدث فيه برؤية من لم يقبل قوله؛ فأما يوم الغيم فمن العلماء من جعله يوم شك، ونهى عن صيامه، وهو قول الأكثرين، ومنهم من صامه احتياطًا وهو قول ابن عمر، وكان الإمام أحمد يتابعه على ذلك وعنه في صيامه ثلاث روايات مشهورات ثالثها: لا يصام إلا مع الإمام وجماعة المسلمين.

والمعنى الثاني: الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي ﷺ أن تواصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام[(١)] وخصوصًا سنة الفجر قبلها؛ فإنه يشرع الفصل بينها وبين الفريضة، ولهذا يشرع صلاتها في البيت والاضطجاع بعدها. وفي «المسند»[(٢)] أنه ﷺ قال: «**افصلوا بينها وبين المكتوبة، ولا تجعلوها كصلاة الظهر**».

وفي «سنن أبي داود» أن رجلاً صلى مع النبي ﷺ فلما سلم قام يشفع فوثب إليه عمر؛ فأخذ بمنكبه فنهره ثم قال: اجلس فإنه لم يُهلك أهل

---

(١) ودليل ذلك ما رواه مسلم (٨٨٣).

(٢) من حديث عبد الله بن مالك بن بحينة رواه أحمد (٢٢٩٧٧) وصححه الحاكم (٥٨١٩). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

الكتاب إلا أنهم لم يكن لصلاتهم فصل؛ فرفع النبي ﷺ بصره فقال: «**أصاب الله بك يا ابن الخطاب**»(١) .

والمعنى الثالث: أنه أمر بذلك للتقوي على صيام رمضان؛ فإن مواصلة الصيام قد تضعف عن صيام الفرض فإذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين كان أقرب إلى التقوي على صيام رمضان. وفي الحديث المرفوع: «**الطاعم الشاكر كالصائم الصابر**»(٢) انتهى.

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي في «إيضاح البيان إذا غم هلال شهر رمضان»: وقد اختلفت الرواية عن أحمد إذا حال دون مطلع الهلال غيم أو قتر في ليلة الثلاثين من شعبان، فروى الأثرم والمروزي ومهنا وصالح والفضل بن زياد وغيرهم عنه؛ وجوب صيامه من رمضان، وهو قول عمر وعلي وعمرو بن العاص، وأنس بن مالك ومعاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، وهو قول سبعة من التابعين بكر بن عبد الله وابن أبي مريم وأبي عثمان ومُطرف وميمون وطاوس ومجاهد.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٠٧) والحاكم (٩٩٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وتعقبه الذهبي في «التلخيص» فقال: المنهال- هو ابن خليفة - ضعفه ابن معين، وأشعث -هو ابن شعبة- فيه لين، والحديث منكر.

(٢) أخرجه أحمد (٧٧٩٣)، وأبو يعلي (٦٥٨٢)، والترمذي (٢٤٨٦)، وابن ماجة (١٧٦٤)، وابن خزيمة (١٨٩٨). قال الترمذي: حسن غريب. قال الأعظمي: إسناده صحيح.

وروى [حنبل][(١)] عن أحمد لفظين؛ **أحدهما**: لا يجب صيامه، فقال: سمعت أبا عبد الله يقول إذا حال دون منظر الهلال حائل أصبح الناس مُتلومين حتى يعلموا ما يكون بعد، وإذا لم يحل دون مطلعه شيء؛ أصبح الناس مفطرين فإن جاءهم خبر كان عليهم يوم مكانه ولا كفارة وهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي.

واللفظ الثاني لحنبل: يفعلون ما يفعل إمامهم وهو قول الحسن وابن سيرين. وجه الرواية الأولى وأنه يجب صيامه، وعليها عول شيوخنا أبو القاسم الخرقي وأبو بكر الخلال، وعبد العزيز وغيرهم؛ لما روى أحمد في «المسند» عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الشهر تسع وعشرون؛ فلا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه؛ فإن غم عليكم فاقدروا له**» قال نافع: فكان عبد الله بن عمر إذا مضى من شعبان تسعة وعشرون يومًا يبعث من ينظر؛ فإن رأى فذاك، وإن لم يَر ولم يحل دون منظره سحاب ولا قتر؛ أصبح مفطرًا، وإن حال دون منظره سحاب أو قتر أصبح صائمًا، وقد روى هذا الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج في «الصحيحين»[(٢)] وذكر أدلة غير هذه مطولة مختصر من كلامه.

وقال العلامة ابن القيم في «الهدي»[(٣)] قالت عائشة زوج النبي ﷺ:

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) أحمد (٤٤٨٨)، والبخاري (١٨٠٨)، ومسلم (١٠٨٠).

(٣) «زاد المعاد» (٢/ ٣٦).

لأن أصوم يومًا من شعبان؛ أحب إليَّ من أن أفطر يومًا من رمضان. وكذلك يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومثله عن معاوية بن أبي سفيان، وقال أبو هريرة: لأن أتعجل في صوم رمضان بيوم؛ أحب إليَّ أن أتأخر لأني إذا تعجلت لم يفتني، وإذا تأخرت فاتني. مختصر من كلامه.

فائدة: في «صحيح البخاري» قال: حدثنا آدم، ثنا شعبة، ثنا محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ أو قال أبو القاسم ﷺ: **«صوموا لرؤيته؛ فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»**[(١)] .

قال العلامة موفق الدين ابن قدامة في كتاب «المغني»[(٢)] فأما خبر أبي هريرة؛ فأكملوا عدة شعبان ثلاثين فإنه يرويه محمد بن زياد، وقد خالفه سعيد بن المسيب فرواه عن أبي هريرة: فإن غُم عليكم فصوموا ثلاثين، وروايته أولى بالتقديم لإمامته، وعدالته، وموافقته لرأيه، يعني لرأي أبي هريرة فإنه قد تقدمت الرواية عنه أنه قال: لأن أتعجل في صوم رمضان بيوم أحب إليَّ أن أتأخر؛ لأني إذا تعجلت لم يفتني، وإذا تأخرت فاتني وقد سبق ذكره في «الهدي» للعلامة ابن القيم.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كانت تلك الليلة معتمة يصوم ويقول: ليس هذا بالتقدم ولكنه بالتحري. والتحري والاحتياط للعبادة مندوب إليه

---

(١) البخاري (١٨١٠).

(٢) المغني (٣/ ١٣).

سيما لمثل شهر رمضان فمن أفطره فقد أخذ بالجواز، ومن صامه أخذ بالاحتياط، وأصح من روى عنه صومه عبد الله بن عمر.

قال ابن عبد البر(١) وإلى قوله ذهب طاوس اليماني وأحمد بن حنبل، وعن عمرو بن العاص أنه كان يصوم اليوم الذي يشك فيه أنه من رمضان هذا مع علمهم بقول عمار من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ؛ لأن صوم يوم الغيم احتياطًا على أنه إن كان من رمضان فهو فريضة، وإلا فتطوع، منقول عن الصحابة جواز صومه وهو الذي كان يفعله من ذكر منهم، وحمل بعضهم النهي عن صوم يوم الشك على ما إذا شهد برؤيته من لا تقبل شهادته وشك في عدالته؛ لما ظهر من سوء حاله، فلا يصام ذلك اليوم بقوله وأدلة هذه المسألة متجاذبة مطولة في مواضعها لمن تأملها والاحتياط في العبادة مندوب إليه والله الموفق للصواب(٢).

---

(١) «الإستذكار» (٣/ ٢٧٧).

(٢) توجد في (ق): حاشية نصها: «وفي مسند الدارمي و«صحيح ابن حبان» أن النبي ﷺ كان يقول عند رؤية الهلال: «**الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله**»وفي أبي داود كان يقول: «**هلال بر ورشد، هلال بر ورشد أمنت بمن خلقك أمنت بمن خلقك، أمنت بمن خلقك**»ويسن أن يقرأ بعد ذلك سورة تبارك لا بد فيه ولأنها الشافية الوافية، قال: ... وذلك لأنها ثلاثون آية على عدد أيام الشهر ... وكان النبي ﷺ يقرأها عند النوم كما في تحفة الإخوان وشرح القرطبي في ... وغيره أن خمسة ... في قبورهم: الشهيد وهو كل من قتل مظلومًا، والمرابط في سبيل الله تعالى ولو يومًا وليلة، والمبطون، والميت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، والذي يقرأ تبارك قبل أن ينام. انتهى من شرح البخاري لابن حسن».

قال شيخنا في «لطائفه»: وكان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، وقد خرجه الإمام أحمد والنسائي[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يبشر أصحابه يقول: **«قد جاءكم شهر رمضان؛ شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب (جهنم)[(٢)]، وتغل فيه الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر؛ من حرم خيرها فقد حرم»** .

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضًا بشهر رمضان. وكيف لا يُبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان، وغلق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقت يُغل فيه الشيطان، من أين يُشبه هذا الزمان زمان، وفي حديث آخر: **«أتاكم سيد الشهور رمضان فمرحبًا به وأهلاً»**[(٣)] شعر:

جاء شهر الصيام بالبركات
وبحسّن القيام في الطاعات
جاءنا زائرًا فأهلا وسهلاً
بحبيب دنا لجمع الشتات

---

(١) أحمد (٨٩٧٩)، والنسائي (٢١٠٦). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا سند رجاله ثقات. قال المنذري (١٤٨٩): رواه النسائي والبيهقي كلاهما عن أبي قلابة عن أبي هريرة، ولم يسمع منه فيما أعلم.

(٢) في (ق): «الجحيم».

(٣) رواه أبي طاهر السلفي في جزء من انتخابه (١٩) من طريق نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس، ونهشل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس. وبنحوه رواه البيهقي في «الشُعب» (٣٦٣٧) وقال: في إسناده ضعف.

ضمّنا باعتكافنا فاجتمعنا
لانتظار الصلاة بعد الصلاة
أشرقت فيه نيرانُ المصابيح
فأمست كالأنجم الزاهرات

وروي عن النبي ﷺ أنه كان يدعوا ببلوغ رمضان إذا دخل شهر رجب وشعبان، كان يقول: «**اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان**» خرجه الطبراني وغيره من حديث أنس(١).

وهذا عكس حال الجاهلين الذين يجعلون دخول شهر رمضان عليهم؛ سجنًا ومانعًا شهواتهم الدنيئة وحظوظهم الدنيوية، ويعدون الفطر قبل شهر رمضان غنيمة، ويقولون هي أيام توديع الأكل فيُعطون أنفسهم حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام.

وذكر بعضهم أن أصل ذلك مُتلقي من النصارى؛ فإنهم يفعلونه عند قرب صيامهم، وهذا كله خطأ وجهل ممن ظنه، وربما لم يقتصر كثير منهم على الشهوات المباحة بل يتعدى إلى المحرمات، وهذا هو الخسران المبين وأنشد بعض المنهمكين على الفسق في ذلك شعرًا:

إذا العشرون من شعبانَ ولت
فواصل شُرب ليلكَ بالنهار

---

(١) البزار كما في «كشف الأستار» (٦١٦)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٣٩) والبيهقي في «الشُعب» (٣٨١٥) وقال: تفرد يه زياد النميري وعنه زائدة بن أبي الرقاد قال البخاري: زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري؛ منكر الحديث. وقال الهيثمي (٣٠٠٦): فيه زائدة بن أبي الرقاد قال البخاري: منكر الحديث، وجهله جماعة.

ولا تشرب بأقداحٍ صغارٍ
فإنّ الوقت ضاق عن الصغار

وهذا هو الخسران المبين إن لم يتدارك نفسه بالتوبة لرب العالمين، وقال بعض الخاسرين المفرطين في أمر الدين.

جاء شعبان منذرًا بالصيام
فاسقياني راحًا بماء الغمام

وسمعت بعض الفسقة المتهتكين يقول لبعض الغواة الجاهلين ما قال ربك: ويل للذين سكروا بل قال ربك: ويل للمصلين، ومن كان هذا حاله وقاله؛ فالبهائم أعقل منه وله نصيب من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وثبت في «صحيح مسلم»(١) في وصف أهل النار أنهم خمسة وذلك من رواية عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«وأهل النار خمسة؛ الضعيف الذي لا زبر له، والخائن الذي لا يَخفى له طمع، وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يُخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش(٢) »** والمراد بقوله ﷺ الذي لا زبر له، أي: لا عقل له، ومن لا عقل له لم ينفك عن

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) هو السيئ الخلق. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٢٣٣)

المفاسد وحسبك ذلك خسارة.

وروي عن موسى عليه السلام أنه قال للحق سبحانه وتعالى في مناجاته: يا رب خلقت خلقًا تدخلهم النار، فقال الله تعالى له: يا موسى ازرع زرعًا فزرعه ثم أمره بجمعه ففعل، فقال: يا موسى هل تركت من زرعك شيئًا؟ قال: لا يا رب إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك لا أدخل النار من عبادي إلا من لا خير فيه، أو كما قال[1]، فيُخشى على هؤلاء المساكين المتهتكين من عذاب النار يوم القيامة إن أُخذوا على غِرة، وماتوا عن غير توبة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وربما تكره كثير من الجهال بصوم رمضان، ويُعده مرضًا على نفسه فيقول: هذا مرض العام الأول، يعني: السنة الماضية، استهانةً بحقه وتعظيمه، وبالاعتراف بحرمته، حتى أن بعض الشعراء الجاهلين كان يسبه وكان للرشيد ابن سفية فقال مرة: شعرًا:

دعاني شهرُ الصومِ لا كان من شهرٍ
ولا صمت شهرًا بعده آخر الدهر
فلو كان يعذبني الإمام بقدرةٍ
على الشهر (لاستعذبت)[2] جهدي على الشهر

فعاقبه الله تعالى فأخذه داء الصرع؛ فكان يصرع في كل يوم مرات

---

(١) ابن المبارك في «الزهد» عن عمار موقوفا عليه (٣٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» في موضعين؛ الأول عن عبد الله بن أبي الهذيل (٤/ ٣٦٠)، والثاني عن عمار موقوفا عليه (٥/ ٩٤).

(٢) في (ك): «لاستعديت».

متعددة ومات قبل أن يدركه رمضان آخر، وهكذا يخاف على هؤلاء الجاهلين أن ينزل بهم مثل ما نزل به؛ فليعتبر بذلك من له عقل وفهم، وبعض هؤلاء الجهال تراه لا يصلي إلا في رمضان، ويطول عليه أيامه حتى يضرب الأمثال، فيقول: إذا بلغ الشهر ثالث عشر وقع في العطش، وإذا بلغ العشرين وقع في الأنين، وكل هذا تماجنٌ وتهجنٌ وسخرية واستخفاف بحرمة هذا الشهر الشريف، وهذا فيه ردع وتخويف لمن يترخص بهذه الأقوال الشنيعة والجهالة البشيعة فليحذر المخالفون عن أمره.

وقد ذكر ابن الجوزي في «عيون الحكايات» عن مالك بن دينار عن محمد بن هارون البلخي أنه كان مصرًا على شرب الخمر؛ فجاء في آخر يوم من شعبان وهو سكران؛ فعاتبته أمه في ذلك وهي تسجر تنورًا فحملها فألقها في التنور فاحترقت، ثم تاب بعد ذلك وتعبد وأوقف ضياعه، وأقام أربعين سنة يصوم النهار ويقوم الليل، ويحج كل عام إلى بيت الله الحرام، وتصدق بثمانية آلاف دينار، وأعتق ستًا وعشرين جارية وثلاثة وعشرين عبدًا.

ويُري له في المنام كل عام إن الله قد غفر للحجاج كلهم إلا محمد بن هارون البلخي ثم إن الله تعالى تاب عليه بعد ذلك ورحمه(١). وورد أن الله تعالى يدخله النار يوم القيامة ثلاثة أيام، ثم تستوهبه أمه فيهبه لها فتأخذ بيده فيدخلان الجنة برحمة الله تعالى.

---

(١) ابن الجوزي في «البر والصلة» (١/ ١١٤).

فكل من أراد الله تعالى به خيرًا؛ حبّب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فالحذر الحذر من المعاصي، فكم سلبتْ من نِعم وكم جلبت من نِقم، وكم خربت من ديار، وأخلتها من أهلها، فما بقي منهم ديار، كم أخذت من العصاة بالنار، كم محت لهم من آثار، وبقي عليهم الإثم والعار، ولهم العذاب الشديد في النار. شعر:

يا صاحب الذنب لا تأمن عواقبه
عواقب الذنب تُخشى وهي تُنتظرُ
فكل نفسٍ ستُجزى بالذي كسبت
وليس للخلق من دنياهم وزرُ

فللَّه در أقوام كان دهرهم كله رمضان، ونهارهم صيام.

كما رُوي أن قومًا من السلف باعوا جارية؛ فلما قَرُب رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها فسألتهم، فقالوا: نتهيأ لصيام رمضان، فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان، لقد كنت عند قوم كان زمانهم رمضان ردوني عليهم. ورُوي أن الحسن بن صالح باع جارية له؛ فلما انتصف الليل قامت فنادتهم؛ يا أهل الدار الصلاة الصلاة، قالوا: أطلع الفجر؟ قالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة، ثم جاءت إلى الحسن فقالت: بعتني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة؛ ردّني ردّني. قال بعض السلف: صُم الدنيا واجعل فطرك الموت.

من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد مماته. ومن تعجل ما حُرم عليه قبل وفاته، عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته. أنت في دار شتات

فتأهب لشتائك، واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك، وليكن فطرك عند الله في يوم وفاتك.

وفي حديث مرفوع خرَّجه ابن أبي الدنيا: **«لو يعلم العباد ما في رمضان؛ لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها»**. كما روى ابن الجوزي. وقد تقدم[1]. فصيامه نعمة عظيمة على من قدره الله عليه، ويدل عليه حكاية الذين استشهد منهم اثنان ثم مات الثالث على فراشه بعد أن صام رمضان بعدهما فرؤى في النوم سابقًا لهما فقال النبي ﷺ: **«أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه؛ فوالذي نفسي بيده إن بينه وبينهما؛ لأبعد ما بين السماء والأرض»** خرجه الإمام أحمد وغيره[2] فمن رُحم في شهر رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود لميعاده فهو ملوم. شعر

أتى رمضان مزرعة العبادِ
لتطمئن القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولاً وفعلاً
وزادك فاتخذهُ إلى المعاد
أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زادٌ وأنت بغير زاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها
تأوه نادمًا يوم الحصاد

---

(١) تقدم تخريجه في صـ ٣٣٣ .

(٢) سيأتي تخريجه قريبا.

يا من طالت غيبته عنا قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت حسراته قد أقبلت التجارة الرابحة، من لم يربح في هذا الشهر ففي أي وقت يربح؟، من لم يقترب من مولاه فيه فهو على بُعده لا يبرح. شعر:

إذا رمضان أتى مقبلاً
فأقبِل فالخير تُستقبلُ
لعلك تحظى به قابلاً
وتأتي بخير وقد يُقبلُ

كم من أمَّل أن يصوم هذا الشهر فما صامه، وخانه أمله، وصار إلى ظلمة القبر، كم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمله، ومؤمل غدًا لا يدركه، إنكم لو أبصرتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره. شعر:

يا ذا الذي ما كفاهُ الذنب في رجب
حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أضلك شهر الصوم بعدهما
فلا تُصيره أيضًا شهر عصيان[1]
واتل القرآن وسبح فيه مجتهدًا
فإنه شهر تسبيح وقرآن
واحمل على جسد ترجو النجاة له
فسوف تُضرم أجساد بنيران

(١) في (ك): من كلمة عصيان وباقي نهايات الأبيات التي بعده بالياء ما عدا البيت الأخير.

كم كنت تعرف ممن مات في سلف
ما بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم
حيًا فما أقرب القاصي من الدان
ومعجب بثياب العيد يقطعها
فأصبحت في غدٍ أثوابَ أكفان
حتى متى يعمر الإنسانُ مسكنه
مصيرُ مسكنه إرثًا لإنسان

فانظر بين يديك قبل أن يعمى الناظر، وتفكر فيما خلقت له بقلب حاضر، وتحقق أنك إلى البلاء عن قريب صائر، فالحي للممات، والجمع للشتات، والأمر والله ظاهر.

اعلموا أن شهر شعبان قد انقضى عنكم أكثره، ودنا رحيله ومتأخره، شاهدًا للمحسنين بما قدموا من عمل صالح، وما حصلوا فيه من متجرٍ رابح، وشهيد على المفرطين بأوزارهم، وما حمّلوا على أَنفسهم من ثُقل (أوزارهم)[١]، وقد أظلكم الموسم الذي هو أعظم منه غنيمة وسعادة، وأوفر منه في ادخار الحسنى وطلب الزيادة، فأعدوا لقدومه عُدة، واسألوا الله فيه التوفيق إلى أن تكملوا العِدة، فالحذر الحذر من التفريط والإهمال والتكاسل فيه عن صالح الأعمال.

فهمةُ الصالحين فيه الصيامُ والقيامْ، والكف عن فضول الكلام،

---

(١) في (ق): « آصارهم ».

والسلامة عن جميع الآثام، والاشتغال بذكر الله الملك العلام، ولذة الغافلين فيه التلذذ بأنواع الطعام وتقطيع أوقاته بالغفلة والمنام، ويستبين يوم الفصل الأوضح، أي الفريقين أسلم وأربح. شعر:

دع جفن عينك بالمدامع يغرق
وكذا الفؤاد من الأسى يتحرقُ
وأطل نحيبك يا أخي فقد أتى
شهر الصيام وقُفل قلبك مُغلقُ
ماذا الذي للقائه أعددتهُ
أين التحرقُ والله‍يبُ المقلقُ
شهر الصيام أتى سريعًا يا فتى
وعليه من حلل المهابة رونَقُ
قل يا إلهي قد أتيتك تائبًا
من زلتي فعسى بفضلك أُعتقُ
يا من إذا وقف العصاة ببابه
رجعوا وكل بالتَجاوز مغدَقُ

فالسعيد من اغتنم موسم العمر قبل ذهابه، وحاسب نفسه على أعماله اليوم قبل قراءة كتابه، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه وذلك أولى به. شعر:

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر
ولا بد من زادٍ لكل مسافر
ولا بد للإنسان من حمل عُدة
ولا سيما إن خفت صولة قاهر

وورده طرقًا ليس تُسلك دائمًا
وفيها عقاب بعد صُعب القناطر

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأعطنا ما لا يبلغه الأمل، وامنحنا حسن الأدب وتجويد العمل، وأمنّا يوم المخاوف من آفات الوجل، وقوِّم منا العقائد دائمًا للأجل، اللهم واختم شهرنا هذا بغفرانك العظيم، وأهل علينا صيامه بالإسعاد والتكريم، وارزقنا حسن الإقبال عليك إنك أنت الجواد الكريم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

المجلس الثالث عشر

لافتتاح شهر رمضان

الحمد لله اللطيف الرؤوف العظيم المنان، الكبير القديم القدير الديّان، الغني العلي القوي السلطان، الحكيم الكريم الرحيم الرحمان، الأول فلا سابق لسبقه، المنعم فما قام مخلوق بحقه، الموالي بفضله على سائر خلقه؛ بشرائف المنح على توالي الزمان، جل عن شريك وولد، وعزّ عن الاحتياج إلى أحد، وتقدس عن نظير وانفرد، علم ما يكون وأوجد ما كان، أوجد المخلوقات بحكمته وصنعها، وفرق الأشياء بقدرته وجمعها، ودحى الأرض على الماء ووضعها، والسماء رفعها ووضع الميزان.

سالت الجوامد لهيبته ولانت، وذلت الصعاب لسطوته وهانت، وانشقت السماء فكانت وردة كالدهان، يعز ويذل، ويفقر ويغني، ويسعد ويشقى، ويفني ويبقى، ويُشين ويُزين وينقض ويبني، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قدَّر الأمور فلا راد لحكمه، وعلم سر العبد وباطن عزمه، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾، ولا تنقل قدم من مكان إلى مكان، مد الأرض فأوسعها بقدرته، وأجرى فيها أنهارًا بصنعته، وصبغ ألوان نباتها بحكمته، فهل يقدر أحد على صبغ تلك الألوان، ثبتها بالجبال الراسيات في نواحيها، وأرسل السحاب بماء ليحييها، وقضى بالفناء على جميع ساكنيها، فـ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

من خدمه طامعًا في فضله نال، ومن لجأ إليه في رفع كربه زال، ومن عامله وجده وقد قال: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، إله يثيب عباده ويعاقب، ويهب الفضائل ويمنح المواهب، فالفوز للمتقي والعز للمراقب ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، أنعم على هذه الخليقة بتمام إحسانه، وعاد عليهم بفضله الوافر وامتنانه، وجعل شهرنا هذا مخصوصًا بعميم غفرانه، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أحمده على ما خصنا به في هذا الشهر من الصيام والقيام، وأشكره على تمام الفضل وسُبوغ الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا تُحيط به العقول ولا تدركه الأوهام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المخصوص بشريعة الإسلام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الكرام، وسلم تسليمًا كثيرًا على الدوام.

اللهم صل على سيدنا محمد، وأهِل علينا شهر رمضان بالسلامة والإسلام والأمن والإيمان، واعمر فيه بطاعاتنا الأوقات والأزمان، واغفر لنا فيه كل قبيح سلف وكان، واعتقنا من لفحات الجحيم وعذاب النيران وأعنا على الطاعات، يا من إذا استعين أعان، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله إن شهر رمضان قد أقبل ببركاته إليكم، وأشرف بشرفه وفضله عليكم؛ فتأهبوا لتلقيه بالعزم الصادق على الخير، واجعلوا هممكم مصروفة إلى حراسته لا غير، فإنه شهر بالبركات الوافرة قد حُف،

وبالكرامات الظاهرة إليكم قد زُف، شهر تربح فيه بضائع العباد، وتغنم فيه غارات الزهاد، وتستقيم فيه صفوف الجهاد، ويحسن فيه [الجد](١) والاجتهاد، شهر فيه يعتق الأسير، ويجبر بالفضل الكسير، ويكف بالتقى كف التبذير وتحضر القلوب، وينفع التحذير، ويستقيم قدم العابد، ويقل التعثير، ويقوى الباعث إلى التوبة المبير.

وقد شهد له بالفضل الكتاب والسنة وأقوال علماء هذه الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

قال أصحاب اللسان: ﴿يا﴾ حرف نداء، وهو نداء من الحبيب للحبيب و﴿أَيُّهَا﴾: تنبيه من الحبيب للحبيب، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ شهادة من الحبيب للحبيب، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ إخبار عن وجوبه وفرضه.

وقال الحسن: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

---

(١) مثبت من (ق).

فارْغ لها سمعك؛ فإنه لأمرٌ تؤمر به أو لنهيٌ تنهى عنه.

وقال جعفر الصادق: لذة في النداء؛ أزال بها تعب العبادة والعناء، يشير إلى أن المحب يبادر إلى امتثال أمر محبوبه، ويحلوا له قصد مطلوبه، حتى لو أمره بإلقاء نفسه في النار لفعل، ولا يتلعثم بخوف ولا وجل.

وقال بعضهم: قوله يا: نداء من العالم، وأي اسم من المعلوم المنادي، وها: تنبيهٌ على نداء المنادي، الذين؛ إشارة إلى المعرفة السابقة والصحبة القديمة، آمنوا: إشارة إلى السر المعلوم بين المنادِي والمنادَى كأنه يقول: يا من هو لي بسره المخلص لي بقلبه، ولبه وضميره ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

ومن لطيف هذا الخطاب؛ ما أشار إليه بعضهم حيث قال: فيه عذران ونسخان، وأمران ونهيان، ورحمتان وكرامتان؛ فالعذران؛ **أحدهما** قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ففي أصل ذلك تأسي وامتثال للأمر المطاع.

والثاني: قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي تمضي سريعًا، ويبقى أجرها وثوابها جميعًا.

والنسخان؛ **أحدهما**: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ وذلك أنه [كان][1] كل من لم يصم أطعم ثم نُسخ ذلك بقوله:

---

(١) ما بين المعكوفين ليس في النسختين، والسياق يقتضيه.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾؛ فأمروا بالصيام خلا أصحاب الأعذار، والثاني: الجماع كان محرمًا في ليالي رمضان شهر صيامكم، ثم أبيح؛ بسبب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدليل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والأمران؛ **أحدهما**: قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ ومعناه للأمر، أي أكملوا العدة، والثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وأما النهيان؛ فعن الأكل والشرب والجماع بالنهار.

وأما الرحمتان؛ **إحداها**: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فرخص له في الإفطار.

والثانية: أنه رخص له في القضاء إن شاء متتابعًا أو متفرقًا حيث قال: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ولم يأمره بالتتابع؛ لئلا يشق عليه ذلك.

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه سئل عن قضاء رمضان، فقال: «**إن شاء فرقه وإن شاء تابعه**» رواه الدارقطني(١) وصححه ابن الجوزي، وفي

---

(١) الدراقطني (٢/ ١٩٣). والحديث ضعفه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٩٤٣) وقال: فيه سفيان بن بشر: لم أجد له ترجمة. وأشار إلي ضعفه ابن حجر في «التخليص الحبير» (٩١٩) فقال: رواه الدارقطني من حديث ابن عمر، وفي إسناده سفيان بن بشر وتفرد بوصله ثم قال: قال -أي الدراقطني-: ورواه عطاء عن عبيد بن عمير مرسلا. قلت -أي ابن حجر-: وإسناده ضعيف أيضا، وأشار إلي ضعفه البيهقي فقال في «السنن الكبري» (٤/ ٢٥٩) وقد روي من وجه آخر ضعيف عن بن عمر مرفوعا، وقد روي في مقابلته عن أبي هريرة في النهي عن القطع مرفوعا، وكيف يكون ذلك صحيحا؟ ومذهب أبي هريرة جواز التفريق، ومذهب ابن عمر المتابعة.

الدارقطني عن أبي هريرة مرفوعًا «**من كان عليه صوم يوم من رمضان؛ فليسرده ولا يقطعه**»، قال الدارقطني: لا يصح، ورواية عبد الرحمن ابن إبراهيم الكرماني ضعيف قاله الشيخ سراج الدين بن الملقن في «البدر المنير».

وأما الكرامتان؛ **إحداها**: حيث أكرمنا بشهر رمضان وفضائله.

الثانية: بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وهما كرامتان لهذه الأمة.

فائدة لطيفة: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كأنه ﷻ قال: يا أيها الذين آمنوا بوحدانيتي لا تقنطوا من رحمتي.

وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الأنبياء ﵈ والأمم؛ أولهم آدم ﵇ قاله قتادة، وكان صيام آدم ﵇ للأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وصام نوح وموسى ﵉ يوم عاشوراء، وكان داود ﵇ يصوم يومًا ويفطر يومًا، وكان عيسى ﵇ يصوم النهار ويقوم الليل قاله سبط ابن الجوزي وغيره.

والثاني: قوله ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ هم النصارى قاله الحسن وغيره.

والثالث: أنهم أهل الكتاب، وهو قول مجاهد؛ فعلى هذا فالتشبيه

في حكم الصوم وصفته لا في عدده؛ لأن اليهود والنصارى يصومون من العتمة [إلى العتمة][١]، ولا يأكلون بعد النوم، وكان الحكم كذلك في أول الإسلام حتى نسخ بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ قاله الربيع بن أنس.

وقيل: أن التشبيه في عدد الصوم، وذلك أن الله تعالى فرض على النصارى صيام شهر رمضان فاشتد عليهم؛ لأنه ربما كان يأتي في الحر الشديد أو البرد الشديد، وكان يضر بهم في أسفارهم ومعايشهم؛ فاجتمع رأي علمائهم أن يجعلوا صيامهم في فصل الربيع، وزادوه عشرة أيام كفارة لما صنعوا، فصار أربعين يومًا ثم إن ملكًا منهم قال: أتموه خمسين يومًا فجعلوه كذلك، قاله الحسن والشعبي وجماعة من العلماء.

وقيل: المشبه بهم في ذلك اليهود؛ كان عليهم صيام ثلاثة أيام، وهي الأيام البيض ويوم عاشوراء، قال المعافى في «تفسيره»: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة؛ فرض الله عليه وعلى المؤمنين صوم عاشوراء والأيام البيض من كل شهر، فكانوا على ذلك سبعة عشر شهرًا إلى أن نسخ بصوم شهر رمضان، وذلك في شعبان في السنة الثانية من الهجرة.

وقيل: لليلتين خلتا من شهر رمضان، وفي هذا الشهر فرض استقبال (القبلة)[٢]، وقال بعضهم: فرض في السنة الثانية من الهجرة، وكذا

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ق): «الكعبة».

ذكره ابن القيم في «الهدي»[١]، وقال: صام ﷺ تسع رمضانات -يعني حتى قبض ﷺ- وسيأتي هذا في هديه ﷺ بعد.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قيل: للأكل والشرب والجماع في وقت وجوب الصوم قاله السدي وأبو جعفر الطبري، وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي والمخالفات لأمر الله تعالى، ولهذا قيل: الصيام وصلة إلى التقوى؛ لأنه يكف الإنسان عن كثير من المعاصي، هو معنى قول الزجاج.

وقوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ وورد فيه تنبيه، وهو أنه روي أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة التي نهي عنها بقي في جوفه مقدار ثلاثين يومًا بلياليهن؛ فلما تاب الله عليه أمره بصيام ثلاثين يومًا بلياليهن، وافترض الله على النبي ﷺ وعلى أمته الصوم بالنهار دون الليل، فما نأكل بالليل فهو فضل من الله تعالى علينا. ذكره المعافى في «تفسيره» مرفوعًا[٢] والله أعلم بذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا﴾؛ بيان أن الله لم يوجب صيام الدهر بل صوم أيام يسيرة قليلة كما قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ قال مقاتل: كل شيء في القرآن معدودات أو معدودة فهو دون الأربعين، وما زاد على

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٢٧).

(٢) لم أقف على «تفسيره» مطبوعا، والحديث أخرجه الخطيب (١٣/ ٣٥) عن أنس في ترجمة موسى بن نصر أبو عمران الثقفي وقال: سكن سمرقند وحدث بها وببخارى بأحاديث منكرة، وكان غير ثقة.

ذلك لا يقال معدودة، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فعليه إذا أفطر عدة من أيام أخر؛ يعني به القضاء.

وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ والطعام هنا بمعنى الإطعام خيَّرهم بين الصيام والإطعام، وكان ذلك في أول الإسلام كان من شاء صام، ومن شاء أفطر، وأطعم مسكينًا، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ووجب على القادرين المخاطبين، وهذا مروي عن معاذ بن جبل وأنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع وابن عمر وغيرهم، وقد تقدم الإشارة إلى ذلك.

وقال آخرون: هذا في الشيخ الكبير(١) والعجوز الكبيرة يطيقان الصوم ولكن يشق عليهما؛ رخص الله لهما الفطر مع القدرة ويطعمان لكل يوم مسكينًا مدًا من الطعام، والمد: ربع الصاع، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وثبتت الرخصة للذين لا يطيقونه، وهذا قول قتادة والربيع بن أنس، وروي عن ابن عباس.

وقال الحسن: هذا في المريض كان إذا وقع عليه اسم المرض، وإن كان مستطيع الصيام فهو بالخيار إن شاء صام، وإن شاء أفطر وأطعم حتى نسخ ذلك؛ فعلى هذا الآية منسوخة عند أكثر الفقهاء والمفسرين.

وقال قوم: لم تنسخ وإنما تأويلها وعلى الذين يطيقونه [في حال شبابهم](٢)، أو في حال صحتهم ممن عجزوا عن الصوم فدية طعام

---

(١) بعدها في (ك): بياض بمقدار كلمتين.

(٢) مثبت من (ق).

مسكين؛ لأن القوم كان قد رخص لهم في الإفطار، وهم على الصوم قادرون، وجعلوا الآية مجملة، وفروع هذه المسألة تطول فتُمل وهذا فيه كفاية هنا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ معناه صيامكم خيرًا لكم من الإفطار والفدية إن كنتم تعلمون ما شرعه عليكم، وفيكم وبيّنه لكم من دينكم وفضل أعمالكم، وثواب أفعالكم.

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] إنما سُمّي الشهر شهرًا لشهرته في دخوله وخروجه، قاله ابن النحاس. قال في «المجمل»: الشهر الواحد من الشهور، ويقال: هو الهلال سُميت به هذه الأيام؛ هذا ما اتفق عليه العرب والعجم والشُهرة وضوح الأمر، وسُمي رمضان قال الأصمعي: قال أبو عمرو: إنما سمي رمضان؛ لأنه رمضت فيه الفِصال[١] من الحر، وقال غيره: لأن الحجارة كانت ترمض فيه من الحر، والرمضاء الحجارة المحماة، وقيل: سُمي بذلك لأنه يُرمِضُ الذنوب أي يحرقها قاله الشيخ عبد القادر، وهو مروي عن النبي ﷺ[٢]، وقيل: إن القلوب تأخذ من حرارة

---

(١) هي الصغار من أولاد الابل جمع فصيل. انظر النووي على «صحيح مسلم» (٦/ ٣٠).
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٤٤) وعزاه لابن مردويه والأصبهاني عن أنس وعائشة، وذكره الهندي في «كنز العمال» في موضعين؛ الأول (٢٣٦٨٨) وعزاه إلي محمد بن منصور السمعاني وأبو زكريا يحيى بن منده في أماليهما عن أنس قال الشيخ الألباني في «ضعيف «الجامع» (٢٠٦٠): موضوع.
والثاني برقم (٢٤٢٩٣) وعزاه إلي أبو الشيخ في «الثواب» والديلمي (٢٣٣٩) وفيه: =

الموعظة والفكرة في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس؛ فسُمّي هذا الشهر رمضان؛ لأنه يغسل الأبدان من الآثام غسلاً ويطهر القلوب تطهيرًا.

وقال الحافظ عبد العظيم المنذري في «حواشي سنن أبي داود»: كان عطاء ومجاهد يكرهان أن يقال رمضان، وإنما يقولان كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾؛ لأنا لا ندري لعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى، وقال بعضهم: إذا جاء بما لا يشكل أن المراد به الشهر كقوله صمنا رمضان لم ينكر هذا، وينكر ما يشكل كقوله: دخل رمضان، وجاء رمضان.

والصحيح أنه يقال: رمضان مطلقًا، من غير تفصيل فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من صام رمضان»**، **«وإذا جاء رمضان»**، ولا يصح أنه اسم من أسماء الله تعالى انتهى.

قال بعضهم: رمضان خمسة أحرف، الراء: رضوان الله، والميم: محاباة الله عن العصاة، والضاد: ضمان الله، والألف: ألفة الله، والنون: نوال الله، فهو شهر رضوانٍ ومحاباةٍ، وضمانٍ وألفةٍ ونوالٍ وكرامةٍ للأولياء الأبرار.

وقيل: شهر الله في الشهور مثل القلوب في الصدور كالأنبياء في الأنام، وكالحرم في البلاد، فالحرم يُمنع منه الدجال اللعين، ورمضان

= زياد بن ميمون صاحب الفاكهة كذاب..

تصفد فيه الشياطين، والأنبياء شفعاء للمجرمين، وشهر رمضان شفيع للصائمين، والقلب مزين بنور المعرفة والإيمان، وشهر رمضان مُزين بتلاوة القرآن، فمن لم يغفر له في شهر رمضان ففي أي شهر يغفر له؟.

فصل

ولعظم هذا الشهر عند الله وكثرة حرمته؛ زاد بهاؤه، وكثرت أسماؤه حتى قال صاحب كتاب «فقه العارفين» قال: قال بعض العلماء لشهر رمضان أربعون اسمًا؛ شهر الله، وشهر الصيام، وشهر القيام، [وشهر الجُنة][(١)]، وشهر الجنة، وشهر السياحة، وشهر الحور، وشهر السحور، وشهر الخُلوف، وشهر الفرحتين، وشهر الفتح، وشهر القلق، وشهر الصلاة، وشهر التزين، وشهر الطعام، وشهر الاحتساب، وشهر التصفيد.

وشهر الاعتزال، وشهر (الشكر)[(٢)]، وشهر الاعتكاف، وشهر الإيقاظ، وشهر العتق، وشهر العرض، وشهر الغفران، وشهر الرضا، وشهر الصبر، وشهر المناجاة، وشهر المناداة، وشهر الوفاء، وشهر البركة، وشهر التقوى وشهر الوجل، وشهر السؤال وشهر السواك، وشهر التراويح، وشهر زكاة الأبدان، وشهر زكاة الفطر، وشهر ربيع الفقراء، وشهر الركوع، وشهر السجود، وشهر ليلة القدر، فهذه أربعون

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «الشك».

اسمًا، ولكل اسم منها [معنى][١] وفائدة، مندرجة تحت معاني الأحاديث والأخبار الواردة فيما بعد لا يخفى ذلك على النبيه، إذا بدا له سره ومعانيه.

والمروي عن العرب في اللغة القديمة؛ إنما سمي رمضان لموافقته أيام رمض الحر حكاه في «المجمل»، وأنه يجمع على رمضانات وأرمضاء انتهى.

وتكلم بعض أهل المعاني فأحسن في الترتيب في المباني على أسماء شهور العام ومعانيها الخاص والعام، فقال: كانت العرب إذا رأوا السادات تركوا العادات، وحرموا الغارات، قالوا: محرم وإذا مرضت أبدانهم، وضعفت أركانهم، واصفرت ألوانهم، قالوا: صفر، وإذا أنبتت الرياحين واخضرت البساتين، وبشرت الدهاقين قالوا: ربيعين، وإذا قل الثمار، وبرد الهواء، وجمد الماء قالوا: جمادين.

وإذا ماجت البحار، وجرت الأنهار، ورجبت الأشجار قالوا: رجب، وإذا تشعبت القبائل، وانقطعت الرسائل قالوا: شعبان، وإذا حر الفضاء، ورمضت الرمضاء، وطفئ نار الغضاء قالوا: رمضان، وإذا ارتفع التراب وكثر الذباب وشالت الإبل الأذناب قالوا: شوال، وإذا رأوا التجار قعدوا عن الأسفار المماليك والأحرار قالوا: ذو القعدة، وإذا قصدوا الحج من كل فج ووج وكثر العج والثج قالوا: ذو الحجة.

---

(١) مثبت من (ق).

وقال بعضهم: إذا انتهت أمة محمد ﷺ عن المحارم؛ فلهم محرم، وإذا اصفروا عن المعاصي فلهم صفر، وإذا اجتمع الخوف والرجاء في قلوبهم؛ فلهم ربيع الأول، وإذا اجتمع حب أصحاب رسول الله ﷺ في قلوبهم فلهم ربيع الثاني، وإذا أغلق عليهم باب العسر والبلاء؛ فلهم جمادي الأولى، وإذا أغلق عليهم باب السيئات، فلهم جمادي الآخرة.

وإذا زينت قلوبهم بالخيرات، وثقلت أعمالهم بالطاعات فلهم رجب، وإذا تشعبت الخيرات والندامات في قلوبهم، فلهم شعبان، وإذا احترقت قلوبهم في محبة الله فلهم رمضان، وإذا ارتفعت أمورهم بالتوفيق فلهم شوال، وإذا قعدوا عن الفساد بالعصمة فلهم ذو القعدة، وإذا دنوا إلى الحج فلهم ذو الحجة، فهذا وجه كلامهم في تسمية الشهور.

ويقال: رجب تضاعف فيه الحسنات وشعبان تكفر فيه السيئات ورمضان تنتظر فيه الكرامات، ويقال هذه الأشهر الثلاثة كثلاث بيوت الحمامات، يدخل الرجل في أولها فيقعد ساعة ليسكن طبعه معها، ثم يدخل الثاني فيبتل الدرن عليه، ثم يدخل الثالث فيصير طاهرًا، كذلك هذه الأشهر الثلاثة؛ فرجب أول باب العبادة، وشعبان فيه تظهر الزيادة، ورمضان فيه تحصل السعادة.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: أنزل القرآن ليلة القدر إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أُنزل نجومًا متفرقة في ثلاث وعشرين سنة إلى أن توفي النبي ﷺ، وقال مجاهد والضحاك: معناه أنزل القرآن بفرض صيامه. وقال سفيان

ابن عيينة: أنزل في فضله القرآن. وقال ابن إسحاق وأبو سليمان الدمشقي: ابتُدئ فيه بإنزال القرآن؛ فهذه أربعة أقوال.

قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي بيانًا لهم، والبينات: الآيات الواضحات والفرقان: أي فرّق بين الحق والباطل، وبيّن لكم ما تأتون وما تذرون. قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

فإن قال قائل: ما الفائدة في إعادة ذكر المرض والسفر وقد تقدم ذكره؟.

فالجواب: إن فائدته أن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المريض والمسافر والمقيم، ونسخ في الثانية تخيير (المقيم)[1] بقوله: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ فلو اقتصر على هذا احتمل أن يعود النسخُ إلى غير الجميع؛ فأعاد بعد النسخ ترخص المسافر والمريض؛ ليعلم أنه باق على ما ذكرناه. ذكره المعافى في «تفسيره».

قال شيخ السنة البغوي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ بإباحة الفطر في السفر، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. قال المعافى: المعنى ولا يريد بكم العسر، وهو خلاف اليسر فكرر تأكيدًا. قال الشعبي: إذا اختلف عليكم أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾.

---

(١) في (ك): «المريض».

ورُوي(١) أن رسول الله ﷺ بلغه أن رجلاً يطيل الصلاة، فأتاه فأخذ بمنكبه ثم قال: «**إن الله رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لهم العسر**» قالها ثلاث مرات، «**وإن هذا أخذ بالعسر، وترك اليسر**» .

وصح عن النبي ﷺ لما بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن قال: «**يسرا ولا تعسرا**»(٢) وكان يحب التيسير على أمته ولهذا نهاهم عن الوصال(٣)، وقال: «**لولا أن أشق على أمتي؛ لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»(٤) وأخرَّ صلاة العشاء الآخرة إلى ثلث الليل أو نصفه، وقال: «**لولا أن أشق لأمرتهم بهذه الصلاة هذه الساعة**»(٥) وامتنع من الخروج إليهم في صلاة الليل خشية أن تفرض عليهم فيعجزوا عنها(٦) وأمثال ذلك كثير.

وقوله: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ وهو معطوف على اليسر، والتقدير: ولأن تكملوا العدة، قال الزجاج: فعل ذلك ليسهل عليكم، ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾، قال عطاء: لتكملوا عدة أيام الشهر، وقال سائر المفسرين: ولتكملوا عدة ما أفطرتم في مرضكم وسفركم إذا برئتم وقمتم فقضيتموها.

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث» (٢٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٩٨). قال الهيثمي (٥٩٢٠): رجاله رجال الصحيح.

(٢) البخاري (٥٧٧٣)، ومسلم (١٧٣٣) عن أبي موسي.

(٣) البخاري (١٨٦٠)، ومسلم (١١٠٤).

(٤) البخاري (٨٤٧)، ومسلم (٢٥٢) عن أبي هريرة.

(٥) من حديث عائشة رواه مسلم (٦٣٨).

(٦) من حديث عائشة رواه البخاري (٨٨٢).

وقال بعضهم: لا تزيدوا على ما افترضت عليكم كما فعلت النصارى، ولا تنقلوه عن زمانه كما نقلته. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ على ما أرشدكم إليه من شرائع الدين، ووفقكم ورزقكم شهر رمضان، وخصكم به دون سائر الملل.

وقيل: أراد به التكبير من ليلة الفطر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله تعالى على وحدانيته وهدايته لكم لذلك، وعلى ما أنعم به من ثواب طاعاتكم.

فصل

وأما ثبوت فضائل شهر رمضان في السنة وأقوال علماء هذه الأمة فكثير جدًا، فمن ذلك: ما رواه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في «التبصرة»، قال: أنبأنا أبو منصور القزاز، قال: أنبأنا أحمد بن ثابت يعني خطيب ببغداد قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن عبد الواحد الفقيه، قال: أنبأنا موسى بن عيسى السراج، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى السوانيطي، قال: حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم، حدثنا قتيبة حدثنا سلام الطويل عن زياد بن ميمون عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليس بتارك أحدًا من المسلمين صبيحة أول يوم من رمضان إلا غفر له**»[1] وهذه بشارة عظيمة للمؤمنين بالمغفرة من رب العالمين.

---

(١) رواه الخطيب (٢٤٨٧) في ترجمة أحمد بن محمد بن موسى المعروف بالسوانيطي، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٣١) بنفس السند المذكور هنا وقال: =

وفي «الترغيب والترهيب» لابن زنجويه بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: من صام يومًا من شهر رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإذا انسلخ منه الشهر وهو حي لم تكتب عليه خطيئة إلى الحول.

وفي «الصحيحين»[1] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل رمضان؛ فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين**». قال الحليمي: وتصفيد الشياطين يحتمل أن يكون المراد الشياطين الذين يسترقون السمع، ويحتمل أن يكون المراد أيامه ولياليه، والمعنى أن الشياطين لا يخلصون فيه من إفساد الناس إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره والله أعلم، وفي رواية: «**فتحت أبواب الجنة**».

وفيهما[2] أيضًا عنه عن النبي ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم له؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**».

وفي رواية: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي**»، وفي رواية

= هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ؛ أما سلام فقال يحي: ليس بشيء، وقال البخاري والنسائي والدارقطني: متروك. وأما زياد فقال يزيد بن هارون: كان كذابا وقال يحيى: ليس بشيء وقال البخاري: تركوه.

(١) البخاري (١٨٠٠)، ومسلم (١٠٧٩).

(٢) البخاري (١٨٠٥)، ومسلم (١١٥١).

البخاري[1]: «**لكل عمل كفارة، والصوم لي وأنا أجزي به**». وفي الصحيح[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرئ شاتمه فليقل: إني صائم مرتين**». ومعناه: أنه يذكر نفسه أنه في عبادة، فلا يفسدها بشتم من شاتمه، ليحفظ (صيامه)[3] ويصونه عما يفسده ليسلم له الأجر.

وقيل معنى قوله: «**إني صائم مرتين**»؛ أي بقلبه ولسانه ليكون فائدة ذكره بقلبه كف نفسه عن مقابلة خصمه، وفائدة ذكره بلسانه كف لخصمه عن الزيادة، وهذا من أسرار الشريعة المطهرة.

فائدة: ذكر المعافى في «تفسيره» في سورة الفتح عن يزيد بن هارون قال: سمعت المسعودي يذكر قال: بلغني أن من قرأ في أول ليلة من شهر رمضان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] في التطوع حفظ في ذلك العام.

وقال ابن الجوزي في كتاب «المجالس» في قوله ﷺ عن الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»: قيل: معناه أنا أكون جزاء للصيام؛ فأكون له كما كان صومه لي، ومن كنت له كان ما لي له. وقيل: المعنى فيه أن الصوم عمل يسير فيمكن صيانته عن الرياء وهو أمانة الله تعالى عند عبده. وقيل: إنما قال الصوم لي معناه الصائم لي ومن كان لي كنت

---

(١) البخاري (٧١٠٠).

(٢) البخاري (١٧٩٥)، ومسلم (١١٥١).

(٣) في (ك): «لسانه».

له. وقيل: الصوم لي فلا مطمع فيه لخصوم الصائم، فإن خصم الصائم يكون خصمًا لربه؛ فلا مطمع له في الصوم الذي أضافه ربه إلى نفسه.

قال القرطبي في «التذكرة»(١): ظن بعض العلماء أن الصوم مختص بعامله موفرًا له أجره لا يؤخذ منه شيء لمظلمة ظلمها متمسكًا بقوله: «**الصيام لي وأنا أجزي به**» وأحاديث هذا الباب يعني في القصاص ترد قوله، وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صيامًا كان أو غيره. وقيل: إن الصوم إذا لم يكن معلومًا لأحد ولا مكتوبًا في الصحف؛ هو الذي يستره الله ويخبؤه عليه حتى يكون له جُنة من العذاب، فيطرحون أولئك عليهم سيئاتهم فيذهب ويقيه الصوم فلا يضر صاحبها لزوالها عنهم ولا له؛ لأن الصوم جُنة، قال القاضي أبو بكر ابن العربي في «سراج المريدين»: وهذا تأويل حسن إن شاء الله تعالى فلا تعارض فالحمد لله. انتهى.

وقيل: أضاف الصوم لنفسه ليقطع الشيطان طمعه عن إفساده، وهذه الإضافة تسمى إضافة الحماية. قال: والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فكأنه قال بعد أن أضفت عبادي إليَّ إضافة تخصيص، فلا سلطان لك عليهم، فكذلك أضفت الصوم إلى نفسي إضافة تخصيص، حيث قلت: الصوم لي، وأنا أجزي به فلا مطمع لك فيه.

وقال بعضهم: معناه أن الكفار كانوا يتقربوا في كفرهم بجميع

---

(١) «التذكرة» (١/ ٣٠٨).

الطاعات إلا الصوم؛ فإنه لم يتقرب أحد منهم به لصنم ولا غيره قط، وقيل: لأنه سر بين العبد وبين ربه تعالى لا يطلع عليه غيره.

ولهذا قال بعض العارفين: واعلم أن الصائم متخلق بأخلاق الصمدية، فإن الله ﷻ يُطعِم ولا يُطْعَم، والصائم في صيامه لا يُطعم، وأيضًا: فإن الصائم متشبه بالملائكة عليهم السلام في كف نفسه عن الشهوات من الطعام والشراب بل طعامهم وشرابهم ذكر الملك العلام.

وهذا الحديث فيه أن الأعمال تضاعف بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**صم شهر رمضان؛ شهر الصبر**»[١]. وقد تقدم ذلك من جملة أسماء شهر رمضان.

وفي الحديث قال: «**الصوم نصف الصبر**» خرّجه الترمذي[٢].

قال: والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، قال: وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم؛ فإن فيه صبر على الطاعة لله، وصبر على ما حرم الله على الصائم في الشهوات، وصبر على ما يحصل للصائم من ألم الجوع والعطش

---

(١) أحمد (٢٠٣٣٨)، وأبي داود (٢٤٢٨)، وابن ماجة (١٧٤١) عن مجيبة الباهلية عن عمها أو أبيها قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) الترمذي (٣٥١٩) وقال: حديث حسن.

وضعف البدن والنفس.

وفي «سنن أبي داود» وابن ماجة بإسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعًا: **«من أدرك رمضان بمكة فصامه، وقام منه ما تيسر؛ كتب الله له مائة ألف شهر فيما سواه»**[١] وذكر له ثوابًا كثيرًا

وفي حديث سلمان المرفوع في فضل رمضان: **«من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير؛ كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»**[٢] . وعن الزهري أنه قال: تسبيحة في رمضان ألف تسبيحة في غيره، ذكره ابن الجوزي. وسئل النبي ﷺ أي الصدقة أفضل؟ قال: **«صدقة رمضان»**[٣] وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«عمرة في رمضان تعدل حجة»** أو قال: **«حجة معي»**[٤]، وقد يضاعف الثواب بأسباب أخر منها شرف العامل عند الله تعالى، وقربه منه وكثرة تقواه، كما تضاعف أجور هذه الأمة على أجور من قبلها من الأمم، وأعطوا كفلين من الأجر.

---

(١) ابن ماجة (٣١١٧) وتتمة الحديث: «وكتب الله له بكل يوم عتق رقبة، وكل ليلة عتق رقبة، وكل يوم حملان فرس في سبيل الله، وفي كل يوم حسنة، وفي كل ليلة حسنة»في سنده عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه وقد تفرد به عبد الرحيم كما قاله البيهقي في «الشُعب» (٣٧٢٩). قال الشيخ الألباني: موضوع.اهـ والحديث ضعفه ابن رجب في «اللطائف» (١/ ١٦٨).

(٢) ابن خزيمة (١٨٨٧) وقال: إن صح الخبر. قال الأعظمي: إسناده ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٣) الترمذي (٦٦٣) وقال: حديث غريب، وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوي. وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف «الجامع» (١٠٢٣).

(٤) البخاري (١٧٦٤)، ومسلم (١٢٥٦) عن ابن عباس .

ومن أحسن ما قيل في الحديث: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي**» قال سفيان بن عيينة: هذا من أجود الأحاديث وأجلها، إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم؛ فيتحمل الله ﷻ ما بقي على العبد من المظالم ويدخله بالصوم الجنة، أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، قال: وعلى هذا فيكون المعنى أن الصيام لله تعالى فلا سبيل لأحد في أخذ أجره من الصائم؛ بل أجره مدخر له عند الله ولا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها، بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى أجره فيما قاله شيخنا في «اللطائف»، وقد تقدم قول القرطبي في «التذكرة» ناقلاً عن القاضي ابن العربي في ذلك.

فصل في تعجيل الفطور وتأخير السحور

وفي «صحيح مسلم»[1] عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير؛ ما عجلوا الفطر**» ومعناه: لا يزال أمر الأمة منتظمًا وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السُّنة، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه، وكان عبد الله بن مسعود يعجل الفطر وكذا السُّنة.

قال: ومن عِظم أجر الصائم ما ذكره العلامة ابن قدامة المقدسي في

(١) البخاري (١٨٥٦)، ومسلم (١٠٩٨).

كتابه المغني عن «مسند الإمام أحمد»[١] بإسناد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«السحور بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء؛ فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»**. وذكر الحافظ ابن منده عن عبد الرحمن بن معمر الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: **«تسحروا فإن الله يصلي على المتسحرين»**[٢].

وفي حديث مرفوع: **«نوم الصائم عبادة»**[٣] فالصائم في ليله ونهاره في

---

(١) روه أحمد (١١١٠١) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي رفاعة. قال الهيثمي (٤٨٤٠): فيه أبو رفاعة؛ لم أجد من وثقه ولا جرحه وبقية رجاله رجال الصحيح. قال المنذري (١٦٢٣): رواه أحمد وإسناده قوي. والحديث عند البخاري (١٨٢٣) ومسلم (١٠٩٥) مختصرا.

(٢) أخرجه ابن منده كما في «الإصابة» (٤/ ٣٦٢) من طريق أسامة بن زيد حدثنا محمد بن إبراهيم حدثني عبد الرحمن بن معمر الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ فذكره وقال ابن منده: ذكره البخاري في «الوحدان». وقال ابن منده: لا يصح. قال ابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٧١٦) عن عبد الرحمن راوي هذا الحديث: لا تصح له صحبة وقال ابن حجر في «الإصابة»: ويحتمل أن يكون هذا عبد الرحمن بن معمر بن حزم والد أبي طوالة الأنصاري الراوي عن أنس؛ فيكون الحديث مرسلا.

(٣) ورد هذا الحديث من رواية عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي وابن مسعود وابن عمر فأما رواية ابن أبي أوفى فرواها البيهقي في «الشُعب» (٣٩٣٨)، (٣٩٣٩) وقال: فيه معروف بن حسان ضعيف، وسليمان بن عمرو النخعي أضعف منه.

ورواية ابن مسعود عند أبي نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٣) مرفوعا: «نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح، ودعاؤه مستجاب».

وحديث ابن عمر رواه ابن منده في أماليه بسند ضعيف كما قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ١٨٧).

عبادة، وتستجاب دعوته في صيامه، وعند فطره؛ فهو في نهاره صائم صابر وفي ليله طاعم شاكر.

وفي الحديث الذي خرجه الترمذي وغيره: «**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**»(١) وبهذا وأشباهه يتبين فرح الصائم عند فطره؛ فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته، فيدخل في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على الحلال؛ فإن كان فطره على حرام كان ممن صام عما أحل الله، وأفطر على ما حرم الله، ولم يستجب له دعاء، كما قال النبي ﷺ في الذي يطيل السفر: «**أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يقول: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنَّى يستجاب له**»(٢).

وإذا كان بغير هذا الوصف، فبهذا يفرح عند فطره إذا كان المطعم حلالاً والمشرب حلالاً وسلم له صومه عن المفسدات، وأما فرحه عند لقاء ربه فما يجده عند الله من «الثواب» مدخرًا فيجده أحوج ما كان إليه.

وفي الحديث المرفوع الذي خرّجه ابن ماجة: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**»(٣)، وروى ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعًا: «**الصائمون**

---

(١) تقدم تخريجه صـ ٣٣٩ .

(٢) من حديث أبي هريرة رواه مسلم (١٠١٥).

(٣) ابن ماجة (١٧٥٣) وقال البوصيري: إسناده صحيح؛ لأن إسحاق بن عبيد الله بن الحارث قال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو زرعة: ثقة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري .

يُنفح من أفواههم ريح المسك؛ توضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون منها، والناس في الحساب»[١].

وعن أنس مرفوعًا: «إن لله مائدة؛ لم تر مثلها عين، ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر، لا يقعد عليها إلا الصائمون»[٢] وفي الحديث: «إن الحور تنادي في شهر رمضان هل من خاطب لله فيزوجه؟»[٣]

مهور الحور طول التهجد وهو حاصل في رمضان أكثر من غيره.

يا قوم ألا خاطب في هذا الشهر إلى الرحمن؟، ألا راغب فيما أعد الله للطائعين في الجنان؟، ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان؟. شعر:

مـــن يُـــرد مـــلـــك الـــجـــنـــانـــي
فـــلـــيـــدع عـــنـــه الـــتـــوانـــي
ولـــيـــقـــم فـــي ظـــلـــمـــة الـــلـــيـــل
إلـــى نـــور الـــقـــرآن
ولـــيـــصِـــلْ صـــومًـــا بـــصـــوم
إن هـــذا الـــعـــيـــش فـــانـــي

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الجوع» (١٣٩) عن أنس.

(٢) الطبراني في «الأوسط» (٩٤٤٣). وقال الهيثمي (٥٠٩١): فيه عبد المجيد بن كثير الحراني ولم أجد من ترجمه. أ هـ قلت: وثقه ابن حبان.

(٣) جزء من حديث طويل سيأتي تخريجه قريبا.

فصل في رؤية الهلال والدعاء عند ذلك

روى الترمذي وقال: حديث حسن عن طلحة بن عبيد الله أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «**اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال خير ورشد هلال خير ورشد**»(١).

وفي رواية كان يقول: «**الله أكبر، اسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى**»(٢).

وروى ابن الجوزي في «التبصرة»(٣) بسنده عن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا استهل شهر رمضان استقبل القبلة بوجهه ثم قال: «**اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والعافية المجللَة والرزق الحسن ودِفاع الأسقام، والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، اللهم سلّمنا لرمضان وسلّمه لنا، وتسلمه منا حتى ينقضي وقد غفرت لنا، ورحمتنا وعفوت عنا**».

ثم يُقبل على الناس بوجهه فيقول: «**يا أيها الناس؛ إنه إذا استهل شهر رمضان؛ فتحت أبواب السماء وأبواب الرحمة وأبواب الجنان، وغلقت**

---

(١) الترمذي (٣٤٥١) وقال: حسن غريب.

(٢) من حديث ابن عمر أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/٣٥٦)، وابن حبان (٨٨٨). قال الهيثمي (١٧١٤٨): فيه عثمان بن إبراهيم الحاطبي؛ فيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٣) «التبصرة» (٢/٦٩)، وابن عساكر (٥١/١٨٦) عن محمد بن علي وليس فيه ذكر لعلي. ورواه الديلمي (١٩٧٤) مختصرا عن علي كما في «كنز العمال» (٢٤٢٩١).

النار، وسُلسلت الشياطين، وكان لله عند كل فطرٍ عتقاء من النار، ونادى مناد عند كل ليلة؛ اللهم أعط كل ممسك تلفًا، واعط كل منفقٍ خلفًا، فإذا استهل هلال شوال نُودي المؤمنون؛ أن اغدوا إلى جوائزكم، وأقل ما يجازى به الرجل؛ أن يكتب له ألف ألف حسنةٍ، ويمحى عنه ألف ألف سيئة».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان؛ نظر الله إلى خلقه، وإذا نظر إلى عبد لم يعذبه أبدًا، ولله في كل ليلة ألف ألف عتيقٍ من النار»(١).

وعن ابن عباس ﵄ كما تقدم أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن الجنة (لتنجد)(٢) وتزين من الحول إلى الحول؛ لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها: المثيرة فتصطفق ورق الجنة وحلق المصاريع فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه؛ فيشرف الحور العين حتى يقفن على شُرف الجنة فينادين هل من خاطب إلى الله تعالى فيزوجه؟ ثم يقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟. فيجيبهن بالتلبية ثم يقول: يا خيرات حسان؛ هذه أول ليلة من شهر رمضان؛ فيفتح فيها أبواب الجنان للصائمين [من أمة محمد ﷺ قال: ويقول الله ﷻ يارضوان افتح أبواب الجنان و](٣) يا مالك؛ أغلق

---

(١) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (١٧٦٦).

(٢) في (ق): «لتتجدد».

(٣) سقط من النسختين، والمثبت من «شعب الإيمان» للبيهقي.

أبواب النيران، أو قال الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ، يا جبريل؛ أهبط إلى الأرض؛ فصفد مردة الشياطين وغلهم في الأغلال، ثم اقذف بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي.

قال: ثم يقول الله ﷻ في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر ل؟ [من يقرض المليء غير المعدم الوفي غير الظلوم؟][(١)] قال: ولله ﷻ في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار، ألف ألف عتيق من النار؛ فإذا كان ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة؛ أعتق الله في كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان؛ أعتق الله ﷻ في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره؛ فإذا كانت ليلة القدر، يأمر الله ﷻ جبريل؛ فيهبط في كبكبة من الملائكة معه لواء أخضر فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر؛ فينشرهما في تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب قال: ويبث جبريل الملائكة في هذه الأمة؛ فيسلمون على كل قائم وقاعد، ومصل وذاكر؛ فيصافحونهم، ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر نادى جبريل؛ يا معشر الملائكة، الرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ؟ فيقول: إن الله ﷻ نظر إليهم في هذه الليلة

---

(١) مثبت من (ق).

فعفا عنهم، وغفر لهم، إلا أربعة».

قال رسول الله ﷺ: «وهؤلاء الأربعة مدمن خمر وعاق والديه، وقاطع رحم ومشاحن» فقيل يا رسول الله وما المشاحن؟ قال: «هو المصارم؛ فإذا كانت ليلة الفطر سميت ليلة الجائزة، فإذا كان غداة الفطر يبعث الله الملائكة في كل بلد؛ فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك؛ فينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد؛ اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا من مصلاهم يقول الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره، فيقول الله تعالى: أُشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم رمضان وقيامهم؛ رضائي ومغفرتي».

ويقول الله تعالى: فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئًا في جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكموه، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم، وعزتي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني، وعزتي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود أو الجدود -شك الراوي أبو عمرو- انصرفوا مغفورًا لكم، قد أرضيتموني، ورضيت عنكم، قال: فتفرح الملائكة، ويستبشرون بما يعطي الله هذه الأمة إذا أفطروا»(١).

(١) أخرجه البيهقي في «الشُعب» (٣٦٩٥)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٨٠) وقال: وهذا حديث لا يصح. وابن أبي الصقر في «مشيخته» (٦٧) قال محققه الشيخ حاتم العوني: إسناده شديد الضعف مسلسل بالعلل، وأما متنه فيصلح مثالا لأدلة الوضع وقرائن الكذب المستنبطة من الرواية.

وعن ابن عباس وعائشة ﵃ قالا: كان رسول الله ﷺ إذا دخل شهر رمضان؛ أطلق كل أسير، وأعطى كل سائل[١].

فهكذا نرجو من رحمة الله تعالى أن يطلق أسرنا من عدونا الشيطان، ويعطينا ما نرجوه من العتق والغفران، ويرزقنا الأمن، ويثبتنا على الإيمان.

شعر:

من نـالـه داءُ دواءُ ذنـوبـه
أن يـأتِ فـي رمـضـان بـاب طـبـيـبـه
فـخـلُـوفُ هـذا الـصـوم يـا قـوم
اعلموا أزكى من المسك السحيق وطيبه
أو لـيـس هـذا الـقـول قـول مـلـيـكـكـم
الـصـوم لـي وأنـا الـذي أجـزي بـه

وفي هذه الأبيات إشارة إلى الحديث الثابت في «الصحيحين»[٢] من قوله ﷺ: «**لخلُوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك**».

والخلُوف بضم الخاء وفتحها والضم أفصح، وخلوف الفم: هو رائحة ما يتصاعد من الأبخرة لخلو المعدة عن الطعام والشراب بالصيام، وهي رائحة مستنكرة في مشام الناس في الدنيا لكنها عند الله طيبة حيث كانت ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته، كما أن جرح الشهيد

---

(١) حديث ابن عباس فقط أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٩٦٨). قال الهيثمي (٤٨٣٨): فيه أبو بكر الهذلي؛ ضعيف. وحديث عائشة وابن عباس معا أخرجه ابن سعد (١/ ٣٧٧) وفي سنده أيضا أبو بكر الهذلي أيضا.

(٢) رواه البخاري (١٧٩٥)، ومسلم (١١٥١).

يأتي يوم القيامة يثعب دمًا لونه لون الدم، وريحه ريح المسك، وبهذا استدل من كره السواك للصائم بعد الزوال والله أعلم.

وقوله: يثعب بالعين المهملة؛ معناه يسيل.

قال شيخنا في «لطائفه»: لما علم المؤمن أن رضا مولاه في ترك شهواته؛ [قدم رضا مولاه على هواه فصارت لذته في ترك شهواته][1] لله تعالى؛ لإيمانه باطلاع الله عليه، وثوابه وعقابه أعظم من لذته في تناولها في الخلوة، وإيثارًا لرضى ربه على هوى نفسه، بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراهته لألم الضرب، ولهذا أكثر المؤمنين لو ضرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل؛ لعلمه لكراهة الله تعالى في فطره في هذا الشهر.

وذلك من علامة الإيمان، أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أن الله تعالى يكرهه فتصير لذته فيما يرضي مولاه، وإن كان مخالفًا لهواه، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه، وإن كان موافقًا لهواه، وإذا كان هذا فيما حُرم لعارض الصوم من الطعام والشراب والجماع؛ فينبغي أن يتأكد ذلك فيما حُرم على الإطلاق؛ كالزنا وشرب الخمر، وأخذ أموال الناس والأعراض بغير حق، وسفك الدماء المحرمة، فإن هذا يسخطه الله على كل حال، وفي كل زمان ومكان؛ فإذا كمل إيمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته القتل والضرب، ولهذا جعل النبي ﷺ من

---

(١) سقط من النسختين، والمثبت من «لطائف المعارف».

علامات وجود حلاوة الإيمان؛ أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار.

ويروى أن رجلاً قال لذي النون: متى أحب ربي؟، قال: إذا كان ما يكرهه أمرّ عندك من الصبر. وقال غيره: ليس من علامة المحبة أن تحب ما يكرهه حبيبك.

كما قيل شعر (مفرد)[١]:

إن كان رضاكم في سهري
فسلام الله على وسني[٢]

وقال آخر:

عذَابه فيك عذْبُ
وبعده فيك قربُ
وأنت عندي كروحي
بل أنت منها أحب
إني لما تحب أحب[٣]

وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الأشياء إلا بعد التقرب إليه بترك ما حُرّم عليه، يقول النبي ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعمل**

---

(١) مثبت من (ك).

(٢) الوسن هو أول النوم. النهاية في «غريب الحديث» (٥/ ١٨٠).

(٣) سقط من النسختين الشطر الأول من هذا البيت وهو: «وأنت عندي كروحي».

به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» أخرجه البخاري[١].

قال جابر رضي الله عنه: إذا صمت؛ فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك. وفي المعنى شعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظى إذًا من صومي الجوع والظمأ
فإن قلت إني صمت (يومي)[٢] فما صمت

وقال النبي ﷺ: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر**»[٣]. وفي «المسند» عن النبي ﷺ: «**ليس من عمل إلا يختم عليه**»[٤]، وعن عيسى عليه السلام قال: إن هذا الليل والنهار

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٨٠٤).

(٢) في (ك): «يومًا».

(٣) من حديث ابن عمر أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٨٣). قال الهيثمي (٥٢٣٢): رجاله موثقون.

(٤) من حديث عقبة بن عامر رواه أحمد (١٧٣٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٨٤)، والحاكم (٧٨٥٥) وتتمة الحديث: «**فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب عز وجل: اختموا له على مثل عمله حتى يبرا أو يموت**» والحديث صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي فقال: فيه رشدين واه. قال الهيثمي في مجمع «الزوائد» (٧٨٥٥): فيه ابن لهيعة؛ فيه كلام.
قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن؛ لأنه من رواية عبد الله -وهو ابن المبارك- عن ابن لهيعة، وسماعه منه قبل احتراق كتبه.

خزانتين؛ فانظروا ما تضعون أو قال تصنعون فيهما من خير وشر.

فالأيام؛ خزائن الناس ممتلئة بما خزنوا فيها من خير وشر، وفي القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها؛ فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة.

ورأيت في كتاب «العرش» لأبي جعفر بن محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: ثنا عبد الله بن الحكم، ثنا سيار، ثنا موسى بن سعيد الراسبي، ثنا هلال أبو جميلة، عن أبي عبد السلام، عن أبيه، عن كعب الأحبار قال: إن الله ﷻ قال: يا موسى بن عمران إني آمر حملة عرشي أن يمسكوا عن العبادة إذا دخل شهر رمضان، وأن [يقولوا](١) كلما دعا صائم في شهر رمضان: آمين؛ فإني آليت على نفسي أن لا أرد دعوة صائم رمضان، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» عنه أيضًا.

فصل

أين من كان معكم في رمضان الماضي؟، أما أتته أفات المنون القواضي؟، أين من كان يتردد إلى المساجد في الظلم؟، سافر عن داره منذ زمان ولمُ أين من صبر على مشقة الجوع والظمأ؟، غاب فما آب وما، أين الذين ارتفعت أصواتهم بالأدعية؟، خرجت تلك الجواهر من تلك الأوعية.

---

(١) تأخرت في النسختين فذكرت بعد قوله «رمضان»، والمثبت هو الموافق لما في «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٦٣).

أين من جمع مالاً ووفرا، وأغلق من ظُفِرهُ بالمراد ظُفُرا، ومشى إلى أعراضه جمزًا وطفرًا، أما أخرج الموت كفه صفرًا؟ أما أعاد دياره بالخراب قفرًا؟ كانت تلاحظه عيون الأجداث جزرًا، وتلمحه وهو في لذاته شزرًا؛ فنقلته وقد أثقل بالوزر إزرًا، ثم طال عذابه وإنما نال من الدنيا نذرًا، وأوطأته جمرًا لا يشبه جمرًا؛ فبات في ذل أسره لا يشبه كالأسرى. شعر:

سل الأيام ما فعلت بكسرى
وقيصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للموت طرًا
فلم تدع الحليم ولا السفيها
دنت نحو (الدنى)[1] بسهم خطب
فأصمته وواجهت السفيها
أما لو بيعت الدنيا بفلس
أنفت لعاقل أن يشتريها

فائدة: رُوي أن الخليفة المأمون سأل علي بن موسى الرضا ما حكمة الصوم وفائدته؟ فقال: علم الله ما ينال الفقير من الجوع؛ فادخل على الغني الصوم ليذوق طعم الجوع ضرورة حتى لا ينسى الفقير، فقال المأمون: أقسم بالله لا كتبت هذا إلا بيدي.

(١) في (ك): «الدنيا».

فصل في آداب الصيام.

يجمعها حفظ الجوارح الظاهرة، وحراسة الخواطر الباطنة؛ فينبغي أن يُلْتقى شهر رمضان بتوبة صادقة وعزيمة موافقة، وينبغي تقديم النية وهي لازمة في كل ليلة، ومحلها القلب في الصلاة والصوم وغيرهما.

قال العلامة ابن قدامة في المغني[١]: ولا يجزئه صيام فرض حتى ينويه، أي وقت كان من الليل، وذلك أنه لا يصح صوم ولا غيره إلا بنية لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٢] وهذا إجماع فرضًا كان أو تطوعًا؛ لأنه عبادة محضة فافتقر إلى النية كالصلاة، ومحلها الليل في الفرض عند أحمد بن حنبل ومالك والشافعي.

وقال أبو حنيفة: يجزئ صيام رمضان وكل صوم متعين بنية من النهار؛ لأن النبي ﷺ أرسل غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «**من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن كان أضبح مفطرًا فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم**». متفق عليه[٣].

لنا قوله ﷺ: «**من لم يبيت الصيام قبل الفجر؛ فلا صيام له**» أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي[٤] وقال: إسناده كلهم ثقات؛ فأما صوم

---

(١) «المغني» (٣/ ١٧).

(٢) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) تقدم تخريجه ص ٧٦ .

(٤) من حديث حفصة أخرجه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي (٢٣٣١).

عاشوراء فلم يثبت وجوبه لورود التخيير في صومه، ولو كان واجبًا لما وقع التخيير.

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن المنذر: تعتبر النية لكل يوم.

وعن الإمام أحمد بن حنبل؛ إنه تجزئه نية واحدة لجميع الشهر وقيل: بالنية لكل يوم.

ومعنى النية القصد وهو اعتقاد القلب فعل الشيء وعزمه (عليه)[١] من غير تردد انتهى[٢]. وروى صاحب كتاب «المغرب»[٣] وغيره أنه روي عن النبي ﷺ قال: «**لا صيام لمن لم يبت الصيام من الليل**» والبت؛ القطع.

ومن آداب الصائم عند فطره، إذا وضع الماء في فمه عند إفطاره أن لا يمجه، ولكن يشربه لئلا يذهب بخلُوف فمه أخذًا بقوله ﷺ «**لخلُوف فم الصائم؛ أطيب عند الله من ريح المسك**»[٤] ذكره ابن الأثير في النهاية.

وقد تقدم أنه يسن تعجيل الفطر لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»[٥] (وذلك مخالفة اليهود)[٦] حيث يؤخرون الفطر حتى يطلع النجم، وقال ﷺ في الصحيح[٧] لبلال: «**انزل فاجدح لنا**» وذلك

---

(١) في (ق): «قلبه».

(٢) المغني (٣/ ١٧).

(٣) (١/ ٥٥).

(٤) تقدم قريبا .

(٥) تقدم قريبا.

(٦) كذا السياق في النسختين، والأولى أن يكون كما يلي «وفي ذلك مخالفة اليهود ».

(٧) أخرجه من حديث عبد الله بن أبي أوفي البخاري (٤٩٩١)، ومسلم (١١٠١).

لما غابت الشمس فقال: «**إذا أقبل الليل من هاهنا -يعني من المشرق- وأدبر النهار من هاهنا -يعني من المغرب-؛ فقد أفطر الصائم**» أي: حل له الفطر، ولم يصرح في الصحيح أنه بلال، وإنما صرح به في «سنن أبي داود»(١) . وفي حديث أبي هريرة المرفوع يقول الله ﷻ: «**إن أحب عبادي إليَّ؛ أعجلهم فطرًا**»(٢) .

والسنة: أن يفطر على التمر إن وجد، وإلا فالماء، لما روي سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**من وجد التمر فليفطر عليه، ومن لم يجد التمر فليفطر على الماء؛ فإنه طهور**» رواه الأئمة الأربعة الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة في سننهم، وابن حبان والحاكم في «صحيحيهما»(٣) .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء(٤) .

ويقول: إذا أفطر ما رواه معاذ بن زهرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أفطر قال: «**اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت**» رواه أبو داود(٥) بإسناد

---

(١) أبو داود (٢٣٥٢).

(٢) أحمد (٧٢٤٠)، والترمذي (٧٠٠) وقال: حسن غريب.

(٣) أبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥) وقال: حسن صحيح والنسائي في «الكبرى» (٣٣١٩)، وابن ماجة (١٦٩٩)، وابن حبان (٣٥١٤) وابن خزيمة (٢٠٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦) والترمذي (٦٩٦) وقال: حسن غريب.

(٥) أبو داود (٢٣٥٨).

حسن لكنه مرسل؛ لأن معاذ بن زهرة تابعي ورواه الدارقطني[١] من رواية ابن عباس متصلاً، وزاد في آخره «**فتقبل منا إنك أنت السميع العليم**» وقال في أوله: «**صمنا وأفطرنا**» بدل صمت وأفطرت، لكن في إسناده عبد الملك بن هارون وقد تركوه. من «البدر المنير» لابن الملقن.

وروى الحاكم في «مستدركه» على شرط الشيخين-عن ابن عمر أنه قال: كان النبي ﷺ إذا أفطر قال: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**»[٢] والظمأ مهموز: العطش، يقال: ظمأت ظمأً والظما غير مهموز هو قلة دم اللثة، والأول المقصود، فلينتبه لذلك حكاه في «المجمل» وذكره غيره كذلك أيضًا.

وروى الحاكم وابن ماجة أيضًا عن عبد الله بن أبي مليكة قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول عند فطره: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء؛ أن تغفر لي ذنوبي[٣].

قال: والسنة السحور وتأخيره لما في «صحيح البخاري»[٤] عن زيد

---

(١) الدراقطني (٢/ ١٨٥) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٤٦) قال الهيثمي (٤٨٩٣): فيه عبد الملك بن هارون؛ ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥٧)، والحاكم (١٥٣٦)، والدراقطني (٢/ ١٨٥) وقال: إسناده حسن.

(٣) ابن ماجة (١٧٥٣) وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح؛ لأن إسحاق ابن عبيد الله بن الحارث قال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو زرعة: ثقة، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري.

(٤) البخاري (١٨٢١).

ابن ثابت قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قام النبي ﷺ إلى الصلاة قلت: كم كان بين الأذانين والسحور قال: قدر خمسين آية [وقد تقدم[١] قول النبي ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**»][٢] .

وفي «الصحيحين»[٣] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**» قال[٤]: والبركة التي فيه هو أنه يقوي على الصيام لخفة المشقة فيه على المتسحر، وهذا هو الصواب. وقيل: لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف، وقت تنزل الرحمة وقبول الدعاء. قال ﷺ: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب؛ أكلة السحر**» رواه مسلم[٥] .

قال: ومعناه الفارق بين الصومين السحور؛ فإنهم لا يتسحرون، ونحن يستحب لنا السحور. قال: والأكلة بالفتح المرة الواحدة، وبالضم اللقمة، والأول أظهر وهو المراد إذ به يحصل التقوي على الصيام لا باللقمة الواحدة. قال: والسحور بالضم الفعل والأكل، وبالفتح ما يؤكل في الطعام كالوضُوء والوَضوء والوُجود والوَجود، قال: وفيه حث على السحور، وأجمع العلماء على استحبابه وأنه ليس بواجب، ويحصل الفضل ولو بجرعة ماء.

---

(١) في ص (٣٠٥).
(٢) مثبت من (ق).
(٣) البخاري (١٨٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).
(٤) لم يصرح المصنف بقائل هذا الكلام، وهو النووي في شرح مسلم (٧/ ٢٠٦).
(٥) مسلم (١٠٩٦).

وروى النسائي عن عاصم عن زر قال: قلنا لحذيفة أي ساعة تسحرت مع رسول الله ﷺ ؟ قال: هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع[1] قال الجوزجاني: هذا حديث منكر، وقول عاصم هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع خطأ منه وهو وهم فاحش؛ لأن عديًا رواه عن زر بن حبيش بخلاف ذلك، وعدي أحفظ وأثبت من عاصم. وعاصم هذا هو ابن أبي النجود، قاله الذهبي في الكاشف. وأما قوله: وهم قال في «المجمل»: ويقال: وهم إذا ذهب قلبه إليه.

وفي «الصحيحين»[2]: «**أن بلالاً يؤذن بليل؛ فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم**» زاد البخاري: «**فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**» .

وروى أبو داود[3] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده؛ فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه**» .

وفي «صحيح مسلم»[4] عن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا: يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب محمد ﷺ أحدهما يعجل الفطر ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة (قالت: أيهما يعجل الفطر ويعجل الصلاة؟)[5] قلنا: عبد الله بن

---

(١) النسائي (٢١٥٢).

(٢) البخاري (٥٩٧) ومسلم (١٠٩٢).

(٣) أبو داود (٢٣٥٠) وأحمد (٩٤٦٨) قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٤) مسلم (١٠٩٩).

(٥) مثبت من (ق).

مسعود، قالت: كذلك كان يصنع رسول الله ﷺ. [وقال:][١] وينبغي للصائم أن يتشاغل طول نهاره بالذكر والتلاوة، وكان الإمام الشافعي يختم في رمضان ستين ختمة.

وروى ابن الجوزي بسنده عن أبي بشر عن الزهري أنه قال: تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره.

ورُوي عن سهل بن عبد الله، أنه كان يأكل في كل خمسة عشر يومًا مرة؛ فإذا دخل رمضان لم يأكل فيه إلا أكلة واحدة، ورُوي إنه كان إذا دخل رمضان يبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر، وهذا عجب؛ نقله الشيخ إبراهيم البرقي.

وأنشد بعضهم:

حق شهر الصيام شيئان
إن كنت من الموجبين حق الصيام
تقطع الصوم في نهارك بالذكر
وتفني ظلامه بالقيام

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ذاكرُ الله ﷻ في رمضان مغفور له، وسائل الله لا يخيب**»[٢]. وعن الشعبي عن قيس الجهني قال: إن[٣] كل يوم يصومه العبد من رمضان يجيء يوم

---

(١) سقط من (ك).

(٢) الطبراني في «الأوسط» في موضعين الأول (٦١٧٠) والثاني (٧٣٤١) قال الهيثمي (٤٧٩١): فيه هلال بن عبد الرحمن؛ ضعيف.

(٣) بعدها في النسختين «في»، وأظنها مقحمة في السياق.

القيامة في غمامة من نور في تلك الغمامة قصر من در له سبعون ألف باب، كل باب من ياقوت أحمر.

فصل[1]

وكان هدي النبي ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، وكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، قال: وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان؛ يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن، والصلاة والذكر والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادات ما لا يخص به غيره من الشهور حتى أنه كان يواصل أحيانًا؛ ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهي أصحابه عن الوصال فيقولون له: فإنك تواصل، فيقول: «**لست كهيئتكم إني أبيت**» وفي رواية «**أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**»[2].

وقد اختلف الناس في هذا الطعام والشراب المذكور على قولين:

أحدهما: أنه طعام وشراب حسيٌّ للفم، قالوا: وهذا حقيقة اللفظ ولا موجب للعدول عنه، وقال بعضهم: كان يؤتى بطعام من الجنة.

والثاني: إن المراد ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته، وقرة عينه بقربه ونعيمه بحبه، والشوق إليه وتوابع ذلك من

---

(١) هذا الفصل اقتبس المصنف الكثير منه من «زاد المعاد» لابن القيم (٢/ ٣٠، ٢/ ٦٠).
(٢) أحمد (٧٤٣١) عن أبي هريرة، وعن ابن عمر البخاري (١٨٢٢) ومسلم (١١٠٢).

الأحوال التي هي: غذاء القلوب، ونعيم الأرواح وقرة العين، وبهجة النفوس، والروح والقلب بها أعظم غذاء وأجله وأنفعه، وقد يقوي هذا الغذاء حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان.

كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها
عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به
ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا اشتكت من كِلال السير أوعدها
روح القدوم فتحيي عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وذوق؛ يعلم استغناء الجسم بغذاء الروح والقلب عن كثير من الغذاء الحيواني، ولا سيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه، وتنعم بقربه، والرضا عنه، وألطاف محبوبه وهداياه وتُحَفه تصل إليه كل وقت، ومحبوبه: حفيٌّ به معتن بأمره مكرم له [غاية الإكرام مع المحبة التامة له أفليس هذا أعظم غذاء لهذا المحب، فكيف][(١)] بالحبيب الذي لا شيء أجل منه، ولا أعظم ولا أجمل ولا أعظم إحسانًا إذا ملك (حبه)[(٢)] جميع قلبه وجوارحه، وتمكن حبه منه أعظم تمكن، وهذا حاله مع حبيبه أفليس

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك، ق) «جنة»، والمثبت هو الصواب الموافق لما في «زاد المعاد».

هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلاً ونهارًا؟ ولهذا قال: «**إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**».

ولو كان ذلك طعامًا للفم لما كان صائمًا فضلاً عن أن يكون مواصلاً، وأيضًا فلو كان ذلك بالليل لم يكن مواصلاً، ولقال للصحابة إذ قالوا له: إنك تواصل فقال: لست أواصل، ولم يقل: لست كهيئتكم أو أقرهم على نسبة الوصال، وقطع الإلحاق بينه وبينهم في ذلك، بما بيّنه من الفارق حيث قال: «**إني لست مثلكم إني أطعم وأسقى**» وقد نهى النبي ﷺ عن الوصال رحمة بالأمة وأذن فيه إلى السحر كما في «صحيح البخاري»[1]: «**فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر**».

وعلى هذا فهل الوصال جائز أو محرم أو مكروه؟ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جائز لمن قدر عليه؛ قاله عبد الله بن الزبير وغيره من السلف.

الثاني: لا يجوز؛ قاله مالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري؛ لنهي النبي ﷺ عنه، وهل ذلك تحريم أو تنزيه؟ على وجهين لأصحاب الشافعي.

الثالث: أنه جائز وهو أعدل الأقوال، وهذا هو المحفوظ عن الإمام أحمد وإسحاق؛ لإذن النبي ﷺ بالمواصلة إلى السحر.

وكان[2] هديه ﷺ إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسيًا، وأن الله

---

(١) البخاري (١٨٦٦) عن أبي سعيد.

(٢) «زاد المعاد» لابن القيم (٢/ ٦٠)

تعالى هو الذي أطعمه وسقاه؛ فليس هذا الأكل والشرب يضاف إليه فيفطر به؛ فإنه إنما يفطر بما فعله، وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه إذ لا تكليف بفعل النائم والناسي، وروي عن علي رضي الله عنه لا شيء على من أكل ناسيًا، وهو قول أبي هريرة وابن عمر، وعطاء وطاوس وابن أبي ذئب والأوزاعي، والثوري والشافعي وأبي حنيفة وإسحاق.

وقال ربيعة ومالك يفطر، لنا ما ثبت في «الصحيحين»[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أكل أحدكم أو شرب ناسيًا [فليتم صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه»** ورواه الترمذي وعنده: **«من أكل أو شرب ناسيًا]**[٢] **فلا يفطر؛ فإنما هو رزق رزقه الله»**.

وعند أبي داود[٣] أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أكلت وشربت ناسيًا، وأنا صائم فقال: **«أطعمك الله وسقاك»**. وروى هذا الحديث الدارقطني[٤] ولفظه: **«إذا أكل الصائم ناسيًا أو شرب ناسيًا؛ إنما هو رزق ساقه الله إليه، ولا قضاء عليه»**، وقال: إسناده صحيح. وله[٥] في

---

(١) لم أجده في «الصحيحين» بهذا اللفظ والذي فيهما: «من أكل ناسيا وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه» رواه البخاري (٦٢٩٢، ١٨٣١)، ومسلم (١١٥٥) عن أبي هريرة. والحديث باللفظ الذي ذكره المصنف عند الترمذي (٧٢١) وقال: حسن صحيح.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) أبو داود (٢٣٩٨)، وابن حبان (٣٥٢٢) قال الشيخ الألباني: صحيح قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) الدراقطني (٢/ ١٧٨). (٥) الدراقطني (٢/ ١٧٨).

لفظ آخر: « **من أفطر يومًا من رمضان ناسيًا؛ فلا قضاء عليه ولا كفارة**» قال الدارقطني: تفرد به مرزوق، وهو ثقة عن الأنصاري.

ولو احتلم وهو نائم لم يفسد صومه؛ لأنه عن غير اختيار منه فأشبه ما لو دخل حلقه ذبابة أو غبارًا، وهذه مسائل يحتاج الصائم المتدين إلى معرفتها وينتفع بها.

[سجع على قوله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به]

عباد الله قد مضى عنكم شهر رجب وشعبان، ولعل أكثر أيامهما ذهبت في العصيان، وهأنتم اليوم في شهر رمضان، وهو شهر الإعتاق من النيران لمن ترك الذنوب، واستحى من رقيب الصوم لي وأنا أجزي به. شهر أقبل على المقبولين بتكثير الأجور، وعلى الصادقين بتوفير النور، وعلى المتقين بالفرح والسرور، وعلى التائبين بتقويم الأمور، وعلى العامل بتكميل نصيبه الصوم لي وأنا الذي أجزي به.

شهر يتم به الإسعاد والتكريم، ويتفضل بجزيل الإنعام الملك الكريم، ويصفد فيه كل شيطان رجيم، ويعافى فيه مريض الخطايا السقيم إذا امتثل أمر طبيبه الصوم لي وأنا الذي أجزي به. شهر فيه تتوفر العطايا والمنح، ويتحصل فيه كل مأمول مقترح، ويتم للعابد ب«الثواب» الفرح، ويغفر للعاصي كل ما اجترح، ويعاد على من أصلح وصلح بإدنائه وتقريبه الصوم لي وأنا الذي أجزي به.

شهر فيه الأحباب بالدعاء يعجون، وبالتضرع في جميع أوقاته يضجون، وفي نهاره من الغفلات يتحرجون، وفي دياجيه للمولى الكريم

يُناجون، وبآمالهم إلى سيدهم يلتجئون، إذا سكن كل حبيب إلى حبيبه، الصوم لي وأنا الذي أجزي به. شهر يعفو فيه عن عباده الرؤوف الرحيم فاحفظوه لعله يحصل لكم جنان النعيم، ويقيكم في القيامة هول الجحيم إذا انزعجت القلوب لهيبة لهيبه، الصوم لي وأنا الذي أجزي به. لقد سعد من اتقى فيه ونجا، ولقد نال مأمول الغفران فيه ما رجا، ولقد تم حال من أفطر فيه على السؤال والتجى، وتسحر في جوف الليل وظلمة الدجا ببكائه ونحيبه، الصوم لي وأنا الذي أجزي به.

فصححوا رحمكم الله الفروض والنوافل، واحترسوا من سهام الغفلات القواتل، وتيقظوا قبل لحاق الأواخر الأوائل، واعتذروا في هذه الأيام القلائل؛ قبل أن يرد اعتذار العاصي بتكذيبه، واحذروا غيبة الناس؛ فإنها تحبط الأجر، وجانبوا أكل الحرام؛ فإنه سبب الطرد والهجر، وعظموا شهركم فإنه عظيم الأمر، وانتظروا فيه بحسن اليقظة ليلة القدر، فإنها غريبة غريبة وعجيبة عجيبة، الصوم لي وأنا أجزي به.

وإياكم فيه وفضول النظر والكلام، واجتهدوا في الصلاة والصيام، فإذا سلم رمضان سلم جميع العام، عساه يقيكم شر الوقوف على الأقدام يوم يفر المرء من أخيه والنسيب من نسيبه، الصوم لي وأنا الذي أجزي به، وحققوا في صيامكم التقوى والورع، ولازموا الحذر قبل يوم الفزع، وراقبوا مولاكم لعله إذا طلع منحكم أفضل المنح، ووهب لكم أحسن الخلع الصوم لي، وأنا الذي أجزي به.

واعلم أن للصائم عشر كرامات:

أولها: حسن الخطاب لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، فإنه جعل اسم الإيمان؛ سترًا للذنوب والعصيان.

الثانية: الفوز لدى الدعاء بالجواب لقوله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد لهم دعوة؛ الصائم حين يفطر، والإمام العادل، والمظلوم**»(١) .

الثالثة: تلقين الصواب كما روي أن الله تعالى قال لبعض الأنبياء عليهم السلام إني أعطيت أمة محمد ﷺ نورين كيلا تضرهم ظلمتان، فقال: يا رب وما النوران؟ قال: نور القرآن ونور شهر رمضان، قال: يا رب وما الظلمتان؟ قال: ظلمة القبر، وظلمة القيامة؛ فثبت بهذا أن الله تعالى ينور قبورهم، ويلقنهم حجتهم عند سؤال منكر ونكير، وذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

الرابعة: تيسير الحساب لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾، [قال بعضهم: يريد الله أن ييسر عليكم الحساب، ببركة الصوم ولا يعسر عليكم](٢). وقال ﷺ: «**توضع الموائد يوم القيامة للصائمين فيأكلون ويشربون والناس في الحساب**»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٨) وقال: حديث حسن.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٧٩ .

ومن لطيف الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أنه ﷻ وضع الصوم عن عبده في حال مرضه؛ لأن الصوم في الحقيقة صبر، وهو من أسماء هذا الشهر؛ فلم يحب ﷻ أن يجمع على عبده بين صبرين: صبر على الصوم، وصبر على المرض؛ فالأولى من كرمه وحلمه أن لا يجمع على عبده بين مشقتين: مشقة الطاعة في الدنيا، ومشقة العقوبة في الآخرة.

الخامسة: تكثير الثواب كما قال أبو أمامة الباهلي للنبي ﷺ دلني على عمل آخذه عنك، قال: «**عليك بالصوم فإنه لا عدل له**»[(١)] ذكره ابن الجوزي في «التبصرة».

السادسة: النجاة من العقاب لما ورد في الصحيح[(٢)] عن النبي ﷺ: «**الصوم جنة**»، وروي: «**الصوم جنة في الدنيا من الشيطان، وفي الآخرة من النيران**»[(٣)].

السابعة: حسن المآب، وذلك أن الله تعالى سمى الصائمين السائحين حيث قال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، قيل: هو الصائم لأنه يسيح في الجنة حيث يشاء، وقد روي: «**إن الجنة تشتاق إلى**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٠٣) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم والنسائي (٢٢٢٢) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) البخاري (١٧٩٥) ومسلم (١١٥١).

(٣) لم أقف عليه بعد البحث.

أربعة نفر: صائم رمضان وتالي القرآن، وحافظ اللسان، ومطعم الجيعان»[١].

الثامنة: تسهيل المصائب؛ لأن الله تعالى قرن ذكر الصوم بالتيسير حيث قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾؛ فتيسير جميع الأمور داخل في حكم هذه الآية.

التاسعة: قهر الهوى والشباب؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«يا معشر الشباب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»**[٢] معناه: أن الصوم يضعف شهوته ويقهرها عن طلب الجماع؛ فيحصل بذلك صيانة الفرج وعفته.

العاشرة: عفو رب الأرباب لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه»**[٣] ولقوله ﷺ: **«أتاكم شهر؛ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»**[٤] أنشدوا:

يا صائمين عن سواه أبشروا
قد نصبت منه لكم موائد
يوم الوصال ذاك يوم عيدنا
كما يسر بالبنين والد

---

(١) لم أقف عليه بعد البحث.

(٢) البخاري (١٨٠٦) ومسلم (١٤٠٠).

(٣) البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

(٤) تقدم تخريجه صـ ٣٣٢ .

فاحفظوا صيامكم بالتفرد عن كل شيطان مارد، وتعرضوا لنفحات القبول، وأحسنوا الظن بالله والعقائد؛ فتنبه يا من هو بالغفلة راقد، واعمل على النجاة وازرع الخير؛ فالعبد لما زرع حاصد؛ فالأعمال بخواتيمها فجد واجتهد لعلك أن تنال الأرباح والفوائد، وتدخل الجنة وإلى الله تعالى يوم المزيد تنظر وتشاهد، فلا عيش إلا عيش الآخرة، وهذه الدنيا زائلة كأضغاث أحلام تمر وتفنى، ولا يبقى إلا الإله الواحد.

واعلموا؛ -وفقنا الله وإياكم والمسلمين أجمعين- أن موجب التكليف ألزم الأنام عهدة الصيام وعصمة الذمام[1]، وحرم ارتكاب الآثام بمنصوص الحلال والحرام، وشرع الشرائع لما فيها من عموم حكم المنافع للخاص والعام، فالرب ﷻ؛ قد فضلكم معاشر المسلمين وطوائف المؤمنين على من كان قبلكم من الأمم الغابرين، والخلائق السالفين؛ لأنه ﷻ أمرهم بما فرض عليهم فتقاعدوا، وقربهم من خدمته عن مأموراته فتباعدوا، وتخالفوا في تكليفه وانحرفوا. وتولوا عن مأموراته وانصرفوا.

وشق عليهم امتثال ما أمر، والانتهاء عما عنه زجر، فقال تعالى إعرابًا عن رفعة قدركم، وتعريفًا لعلو أمركم وتبيانًا لمكانتكم وقربكم، وتخجيلاً لمن تقدمكم، وإظهارًا لفضلكم ونبلكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ ثم سبق علمه بعدم صبركم على استدامة الطاعات، وميل طباعكم المنقلبة عن ملازمة

---

(١) الذمام؛ هو العهد والأمان والضمان. انظر النهاية في «غريب الحديث» (٢/ ٤٢١).

التكليفات، واضطراب أنفسكم عند تتابع المشروعات، فقال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

ثم تكرم عليكم ﷻ وعذر، واقتطع من المدة أيام المرض والسفر، واستثناها من حال الصحة والحضر؛ كيلا يعتوركم في دينه ضجر فقال جل عن صفات البشر ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ثم ألزم الصيام من قدر على الأداء، وكلف من عجز عنه تحمل الفداء؛ كيلا يشق عليكم سبيل الاهتداء، ثم ميَّزكم بوقت شرفه على جميع الأوقات، وضاعف فيه تتابع البركات، وأنزل فيه جبريل بالقرآن وقال جل عن صفات النقصان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

ثم لطف بكم فسهل القل والكثر، وجنَّبكم في أوامره العسر والضر فقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، ثم عرفكم تعظيم أوامره بإكمال العدة عند امتثال ما به تؤمرون، وأمركم بتكبيره على ما هداكم وما تعملون، وبشر بتوفيقه لما تقبلون من فرضه وتمتثلون فقال تعالى عما يقول الظالمون: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

سجع على الآية الكريمة:

اسمع؛ يا من طول سنته قد نام؛ انتبه لهذه الأيام، واحذر غفلة الطغام، وخذ قدر البلغة من الطعام، واسمع قول الملك العلام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

يا مريضا لا يقبل من طبيبه، هذا شهر الحمية قد جاء لتهذيبه، صن لسانك عن اللغو فكم تهذى به فالصوم لِي وأنا الذي أجزي به، ولكن أين الصيام، هذا شهر عمارة المحراب، هذا زمان حضور الألباب، هذا وقت تلاوة الكتاب للمتقين فيه على الباب كدٌ وزحام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾. شهر فيه تكف النفوس كأنها في حبوس، وتظمأ عن الكؤوس، وتطرق من الخشية الروؤس عن النظر الحرام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

شهر تملأ فيه المساجد، ويخشع فيه الراكع والساجد، وينهض إلى الخير كل قاعد، ويصير الراغب كالزاهد، من قلة الطعام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾. شهر التعبد والتراويح، شهر السهر والمصابيح، شهر المتجر الربيح، شهر يترك فيه القبيح وتهجر الآثام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [فيه تصح الأمور، فيه تراق الخمور، فيه يبطل المزمور فيبطل معبد وزمام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾](١).

فيه تغل الشياطين، فيه يُعرف قدر الدين، فيه يتشبه المسيء بالمحسنين، وبالكبير العاقل الغلام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ فيه ترق القلوب، فيه تغفر الذنوب، وتتجافى المضاجع الجنوب، فتجفوا لذيذ المنام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾. فيه يقل الفضول، فيه تحفظ الأصول، يتمنى العابد ويقول ليت هذا الشهر دام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ففارقوا المألوف، واحذروا الخلاف، ليقع الخلوف، فإنه شهر بالخير

---

(١) مثبت من (ق).

معروف، فطوبى ثم طوبى لمن صام، أيقظوا فيه الأسماع والأبصار، واحبسوا عن الفضول اللسان المهذار، وانهضوا للاستغفار وقت (الأسحار)[(١)]، واعجبًا لمن ينام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

لازموا المساجد وتزودوا، واجتمعوا على الفلاح والخير بعد العيد، ولا تتبدوا، وتصبروا عن الخطايا وتسددوا فإنما هي أيام، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ اعزموا على ترك القبائح في السنة، واعملوا ما يصلح الضريح فإلى كم سِنة، هذا ما يقول لكم الناصح والسلام.

[قال:][(٢)] والنصائح في هذا الشهر كثيرة، والمصالح فيه وافرة غزيرة، فالسعيد من قَبِل وعمل، والشقي من طُرد وخُذل، ثم قال: النصائح فيه إطعام الطعام وتفطير الصوّام؛ رجاء الفضل والإنعام.

روى ابن الجوزي في «التبصرة» بسنده عن زيد بن خالد الجهني عن النبي ﷺ أنه قال: **«من فطر صائمًا كان له أو كتب له مثل أجرالصائم من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئًا، ومن جهز غازيًا في سبيل الله كان له أو كتب له مثل أجر الغازي من غير أن ينقص من أجر الغازي شيء»** أو قال: **«ينقص شيء»**. خرّجه الإمام أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم[(٣)].

---

(١) في (ك): «الاستغفار».

(٢) سقط من (ك).

(٣) أحمد (١٧٠٧٤) والترمذي أوله فقط (٨٠٧) وقال: حسن صحيح والنسائي في «الكبرى» (٣٣٣٠) وابن حبان (٤٦٣٣).

وخرّج ابن خزيمة في «صحيحه»[١] مرفوعًا في فضل شهر رمضان وفيه: «**من فطر صائمًا؛ كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، ويعطى هذا الثواب لمن فطر صائمًا ولو على مذقة لبن أو شربة ماء**». روى الترمذي[٢] وصححه عن زيد بن خالد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فطر صائمًا؛ كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء**» وكان حماد بن سلمة الإمام الحافظ؛ يُفطّر في كل ليلة من رمضان خمسين إنسانًا؛ فإذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبًا ثوبًا، وكان يعد من الأبدال.

حكى شيخنا الحافظ عماد الدين في كتابه «الأعلام»: أن حمادًا هذا توفي في سنة قسر يعني توفي في سنة سبع وسبعين ومائة بالجمل وحسابه. عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: من فطر صائمًا في رمضان من كسب حلال؛ صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها. عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال)[٣]: لأن أفطر صائمًا أحب إليّ من أن أعتق مائة نسمة، وكذلك من دل على خير أو على شيء من أفعال البر والخير؛ فله مثل أجر فاعله، كما في حديث عقبة بن عمرو الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «**من دل على خير؛ فله مثل أجر فاعله**» رواه مسلم[٤].

---

(١) ابن خزيمة (١٨٨٧) وقال: إن صح الخبر قال الأعظمي: إسناده ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان؛ ضعيف.

(٢) روى الترمذي أوله فقط (٨٠٧) وقال: حسن صحيح.

(٣) غير موجودة في (ق): و(ك) والسياق يقتضيها.

(٤) مسلم (١٨٩٣).

وعن أنس أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو، وليس معي ما أتجهز [به، فقال: «ائت فلانًا وكان تجهز][1] فمرض، وقل له لا تحبس منه شيئًا فيبارك لك فيه» رواه مسلم[2]. وذلك كقوله ﷺ: «من جهز غازيًا؛ فقد غزا». ولهذا كان لنبينا محمدًا ﷺ مثل أجور العاملين من أمته؛ لأنه دليلهم عليه، ومرشدهم إليه.

[ثم قال][3]: يا شهر الصيام أين أرباب القيام، أين المجتهدون في جنح الظلام، أين الذين كانوا يهجرون المنام، ويتمنون لو كان رمضان على الدوام، ذهبوا إلا قليلاً منهم فعليهم السلام، وفي المعنى شعر:

لله ما أطيب ذاك السهاد
وما ألذ القرب بعد البعاد
وما أشد العجز من بعد ما
قد كنت من جملة أهل الوداد
يا ناسيًا للعهد عاملتنا
ثم تعللت بطيب الرقاد
بمن تشاغلت وأين الذي
حصلت كلا بل حرمت المراد
فإذا الذي عاملنا بالرضى
وحصل الزاد ليوم المعاد

(١) مثبت من (ق).
(٢) مسلم (١٨٩٤).
(٣) مثبت من (ق).

شمّر من اليوم ودع ما مضى
وكن فقيرًا ما مضى لا يعاد

هذا شهر رمضان الذي كتب الله عليكم صيامه، وأوجب عليكم تعظيمه واحترامه، وأجزل الثواب لمن أحيا ليله وقامه، كما قال رسول الله ﷺ: **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه»** رواه البخاري ومسلم[١].

ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: **إني أُلهِمُ في رمضان السموات والأرض، والطير والجبال والدواب أن يستغفروا لصائمي شهر رمضان،** ذكره في «طهارة القلوب» الدَيْرِيني. شعر:

كبرت همة عبد
طمعت في أن تراكا
من يصم عن مفطرات
ليس يهوى ما سواكا

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: **«من واظب على قراءة سورة يس في كل جمعة من شهر رمضان؛ طوقه الله بطوق الأمان يوم القيامة، وتوّجه بتاج الوقار، ونادى مناد على رؤوس الأشهاد هذا ثواب الله تعالى لك بتلاوة سورة يس في شهر رمضان»** من السفر الأول للمعري.

وفيه أيضًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: الذاكرون لله عز وجل في رمضان يغفر لهم، وسائل الله في رمضان لا يخيب.

---

(١) تقدم تخريجه صـ ٤٠٥ .

موعظة نافعة وروضة يانعة

لما سلسلت الشياطين في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام؛ انعزل سلطان الهوى، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل فلم يبق للعاصي عذر، نادى المنادي يا غيوم الغفلة تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي، يا أقدام المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلغي ماءك، يا سماء النفوس أقلعي، يا بروق الأشواق للعشاق المعي، يا خواطر العارفين ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي، يا جنيد اطرب، يا شبلي احضر، يا رابعة اسمعي.

قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام؛ فما منكم إلا من دعي: يا قومنا أجيبوا داعي الله، يا همم المؤمنين أسرعي طوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب وما دعي اللهم لا تطردنا عن بابك، يا كريم، هبت اليوم على القلوب نفحة من نسمات القرب، عند ذكر الصالحين تتنزل رحمة الرب، سعى يسار المواعظ للمهجورين في الصلح جاءهم عنوان الهناء بالعفو والصفح، وصلت البشارة للمطيعين بالوصل؛ انعزلت دولة الشيطان عنهم بالفصل، خُلِّصوا من أسر ذلك الرق، نجا المستوجبون النار بالعتق، في هذه الليالي الشريفة كل ليلة عند الإفطار يعتق الله ألف ألف عتيق من النار.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول إذا دخل أول ليلة من شهر رمضان: مرحبًا مرحبًا بالمطهر؛ خير كله صيام نهاره وقيام ليله،

والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله. ذكر هذا الأثر في «تنبيه الغافلين».

وفيه أيضًا عن أبي مسعود الأنصاري قال: ما من عبد صام شهر رمضان: في إنصات وسكون وذكر الله تعالى، وأحل حلاله وحرم حرامه، ولم يرتكب فيه فاحشة إلا انسلخ شهر رمضان يوم ينسلخ، وقد غفرت له ذنوبه كلها، ويبنى له بكل تسبيحة وتهليلة بيت في الجنة؛ من زمردة في جوفها ياقوتة حمراء في جوف تلك الياقوتة خيمة مجوفة؛ فيها زوجة من الحور العين عليها سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر تضيء له الأرض كلها.

وروي عن بعض الحكماء أنه كان يقول: إلهي قد ضمنت لصاحب المصيبة في الدنيا الأجر، وفي الآخرة الثواب، إلهي إن رددت علينا هذا الصوم؛ فلا تحرمنا أجر المصيبة يا معروفًا بالمعروف.

وقال السمرقندي فيه[1] أيضًا: حدثنا أبي بإسناده عن علي بن أبي طالب أنه قال: إنما اتخذ عمر بن الخطاب هذه التراويح من حديث سمعه مني قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لله ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى؛ يعبدون الله حق عبادته لا يفترون ساعة؛ فإذا كان ليالي شهر رمضان استأذنوا ربهم أن ينزلوا إلى الأرض فيصلون مع بني آدم؛ فينزلون كل ليلة إلى الأرض؛ فكل من مسَّهم أو مسّوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا**» فقال عمر: نحن أحق بهذا. فجمع التراويح ونصبها.

---

(١) «تنبيه الغافلين» (٤٦٥).

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج في أول ليلة من شهر رمضان فسمع القراءة ورأى المساجد تزهر، فقال: نوّر الله قبر عمر كما نوّر مساجد الله بالقرآن، وروي عن عثمان هكذا. انتهى.

وروي أن عمر رضي الله عنه إنما سن التراويح ليسمع المسلمون القرآن؛ لأنه روي أنه أتى بسارق فأمر بقطع يده، فقال: لمَ تقطع يدي؟ -وكان جاهلًا بالأحكام- فقال له عمر رضي الله عنه: بما أمر الله تعالى في كتابه، فقال: اتل عليَّ، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فقال السارق: والله ما سمعتها، ولو سمعتها ما سرقت، فأمر بقطع يده ولم يعذره، وسن التراويح ليسمع الناس القرآن.

وقد ثبت في «صحيح البخاري»(١) وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى الناس يصلون أوزاعًا متفرقين قال: أرى أن أجمع هؤلاء على قارئ واحد؛ فجمعهم على أُبي بن كعب رضي الله عنه.

ومن فضائل شهر رمضان؛ أن الله تعالى يجود فيه على عباده بالرحمة والمغفرة، والعتق من النار لا سيما في ليلة القدر كما سيأتي إن شاء الله تعالى في فضلها.

قال الشافعي رضي الله عنه: أحب للرجل الزيادة في شهر رمضان بالجود اقتداء برسول الله ﷺ؛ يعني: أنه أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان.

---

(١) البخاري (١٩٠٦).

وفي «المسند»[1] عن واثلة بن الأسقع ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، [وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»][2]؛ ولهذا كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان أكثر من غيره.

وقد كان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليالٍ، وبعضهم في كل سبع ليالي، وبعضهم في كل عشر، وكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وقد تقدم أن الشافعي كان يختم في شهر رمضان ستين ختمة، كان يقرؤها في غير الصلاة.

وكان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف، وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك؛ فأما في الأوقات المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها؛ فيستحب فيها الإكثار من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان، وهذا قول الإمام أحمد وغيره من الأئمة. قاله زين الدين ابن رجب في «لطائفه».

ومن فضائل الصيام أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، وكذلك القرآن؛

---

(١) أحمد (١٧٠٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٧٥)، و«الأوسط» (٣٧٤٠). قال الهيثمي (٩٥٩): فيه عمران بن داود القطان ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات.

(٢) مثبت من (ق).

كما في «المسند»[(١)] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتُه الطعام والشراب والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»** .

قال بعض السلف: إذا احتضر المؤمن يقال للملك شم رأسه، فيقول: أجد في رأسه القرآن، فيقال شم قلبه، فيقول: أجد في قلبه الصيام، فيقال: شم قدميه، فيقول: أجد في قدميه القيام، فيقال: حفظ نفسه يحفظه الله تعالى.

وأنشد ذو النون المصري -رحمة الله عليه- في ذلك شعر:

منع القرآن بوعده ووعيده
مُقل العيون بليلها لا تضجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه
فهمًا تذل له الرقاب وتخضع

هذا عباد الله شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، وفي بقيته مستمع، وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع، قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع[(٢)]،

---

(١) تقدم تخريجه صـ ٥٩ .

(٢) البلقع: هي الأرض القفر التي لا شيئ فيها. انظر النهاية في «غريب الحديث» (١/ ١٥٣).

والعاملون لله أنوار طاعتهم تلمع.

شعر:

يا قوم فاز الصالحون بالتقى
وأبصروا الحق وقلبي قد عمى
يا حسنَهم والليل قد جنهم
ونورُهم يفوق نور الأنجم
[ترنموا بالذكر في ليلهم
فعيشهم يطيب بالترنم][1]
قلوبهم للذكر قد تفرغت
دموعهم كلؤلؤ منتظم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت
وخِلع الرضوان خير القسمِ
ويحك يا نفس ألا تيقظٌ
[ينفع][2] قبل أن تزل قدمي
مضى الزمان في توانٍ وهوىً
فأدركي ما قد بقي واغتنمي

وقال أبو سليمان الداراني: لأن أصوم النهار وأفطر على لقمة حلال؛ أحب إليَّ من قيام الليل والنهار، وحرام على شمس التوحيد أن تحل قلب عبد في جوفه لقمة حرام، ولا سيما في وقت الصيام. شعر:

---

(١) مثبت من (ق).
(٢) مثبت من (ق).

قــل لــمــن صــلــى وصــامــا
هــل تــجــنــبــت آثــامــا؟
أم تــوقــيّــت لــدى الإفــطــار
مــأكــولًا حــرامــا؟
إن يــكــن ذاك فــقــد
فــزت وأخــلــصــت الــصــيــامــا
لا تــغــرنــكــم الــدنــيــا
وإن كــانــت مــنــامــا

أيها المجتهد هذا ربيع جدك، أيها الطالب هذه أوقات رفدك؛ تيقظ يا أيها الغافل من سِنة البطالة، تحفظ أيها الجاهل من شُبه الضلالة. اغتنم سلامتك في شهرك قبل أن تُرهن في قبرك، قبل انقراض مدتك وعدم عُدتك، وإزماع قوتك وانقطاع صوتك، وعثور قدمك وظهور ندمك؛ فإن العمر ساعات تَذهب وأوقات تُنهب، وكلها معدودة عليك، والموت يدنوا كل لحظة إليك.

وعن سري السقطي أنه قال: السنة شجرة، والشهور فروعها والأيام أغصانها، والساعات أوراقها وأنفاس العباد ثمرها؛ فشهر رجب أيام توريقها، وشعبان أيام تفريعها، ورمضان قطفها، والمؤمنون قُطّافها؛ فالسعيد من اغتنم هذه التجارة في موسم شهرها، وحث النفس على السير إلى الله في أيام عمرها، ونسأل الله تعالى التوفيق والهداية إلى أحسن طريق وأن يجعلنا وإياكم من خير فريق، إنه على ذلك قادر،

ولذنوب (المذنبين)[1] غافر.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، واشملنا في صومنا بصونك، وأيّدنا بحفظك وعونك، وأرنا آخر شهرنا كما أريتنا أوله في عافية، وتمم علينا نعمتك الوافرة الصافية، وارزقنا الإخلاص في أعمالنا والصدق في أقوالنا، وعد علينا بإصلاح قلوبنا وأحوالنا، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين[2].

(١) في (ق): «المؤمنين».

(٢) في «ق» حاشية: تم الجزء الأول بحمد الله تعالى وعونه.

المجلس الرابع عشر

في العشر الأوسط من شهر رمضان وذكر نصفه

الحمد لله المنفرد بالقدم والبقاء، والعظمة والكبرياء، والعز الذي لا يرام، الواحد لا من عدد، الملك لا بجيش وعدد، العلي عن مُداناة الأوهام، الصمد؛ الذي لا يمثله الذهن، ولا يحده الفكر، ولا تدركه الأفهام، القدوس الذي تنزه عن أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الأجسام، الغني عن جميع المخلوقات؛ فالعلوي والسفلي، والإنسي والجني، والعرش والكرسي؛ مفتقرة إليه، وهو الغني على الدوام، سبق الزمان فلا يقال متى كان، وخلق المكان فلا يقال أين كان، ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

الحي العليم القدير، السميع البصير [المدبر الخبير][١]، المتكلم بكلام قديم أزلي لا يشبه الكلام؛ صفاته كذاته فلا وجه للجدال والخصام، ترك المعطل ما ورد به النقل من صفات الكمال؛ فحار على وجهه وهام، وجهل المشبه ما شهد به العقل من صفات الجلال فهو يخبط في الظلام.

وجمع المحقق بين النقل والعقل؛ فآمن بالله واستقام، وشغله عن الفكر في ذات الله الإجلال والإعظام، ووجد لذة مناجاة مولاه فهجر لذيذ المنام، وصحب رفقة تتجافى جنوبهم عن المضاجع؛ رغبة في

(١) مثبت من (ق).

القيام، فلو رأيتهم وقد سارت قوافلهم في حندس[١] الظلام: واحدًا يسأله العفو عن زلته، وآخر يرجو منه جزيل مثوبته، وآخر يشكو إليه ما يجد من لوعته، وآخر شغله ذكره عن مسألته؛ فسبحان من أيقظهم والناس نيام.

فتبارك الذي غفر وعفا وستر وكفى، وعلم ما ظهر وخفا، وأسبغ على الكافة جميل الإنعام، أحمده على جميع نعمه الوافرة الجسام، وأسأله حفظ نعمة الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله عز من اعتز به فلا يضام، وذل من تكبر عن أمره ولقي الآثام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بين الحلال والحرام، حتى عرف طريق القوام، وأنزل عليه تعظيمًا لحقه وتشريفًا، وتبيينًا لمنته وتعريفًا ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه صلاة دائمة إلى يوم العرض والمقام، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأيقظنا من سِنة الغافلين، وارزقنا معرفة الموقنين، والطف بنا يا رب العالمين؛ برحمتك يا أرحم الراحمين، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار بحولك وقوتك يا عزيز يا جبار يا حليم يا غفار.

---

(١) الحِندِسُ؛ الليل الشديد الظلمة. انظر «مختار الصحاح» (١/ ١٦٧).

فصل

عباد الله؛ إن شهركم هذا قد مضى منه العشر الأول، وها أنتم في الوسط فاحذروا من الزيغ، ولا تركنوا إلى الشطط، وأجمعوا الهمة فيه للاعتكاف، وانتصفوا من أنفسكم أي انتصاف، وجنبوها عما هي عليه من الخلاف، وانبذوا راحتها في طاعة الرحمن وراء جبل قاف؛ فمن تعب اليوم استراح غدًا في القيامة، ومن أتبع نفسه هواها نِدم حيث لا تنفعه الندامة؛ فاغتنموا إحياء هذا العشر والعشر الأخير، وقد حصلتم على الخير والأجر الكثير، وأحييتم سنة نبيكم البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة لا تبيد ولا تبير.

عباد الله هذه أوقات زواهر ما أشرفها، وساعات كالجواهر ما أظرفها؛ أشرقت لياليها بصلاة التراويح، وأنارت أيامها بالصلاة والتسبيح؛ فاجتهدوا فيها على الإخلاص والصدق؛ لعلك أن تدرك الخلاص والعتق؛ فطوبى لمن غنمها بصحوه، وغسل فيها درن التقصير بمحوه، وصرفها عن شهواته وأغراضه، ورجع إلى طاعة ربه خوفًا من إعراضه، والويل لمن عدم بجهله فوائدها، وحرم بتقصيره رفائدها، وآفات نفسه لغفلته خيرها؛ أملًا منه أن يرى غيرها، فيا أيها المحسن فيما مضى منه دُم، ويا أيها المسيء وبخ نفسك على التفريط ولُم؛ إذا خسرت في هذا الشهر فمتى تربح، وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد فما تبرح.

كان قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: كان يقال: من لم يغفر له في رمضان فلن يغفر له

شعر:

إذا الروض أمسى مجدبًا في ربيعه
ففي أي حينٍ يستنيرُ ويخصبُ

يا هذا؛ قدم دستور الحساب قبل الغروب؛ فإن وجدت خللًا فارقعه برقعة استغفار، فإذا جاء السحر فاعقد عقد «الزهد» في الدنيا عند نية الصوم، وتجرع جرعة دمعة في آناء ركعة؛ لعلك تطلع على خبايا خفايا ما أعد للصائمين من ستور﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] .

وقد ثبت في «الصحيحين»(١) عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف في العشر الأوسط من رمضان؛ فاعتكف عامًا حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال: «**من كان اعتكف معي؛ فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها؛ فالتمسوها في العشر الأواخر في وتر**» فمُطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فوكف(٢) المسجد، فبصرت عيناني رسول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين. وهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر «الأوسط»؛ لابتغاء ليلة القدر فيه، وهذا السياق يقتضي أن ذلك تكرر منه قبل أن

(١) البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١١٦٧).

(٢) معناه نزل المطر من سقفه. انظر «المغرب في ترتيب المعرب» (١/ ٤٩٤).

يتبين له أنها في العشر الأواخر؛ فلما تبين له ذلك اعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله ﷻ.

وروي من حديث عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي ﷺ كان إذا كان ليلة تسعة عشر؛ شد المئزر وهجر الفراش حتى يفطر**»[(١)]، [وقد رُوي عن طائفة أنها تطلب ليلة تسعة عشر][(٢)]، وقالوا: إن صبيحتها كان يوم بدر، وحكي عن أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة؛ أن ليلة القدر في النصف الأخير من رمضان من غير تعيين لها بليلة، وإن كانت في نفس الأمر عند الله مُعيّنة.

وروى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناد جيد عن الحسن أن عثمان بن العاص قال له: يا سيدي، إن البحر يعذب في هذا الشهر في ليلة قال: فلما كان تلك الليلة آذنه فنظروا؛ فوجدوه عذبًا فإذا هي ليلة سبعة عشر.

وحكي عن الحسن ومالك أنها ليلة ثماني عشرة، وروى ابن سعد عن الواقدي عن أشياخه أن المعراج كان ليلة السبت لسبعة عشر خلت [من رمضان قبل الهجرة إلى السماء، وأن الإسراء كان ليلة سبعة عشر خلت][(٣)] من ربيع الأول، وهذا على قول من فرق بين المعراج والإسراء، فجعل المعراج إلى السماء كما ذكره في سورة النجم،

---

(١) العقيلي (١١٨٧) في ترجمة عمر بن مسكين ونقل فيه قول البخاري: عمر بن مسكين عن نافع لا يتابع عليه أ هـ والحديث المذكور من روايته عن نافع.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

والإسراء إلى بيت المقدس خاصة، كما ذكره في سورة سبحان، وقد تقدم ذكر الإسراء والمعراج في شهر رجب بفوائده، وما جمع فيه من أخباره وغرائبه ومعانيه يظهر ذلك للمنصف إذا نظر فيه والله المستعان.

وقد سبق أن من لطف الله تعالى بعباده في شهر رمضان أن تغل فيه الشياطين، ومردة الجن عن أمة محمد ﷺ حتى لا يقدروا على ما كانوا يقدرون عليه في غيره من تسويل الذنوب والمعاصي، ولهذا تقل المعاصي في شهر رمضان في الأمة، وقد تقدم ذلك بدليله.

وخرج الإمام أحمد[(١)] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**أُعطيت أمتي خمس خصال لم تعطها أمة قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك حين يفطر، ويزين الله كل يوم جنته، ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى، (ويصيروا)[(٢)] إلى رحمتي وكرامتي، وتستغفر لهم الملائكة حين يفطروا، وتصفد فيه مردة الشياطين؛ فلا يخلصون فيه كما كانوا يخلصون في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة منه**».

وفي «صحيح ابن حبان»[(٣)] عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**في ليلة القدر لا يخرج شيطانها حتى يخرج الفجر**»، ويروى[(٤)] أن الشيطان يطلع

---

(١) رواه أحمد (٧٩٠٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٩٦٣). قال الهيثمي (٤٧٧٨): فيه هشام بن زياد أبو المقدام؛ ضعيف.

(٢) في النسختين «ويفيضوا»، والمثبت هو الموافق لما في «مسند أحمد» و«مجمع الزوائد».

(٣) ابن خزيمة (٢١٩٠)، ابن حبان (٣٦٨٨) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٧٦٢) عن أُبي بن كعب.

مع الشمس كل يوم إلا ليلة القدر، وذلك أنها تطلع لا شعاع لها. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ولا يحدث فيها أذًى. وعن أنس مرفوعًا: «**أنه لا تسري نجومها، ولا تنبح كلابها**» ورُوي أنه: «**لا ينفذ فيها سحر**»[(١)].

وكل هذا يدل على كف الشياطين فيها عن انتشارهم في الأرض، ومنعهم من استراق السمع فيها من السماء، وسيأتي الكلام على فضائلها ومعانيها في المجلس الآتي بعد في العشر الأخير وفضله إن شاء الله تعالى بزيادة على هذا؛ فلو عرفت يا ابن آدم شرف هذه الليلة الشريفة وفضلها ما أضعتها بالنوم والغفلة عنها؛ بل شددت المئزر واجتهدت في العبادة اقتداءً بنبيك محمد ﷺ.

يا معاشر المسلمين؛ أبشروا فهذه أبواب الجنة الثمانية في هذا الشهر لأجلكم قد فتحت، ونسماتها على قلوب المؤمنين قد نفحت، وأبواب الجحيم لأجلكم مغلقة، وأقدام إبليس وذريته من أجلكم موثقة، ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، ويستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار، كأن أفراخه قد غدا لهم بالشهوات أوكار؛ فهجروا اليوم تلك الأوكار.

نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار، خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان، فأمِنوا من عذاب النار؛ قصموا ظهره بكلمة التوحيد، فهو يشكوا أليم الانكسار، وفي كل موسم من مواسم الفضل

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥٤) والقرطبي (٢٠/ ١٣٧) بدون إسناد.

يحزن، وفي هذا الشهر يدعوا بالويل والثبور لما يرى من تنزل الرحمة والمغفرة للأوزار، غلب حزب الرحمن وهرب حزب الشيطان، فما بقي لهم من سلطان إلا على الكفار، عُزلت دولة الشيطان، وصارت التقوى دولة للسلطان، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

هذا عباد الله شهر رمضان كأنكم به وقد انتصف، فمن حاسب منكم نفسه لله وانتصف، من منكم قام لله في هذا الشهر بحقه وعرف؟ من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني فيها غرفًا من فوقها غرف؟ ألا إن شهركم هذا كأنكم به وقد أخذ في النقص، فزيدوا أنتم في العمل فكأنكم به وقد انصرف؛ فكل شهر فعسى أن يكون فيه خلف، وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف؟. شعر:

تنصف الشهر وا لهفاه وانهدما
واختص بالنور والجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرًا
مثلي فيا ويحه يا عُظم ما حُرما
من فاته الزرعُ في وقت الحصادِ فما
تراه يحصد إلا الهمّ والندما
طوبى لمن كانت التقوى بضاعتُه
في شهره وبتقوى الله معتصما

اسمع يا مضيع الزمان فيما ينقض الإيمان، ما أراك في رمضان إلا كما كنت في جمادى وشعبان، أما يسوقك إلى الخير ما يسوق، إلى متى سوق السوق إلى سوق الفسوق أوله سهل ثم تتخرق الخروق، كلما

حصد نباته بمنجل الصبر أخرجت العروق، وإن لذ في الفم شربه فشربه شجًا في الحلوق، وإنما لذات الدنيا كخطف البروق؛ ميز بين ما يفنى وما يبقى ترى الفروق خل خل التواني إن شئت أن تفوق.

عليك حافظ وضابط ليس بناسٍ ولا غالط، يكتب الكلمات السواقط؛ فأنت في ليل الحديث خابط تتعرض في الصباح والمساء للمساخط، يا من شاب إلى كم تغالط، لا بد لليل من فجر منير [كاشط، كيف ينهض اللهو واللعب إلا شامط؟ ماذا بنى وهذا الشيب خالط؟ أما تستحي وأنت](١) في الإثم وارط؟

يا قاعدًا عن التقى وفي الهوى ناشط؛ تيقظ لنفسك فقد مضى الفارط، وأبك على ذنبك ويكفي الفارط، وأصلح ما بقي وأقبل من الوسائط، جاهد هواك في الدنيا فالفخر للمرابط، انظر لمن تعاشر واعرف لمن تخالط؛ احذر جزاء المقسط عليك يا قاسط، لا تغتر بالسلامة فربما قبض الباسط (في)(٢) لنا بالشروط ونحن نفي بالشرائط، ذكر نفسك بالموت ذاك الشديد (الضاغط)(٣)، إذا تحيرت في الأمور وزال الجيش الرابط، لا تنفع (الأقارب)(٤) ولا تدفع الأراهط، ونفَس النفْس يخرج من سم إبرة خائط.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) كذا في النسختين ولعل صوابها «فِ» بمعنى «أوف».

(٣) في (ك): «الضابط».

(٤) في (ك): «الأفعات».

طوبى لعبد بالغ في جواره، واحتفر بكف فكره قبل احتفاره، وانتهب زمانه بأيدي بداره، وأعذر في الأمر قبل شيب عذاره، ولم يرض في زاده بقليله واختصاره، ورأى عيب الهوى فلم يصطل بناره، ودافع الشهوات وصابر المكاره؛ إن بحثت عنه رأيته صائم نهاره، وإن سألت عن حاله فقائم أسحاره، وإن تلمحته فالزفير في إصعاده، والدمع في انحداره، ولا يتناول من الدنيا إلا قدر اضطراره؛ باعها فاشترى بها ما يبقى باختياره، هل فيكم متشبه بهذا أو على نجارة النجار مثبت الرحل وخشبه، المعنى هل فيكم من تعلو همته ويجتهد مثل هذا؟ والنجر أيضًا في اللغة الطبع فكأنه يقول: هل فيكم من هو على طباعه؟.

يا حسنه ومصابيح النجوم تُزهر، والناس قد ناموا، وهو في الخيرات يسهر، غسل وجهه من ماء عينيه، وعين العين أطهر؛ فلما قضى ورد الدجى جلس يتفكر؛ فخطر على قلبه كيف يموت وكيف يقبر، وتصور صحائفه كيف تُطوى، وكيف تُنشر؛ فهام قلبه في بوادي القلق وتحير، فطلق الدنيا ثلاثًا، وهل يُستوطَنُ مَعبر.

شعر:

طوي مدة من دهره دار زخرف
إلى أبدٍ ذي سندس وحرير
ألا تلكم الدنيا التي حل أهلها
بناء عن الخطب المخوف شطير
لهم ما اشتهوا فيها مسوقًا إليهم
مقودًا إذا شاءوا بغير جرير

واعلموا أن النصف الأخير من شهر رمضان أفضل من الأول؛ لأن فيه العشر الأول[(١)] وليلة القدر، والأعمال تضاعف بشرف أوقاتها ومكانها. شعر:

قد بلغ الشهر إلى نصفه
وما على الشهر بالراضي
ظلمت صوم الشهر في حقه
يا ويلتا إن عَدل القاضي

أترى صح لك صوم يوم؟ أترى تسلم في شهرك من لوم؟ لفّيك خلوف أم فيك خلاف؟ أو تحب الطاعة وتكره العصيان وهو الإنصاف.

هذه أيام رمضان؛ هي التاج على رأس الزمان، وصل توقيع القدم من الرحيم الرحمن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ يا له من وقت عظيم الشان، تجب حراسته مما إذا حل شان، كأنكم به قد رحل وبان، ووجه (الصبح)[(٢)] ما بان، من اللوازم فيه أن تمنع من الخطأ في الخطى القدمان؛ زنوا أفعالكم في هذا الشهر بميزان، واشتروا خلاصكم بما عز وهان؛ فإن عجزتم فسألوا المعين وقد أعان. قد ذهب نصف البضاعة في التفريط والإضاعة، والتسويف يمحو ساعة بعد ساعة، والشمس والقمر بحسبان، يا واقفًا في مقام التَحير هل أنت على عزم التغير؟ إلى متى ترضى بالتبذير في منزل الهوان، هل مضى من صومك يوم صالح سلمت

---

(١) الصواب «الأواخر».

(٢) في (ق): «الصلح».

فيه من حوائج القبائح؟ تالله لقد سبق المتقي الرابح، وأنت راض بالخسران.

عينك مطلقة في الحرام، ولسانك منبسط في الأنام، ولأقدامك على الذنوب إقدام، والكل مثبت في الديوان، قلبك غائب في صلاتك، وذكرك ينقضي في شهواتك؛ فإن ركن إليك معامل في معاملاتك؛ دخلت به خان من خان. أكثر كلامك لغو وهذر، والوقت بالتفريط شذر مذر، وإن اغتبت مسلمًا لم تبق ولم تذر، الأمان منك الأمان.

تالله لو عقلت حالك وتذكرت ارتحالك، أو تصورت أعمالك لبنيت بيت الأحزان، سيشهد رمضان عليك بنطق لسانك، ونظر عينيك، وسيشار يوم الجمع إليك شقي فلان وسعد فلان؛ في كل لحظة تُقرب من قبرك؛ فانظر لنفسك في تدبير أمرك، وما أراك إلا كأول شهرك؛ الأول والآخر سيان، قد ذهب من شهرك النصف، وما أرى من عملك النصف وإن كان في الماضي [قد قبح الوصف][(١)] فقم من الآن.

لله تعالى در تلك القلوب الطاهرة: أنوارها في ظلام الدجى ظاهرة، رفضت حلية الدنيا وإن كانت فاخرة كم تركت شهوة وهي عليها قادرة؟، باتت عيونها والناس نيام ساهرة، زفرات الخوف تثير سحائب الأجفان الماطرة، يندبون على الذنوب وإن كانت نادرة، كم بينك وبينهم يا بائع الآخرة، شيب وعيب أمثال سائرة أمل مع هدم هذه نادرة.

كم أقوام أمّلوا هذا الشهر؟ فخاب الأمل، أين هم؟ خلوا في الألحاد

---

(١) مثبت من (ق).

بالعمل، تالله إن نسيان النقل في العقل خلل، أما يكفي زجر المقيم من رحل؟

سار الصالحون على منهاج الصدق وما تابعت الآثار، ورفضوا فضول الدنيا، وحرصت على الإكثار، وعرفت شرف رمضان وفضل الصدقات ولم تكن صاحب إيثار فمن لك إذا انتثرت النجوم أسرع انتشار؟ وقيل للمفرط: لم ضيعت؟ وما أُقيل العثار، وفاز أهل الجنة بالجنة، وخاب أهل النار؛ فانهض وقف على قدم الذل والاعتذار، وتنبه لخدمة مولاك في الأسحار، وابك على ذنوبك، والبس حلل الانكسار.

اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، وارزقنا الإخلاص والتقى، والخلاص يوم اللقا، وتحمل بفضلك صيانتنا، وتمم بمنّك إعانتنا، وأيقظنا من رقدة أهل الغفلة، وهب لنا أعمالًا تصلح للنقلة، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخاتمة أواخرها مستقيمها، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

المجلس الخامس عشر

في العشر الأخير من شهر رمضان

الحمد لله الذي ملك البرايا غربًا وشرقًا، وكوّن الأشياء وأحكمها خلقًا، وربى عباده بجوده لطفًا ورفقًا، وقسمها كما شاء فأسعد وأشقى، وأمات وأحيا، وأفنى وأبقى، وانفرد بوجوب البقاء وحده حقا، وقضى فأقضيته لا تُتوقى، وحكم عدلًا وقال صدقًا، وفتق السماء والأرض، وكانتا رتقا، وأبان بالعبر إلى مقام الهدى طرقا، وأرسل السحاب يُظهر رعدًا وبرقًا، و ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ﴾.

أحمده وهو بالحمد جدير، وأستعينه وهو على العون قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة ادخرها لنجاحي، وأرجوا بها فوزي وصلاحي.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، وأعلى مقامه على سائر الخلق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن احتذى حذوه في مناهجه، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آلي محمد، وألهمنا ذكرك، وأوزعنا شكرك، وهب لنا نصرك، وضاعف لنا أجرك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

عباد الله، إن عشركم هذا العشر الأخير، وفيه الخيرات والأجر الكثير، تكمل فيه الفضائل، وتتم المفاخر، ويطلع على عباده الرب الكريم العظيم القادر، وينيلهم «الثواب» الجزيل الوافر، فيه تزكوا الأعمال وتنال الآمال.

وكان رسول الله ﷺ يسهر ليله، ويحمل كَلّه، ويقوم الليل كُله، فالسعيد من أكرمه وأجلَّه، والبعيد من أهانه واستقلَّه، وقد روي عن النبي ﷺ تعظيم هذا العشر على باقي الشهر، وكان عليه السلام يخصه بالاعتكاف والقيام.

وثبت في «الصحيحين»[(١)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر؛ شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله**» هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «**أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشد المئزر**»، وفي رواية[(٢)]: «**كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره**»، كان ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها بقية الشهر، فمنها إحياء الليل، فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله، وقد روي عنها أنها قالت: «**وأحيا ليله كله**».

وفي «المسند»[(٣)] من وجه آخر عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يخلط**

---

(١) البخاري (١٩٢٠)، مسلم (١١٧٤).

(٢) مسلم (١١٧٥)

(٣) أحمد (٢٥١٧٩) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف جابر =

العشرين بصلاة ونوم؛ فإذا كان العشر شمّر وشد المئزر» .

ويحتمل أن يراد بإحياء الليل؛ غالبه. ونقل بعض الشافعية أنه تحصل فضيلة الإحياء بساعة، ونقل الشافعي في الأم عن جماعة من خيار أهل المدينة ما يؤيده. ونقل بعض أصحابه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إحياءها يحصل بأن يصلي العشاء في جماعة، ويعزم على أن يُصلي الصبح في جماعة.

قال مالك في «الموطأ»: بلغني أن ابن المسيب قال: من شهد العشاء يعني ليلة القدر -يعني في جماعة- فقد أخذ بحظه منها. قال الشافعي في القديم: من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها، وقال: والأصل في ذلك ما صح عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان أنه ﷺ قال: «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح**[1] **في جماعة فكأنما صلى الليل كله**» رواه مسلم في صحيحه[2]

شعر:

تيَقظ بساعات من الليل يا فتى
لعلك (تحظى)[3] في الجنان بحُورها
فتنعم في دار يدوم نعيمها
محمد فيها والجليل يزورها

= وهو ابن يزيد الجعفي، ويزيد بن مرة، ولجهالة لميس.

(١) بعدها في (ك): «ليلة القدر»، وليست في شيئ من طرق حديث عثمان.

(٢) مسلم (٦٥٦).

(٣) في (ق): «تحيى».

قال كعب الأحبار: ما من عبد يقوم من الليل، فيتوضأ، ويصلي ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

قال في «المغني»(١): وروى ابن ماجة في سننه(٢) عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال في المعتكف: «**هو يعتكف الذنوب، ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات كلها**»، وهذا الحديث ضعيف، وفي إسناده فرقد السبخي. انتهى، قال في الكاشف: فرقد السبخي ضعيف، وقال الدارمي عن يحيى: ثقة.

قال في «المغني»(٣): ولا نعلم بين العلماء خلافًا في أنه مسنون - يعني الاعتكاف- وقال الله تعالى فيه: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ويسن الاعتكاف للرجال والنساء، ولا يجب إلا بالنذر، ويصح من المرأة في كل مسجد، وتستتر بشيء؛ لأن أزواج النبي ﷺ اعتكفن كذلك.

وفي «الصحيحين»(٤): أن نساء رسول الله ﷺ كن يعتكفن في المسجد. ويجوز اعتكافها في مسجد بيتها عند أبي حنيفة والثوري، قاله

---

(١) «المغنى» (٣/ ١٢٢).

(٢) ابن ماجة (١٧٨١)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ضعيف؛ لضعف فرقد بن يعقوب السبخي البصري الحائك.

(٣) «المغنى» (٣/ ١٢٢).

(٤) البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٧٢).

أبو الخطاب في «روؤس المسائل» له.

وقال: (الصحيح)[١] اعتكافها في بيتها؛ لأن ما كان شرطًا في اعتكاف الرجل كان شرطًا في اعتكاف[٢] المرأة، ولا يصح من الرجل إلا في مسجد تقام فيه الجماعة، واعتكافه في مسجد تقام فيه الجمعة أفضل، ومن نذر الاعتكاف والصلاة في مسجد فله فعله في غيره من المساجد، إلا المساجد الثلاثة؛ فإذا نذر ذلك في المسجد الحرام لزمه، وإن نذره في مسجد المدينة؛ فله فعله في المسجد الحرام وحده، وإن نذره في المسجد الأقصى؛ فله فعله فيهما.

فائدة: قال في المغني[٣]: إذا أراد أن يبول في المسجد في طشت لم يبح له ذلك؛ لأن المسجد لم يُبن لهذا، وهو مما يقبح ويفحش (ويستخف)[٤] به؛ فوجب صيانة المسجد عنه كما لو أراد أن يبول في أرضه ثم يغسله؛ فما أقبح فعل من يبول فيه بمرأى من الناس ينظرون إلى عورته، ويستقبح ذو اللب سوء طويته، ويظهر له بذلك قلة مروءته نعوذ بالله من مثل حالته.

ومما يحكى من أفعال المتعبدين عن امرأة حسان بن أبي سنان قالت:

---

(١) كذا في النسختين ولعل الصواب «لا يصح».

(٢) سقط من (ك).

(٣) «المغني» (٣/ ١٤٩).

(٤) في النسحتين (يستخفي)، والمثبت هو الموافق لما في المطبوع من المغني.

كان زوجي إذا آوى إلى فراشه إلى جانبي؛ يخادعني كما تخادع المرأة ولدها أي يشاغلني، ويظهر النوم وليس بنائم فإذا علم أني قد نمت سلَّ نفسه، وقام إلى الصلاة إلى الصباح، قالت: فقلت له في بعض الليالي كم تحرم نفسك النوم ارفق بنفسك، فيقول: اسكتي؛ يوشك أن أرقد رقدة لا استفيق منها إلى يوم القيامة، وسيأتي حكاية زوجة حبيب العجمي، وما قالت لزوجها في الحث على قيام الليل، وكانت امرأة من المتعبدات تقول: عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد تحت أطباق الثرى.

هذا كان جدهم واجتهادهم في الدهر فكيف لا تجتهد أنت في إحياء ليالي هذا العشر، وفضل الاعتكاف كثير، وقد ذكر الشيخ سراج الدين ابن الملقن الشافعي في الأحاديث على الرافعي في كتابه «البدر المنير»[1] قال حديثا عن النبي ﷺ: **«من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة»** وقال: غريب انتهى.

وبلغني عن الشيخ شرف الدين يعقوب خطيب القاحة بحماة

---

(١) «البدر المنير» (٥/ ٧٦٩)، والحديث عند العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٢) عن عائشة بلفظ: من رابط بدل اعتكف، وأنس هذا منكر الحديث، وفي الباب عن ابن عباس عند الطبراني في «الأوسط» (٧٣٢٦). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢١٧): لم أر في إسناده ضعفا إلا أن فيه وجادة، وفي المتن نكارة شديدة.

المحروسة أنه كان يورد في مجلسه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل**» انتهى، وسألت عن هذا الحديث شيخنا العلامة ابن القرشي فقال: رواه ابن جرير في «مسنده» كذا قال، والله أعلم.

وقوله: فُواق ناقة؛ بفتح الفاء وضمها، والمراد به: رجوع اللبن في ضرعه بعد الحلب. ومعناه: أنه إذا حلب الدَّرَّة ثم حلب الأخرى فما بينهما يسير مختصر ومهلة قليلة، وقال الله تعالى: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] من رجوع، ولا ارتداد، والله أعلم.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من اعتكف عشرًا من رمضان كان بحجتين وعمرتين**»(١) ذكره في «الترغيب والترهيب».

وينبغي لمن حضر مجلس العلم أن ينوي الاعتكاف؛ لتحصل له فضيلة الاعتكاف عند الإمام الشافعي وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

والمذهب أن الاعتكاف يصح مع الصوم وعدمه؛ لما في «الصحيحين»(٢) أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ: إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة، وفي لفظ مسلم: يومًا في المسجد الحرام، قال: «**أَوْف بنذرك**»، ولحديث ابن عباس: «**ليس على المعتكف صيام**

---

(١) رواه البيهقي في «الشُعب» (٣٩٦٦، ٣٩٦٧) وضعفه في الموضعين. وضعفه المنذري (١٦٤٩). ورواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٢٨) قال الهيثمي (٥٠٢٥): فيه عنبسة بن عبد الرحمن القرشي؛ متروك.

(٢) البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١٦٥٦).

إلا أن يجعله على نفسه»، رواه الدارقطني[١].

وأقله عند الشافعي؛ مكث يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، وفي كلام جماعةٍ أقله ساعة لا لحظة، ولا يكفي عبور المسجد، وعند بعض الشافعية يجوز. وقال مالك وأبو حنيفة: لا يصح الاعتكاف بغير صوم، وهذه المقالة هي إحدى الروايتين عن أحمد.

فاغتنم فضيلة الاعتكاف في هذا العشر؛ لتحصل لك فضيلته بالإجماع، ويرجى لك به الفوز بالجنة، وطيب السماع من الرب الرحيم (الرحمن)[٢] إذا تجلى يوم المزيد لأهل الجنان.

قال شيخنا في «لطائفه» في فضائل هذا العشر الشريف ووظائفه:

ومنها: أن النبي ﷺ (كان)[٣] يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي، وفي حديث أبي ذر: أن النبي ﷺ لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين، وسبع وعشرين. أنه ﷺ دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة[٤]؛ وهذا يدل على أنه يتأكد إيقاظهم في آكد الأوتار التي ترجى فيها ليلة القدر.

---

(١) الدراقطني (٢/ ١٩٩)، والحاكم (١٦٠٣) وقال: حديث صحيح الإسناد. والبيهقي (٨٣٧٠) وقال: تفرد به عبد الله بن محمد بن نصر الرملي، وصحح وقفه على ابن عباس وقال: رفعه وهم. أ هـ، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع»: (٤٨٩٦).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) أبو داود (١٣٧٥)، والنسائي (١٦٠٥) قال الشيخ الألباني: صحيح.

وقد صح أن النبي ﷺ أنه كان يطرق باب فاطمة وعليٍّ ليلًا فيقول لهما: «**ألا تقومان تصليان**»[١]، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده، وأراد أن يوتر[٢].

وورد في الترغيب في إيقاظ إحدى الزوجين للصلاة، ونضح الماء في وجهه، كما روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته؛ فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها؛ فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» وأخرجه النسائي، وابن ماجة[٣].

وفي «الموطأ»[٤]: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان نصف الليل؛ أيقظ أهله للصلاة، ويقول: الصلاة، الصلاة، ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وكانت امرأة حبيب العجمي تقول له بالليل: لقد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قُدامنا ونحن قد بقينا.

---

(١) البخاري (١٠٧٥) عن علي.

(٢) البخاري (٤٩٠)، ومسلم (٥١٢) من حديث عائشة.

(٣) أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجة (١٣٣٦). صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع»: (٣٤٩٤).

(٤) «الموطأ» (٢٥٩) رواية يحيى الليثي.

ومنها: أن النبي ﷺ كان يشد المئزر واختلفوا في «تفسيره»، فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جده واجتهاده في العبادة، (كما يقال)[(١)]: فلان يشد وسطه، ويسقي في كذا، وهذا فيه نظر؛ فإنها قالت: جد وشد المئزر على جسده، (والصحيح)[(٢)] أن المراد اعتزاله النساء وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون، وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان. وفي حديث أنس: وطوى فراشه واعتزل النساء[(٣)]، وقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر غالبًا، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع. شعر:

إذا ما الليلُ أقبل كابدوه
فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوفُ نومهم فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود
أنينٌ منه تنفرج الضلوع

منها: تأخير الفطور إلى السحور، رُوي عنه من حديث عائشة وأنس أن النبي ﷺ كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورًا[(٤)].

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) الطبراني في «الأوسط» (٥٦٥٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨١) وفي سندهما حفص ابن واقد قال الهيثمي (٥٠٢٩): حفص بن واقد البصري قال ابن عدي: له أحاديث منكرة.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٥٣) قال الهيثمي (٥٠٢٩): فيه حفص بن واقد البصري قال ابن عدي: له أحاديث منكرة.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا دخل رمضان قام ونام؛ فإذا دخل العشر شد المئزر، واعتزل النساء، واغتسل بين الأذانين، وجعل العشاء سحورًا»، أخرجه ابن أبي عاصم[١]، وإسناده مقارب.

وفي «صحيح البخاري»[٢] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل؛ فليواصل إلى السحر» قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: «إني لست كهيئتكم؛ إني أبيت لي مطعم يطعمني، وساق يسقيني»، وقد تقدم ذلك في هديه ﷺ في صيامه، فالذكر قوت العارفين، يغنيهم عن الأكل والشرب.

ويتأكد كذلك تأخير الفطر في الليالي التي تُراد فيها ليلة القدر، قال زر ابن حبيش في ليلة سبع وعشرين: من استطاع منكم أن يؤخر فطره فليفعل.

روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن علي بن أبي طالب قال: من وافق ليلة القدر وهو يأكل أورثه داء لا يفارقه حتى يموت، وكأنه يريد إذا وافق دخولها أكله، والله أعلم.

ومنها: اغتساله بين العشاءين وقد تقدم من حديث (عائشة)[٣] واغتسل بين الأذانين والمراد أذان المغرب والعشاء، روي من حديث

(١) نقله ابن الرسام عن شيخه ابن رجب من «لطائف المعارف» (١/ ٢٠٧) وبنحوه رواه ابن النجار كما في «كنز العمال» (٢٤٤٨١).

(٢) رواه البخاري (١٨٦٢).

(٣) في (ك): «علي».

علي ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يغتسل بين العشاءين كل ليلة يعني من العشر»[١]، قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي هي أرجى لليلة القدر.

رُوي عن ثابت البناني وحميد الطويل أنهما كانا يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان، ويطيبون المسجد في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر، وكان لتميم الداري ﷺ حلة اشتراها بألف درهم كان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر؛ فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي تُرجى فيها ليلة القدر: التنظف والتطيب بالغُسل، والطيب واللباس الحسن، وكذا يُشرع ذلك في الجُمع والأعياد.

وكان الإمام مالك يتجمل بأحسن الثياب ويتطيب إذا حضر مجلس العلم، ويقول: أُعظِم حديث رسول الله ﷺ، وكذلك يشرع اتخاذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات، قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] الآية. وقال ابن عمر: الله أحق أن يتزين له.

واعلم أنه لا يكتمل (التزين)[٢] إلا بتزين الباطن بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها يعني آثارها؛ فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا يغني شيئًا، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ﴾ [الأعراف: ٢٦]،

---

(١) ضعفه ابن رجب في «لطائف المعارف» (١/ ٢٠٧).

(٢) في (ق): «التزاين».

شعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى
تقلب عريانا وإن كان كاسيا
وخير خصال المرء طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصيا

واعلم أنه لا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوات؛ إلا من زين ظاهره وباطنه وطهرهما؛ خصوصًا لملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، ولا ينظر إلى صوركم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم؛ فمن وقف بين يديه قد زين له ظاهره باللباس، وباطنه بلباس التقوى؛ فذلك خير له وأقوى.

وفي «الصحيحين»(١) عن عائشة رضي الله عنها **«أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى»**، وفي «صحيح البخاري»(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام؛ فلما كان العام الذي قُبض فيه؛ اعتكف عشرين يومًا. وإنما كان يعتكف في كل رمضان هذا العشر الذي تُطلب فيه ليلة القدر؛ قطعًا لأشغاله وتفريغًا لباله، وتخليًا لمناجاة ربه سبحانه وذكره ودعائه وكان يحتجر حصيرة يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس، ولا تعليم علم وإقراء قرآن؛ بل الأفضل له الانفراد بنفسه، والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه، انتهى.

---

(١) البخاري (١٩٢٢)، مسلم (١١٧٢).
(٢) البخاري (١٩٣٩).

قال في المغني[1]: قال أبو الحسن الآمدي في استحباب ذلك قولان، واختار أبو الخطاب أنه مستحب إذا قصد به طاعة الله لا المباهاة، وهذا مذهب الشافعي؛ لأن ذلك أفضل العبادات، ونفعه يتعدى فكان أولى من تركه كالصلاة.

قال شيخنا ابن رجب[2]: وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية وإنما يكون في المساجد؛ لئلا تترك به الجمعة والجماعات؛ فإن الخلوة القاطعة عن الجمعة والجماعة منهي عنها. وسئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة؟ قال: هو في النار. فالخلوة المشروعة لهذه الأمة؛ هي الاعتكاف في المساجد خصوصًا في شهر رمضان في العشر الأواخر كما كان النبي يفعله؛ فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه وعكف بقلبه وقالبه على طاعة الله وما يقرب منه؛ فما بقي له همٌّ سوى الله وما يرضيه عنه.

كما روي عن داود الطائي أنه كان يقول في ليله: همّك عطل عليَّ الهموم، وخالف بيني وبين السُّهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات، وحال بيني وبين الشهوات.

فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق؛ للاتصال لخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به؛ أورثت

(١) «المغني» (٣/ ١٤٦)

(٢) «اللطائف» (١/ ٢٠٧).

صاحبها الانقطاع إلى الله بالكلية على كل حال.

قال بعض العارفين: أوحشتني خلواتي بكم من كل أنيس، وتفردت فكنت لي نعم الأنيس، ولهذا كان بعضهم لا يزال متفردًا في بيته خاليًا بربه فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف استوحش، وهو يقول أنا جليس من ذكرني، انتهى.

فبادروا رحمكم الله ما بقي من شهركم؛ فإنه مغتنم، واستدركوا ما فات بالحسرة والندم؛ فمن أصلح ما بقي واستدرك ما مضى؛ نال الفوز، وأدرك الرضا، ومن أفسد بالمعاصي أيام عشره ندم حين الأخذ بالنواصي يوم حشره؛ فيا مصلحًا في أيام شهره الماضية هذا العشر أحسنها، ويا مجتهدًا فيما خلا منه هذه الأيام أزينها؛ فبادر صحتك واغتنمها، واحفظ مجاهدتك بالطاعة والتزمها، وتعرف فضائل شهرك واعلمها؛ إنما هي أيام صادرة تغتنمها، وأوقات فضائل (غر)[1] تحترم، والنفوس قد تغفل فتخترم.

كم في المقابر من متمنٍّ لقاء هذا العشر فما لقيه، صده عنه سهم الموت بغتة فما وقيه، كم من مؤمل مشاهدته وقد طال أمله، كم من محدث نفسه بالتوبة فيه سبقه أجله؛ فتيقظ أيها الراقد من سِنة نومك، قبل أن تلحق بسالف قومك، واجتهد في صلاتك، وتأدب في صومك، فإنما أنت ابن ليلتك ويومك، يا من قد أسره أجله، فما يستطيع خلاصًا ولا فكاكًا، يا من نصب له الشيطان في ميدان شهواته أشراكًا، تفكر في

(١) في (ك): «عشر».

ارتحالك عن الدنيا وابك على حالك، فإن لم تبك فتباكى.

كم أنعم عليك مولاك نعمًا بعد نعم؟، وكم منّ عليك بألطاف الرفق والكرم؟، وكم مرضت فشفاك من ذلك الألم؟؛ فاستدرك عمرك فقد بقي القليل، وتيقظ للممات وتزود للرحيل، وتب من ذنبك فإن ربك عطاؤه جزيل، وبادر أيامك قبل فواتها، وخالف نفسك عن ركوب شهواتها وتزود لها أيام حياتها.

ويُروى عن ذي النون المصري أنه رأى في المنام حورية تقول:

أتخطبُ مثلي وعني تنام
ونوم المحبِ عليه حرام
فقم في دجى الليلِ وسطَ الظلام
بقلب حزينٍ ودمعٍ سِجامِ[1]
فمثلي يُزف إلى عابدٍ
كثير الصيامِ طويلِ القِيام

فنسأل الله الثبات على الإسلام، وأن يجعلنا وإياكم والمسلمين من أهل دار السلام، وأن يعيذنا من النار وأهوالها، وأنكالها وعقابها؛ بمنّه وكرمه اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل محمد وألهمنا اللهم رشدنا، وصحح إليك قصدنا، ووال عطاءنا ورفدنا، ولا تمنعنا خير ما عندك، بشر ما عندنا، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) سيلان الدمع قليلا كان أو كثيرا. انظر «لسان العرب» (١٢/ ٢٨٠).

المجلس السادس عشر

في السبع الأواخر وفضائل ليلة القدر ذات الشرف والمفاخر

الحمد لله عالم السر والجهر، وقاصم الجبابرة بالعز والقهر، محصي قطرات الماء وهو يجري في النهر، فضَّل بعض المخلوقات على بعضٍ حتى أوقات الدهر، ليلة القدر خير من ألف شهر، فهو المعبود بإيجاد خلقه، المتوحد بإدرار رزقه، القديم فالسَبقُ لسبقه، الكريم فما قام مخلوق بحقه، عالم سر العبد وسامع نطقه، جرى قدره للعبد بعمره وفعله وخلقه، ويجازيه على عيبه وذمه وكذبه وصدقه، المالك القهار فالكل في أَسْر رقه، الحليم الستَّار فالخلق في ظل رفقه، أرسل السحاب تخاف صواعقه ويُطمع في وَدَقه؛ تزعج القلوب رواعده، ويكاد سنا برقه، وجعل الشمس سراجًا والقمر نورًا بين غربه وشرقه. أحمده على الهدى وتسهيل طرقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، في رتقه وفتقه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله والضلال عام، فمحاه بمُحقه صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر السابق بصدقه، وعلى عمر كاسر كسرى بتدبيره وحذقه، وعلى عثمان جامع القرآن بعد تبديده في رقه وعلى علي واعذرونا في عشقه، وعلى جميع الصحابة والقرابة والتابعين لهم بإحسان من خلقه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فصل

عباد الله قد أقبلت إليكم ليلة القدر، ولها أعظم الشرف وأوفى الأجر؛ ليلة شرفها الله ﷻ على غيرها، ومنّ على عباده بجزيل خيرها ليلة أنزل الله فيها القرآن، وأجزل فيها الإفضَال والإحسان، ووالى اللطف على خلقه فيها والامتنان، وشرف قدرها على سائر الزمان، ليلة هي أخير الليالي في الصبر، ويعاد فيها على المنكسرين بالجبر؛ ليلة لا تشبه ليالي الدهر، ليلة القدر خير من ألف شهر، ليلة يطيب بالخدمة صافيها، ويسهل من (صفات)[1] الأمور تلافيها، تتنزل الملائكة والروح فيها، فخذ أيها الإنسان بنصيبك من خيرها الحسن، واهجر لذة النوم وطيب الوسن وجاف عن مضجعك عينيك عساها تغسل درنك وتمحو ذنبك، عساها.

وقد شهد بفضلها الكتاب والسنة وأقوال علماء هذه الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَـٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ١-٣] وفيها قولان:

أحدهما: أنها ليلة القدر، وهو قول الأكثرين؛ وصفها بالبركة لما يُنْزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات ثم قيل: أُنزل القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبي ﷺ في الليالي والأيام على حسب اتفاق الأسباب في

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب «صعاب».

ثلاث وعشرين سنة نجومًا متفرقةً. رُوي معناه عن عكرمة عن ابن عباس وبه قال مقاتل.

وقيل: كان ينزل في كل ليلة قدرٍ ما ينزل في سائر السنة، وقيل: كان ابتداء الإنزال في هذه الليلة، وقد تقدم بيان ذلك في قوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

والثاني: أنها ليلة النصف من شعبان. قاله عكرمة وقد تقدم ذكر ذلك في فضل ليلة النصف من شعبان في موضعه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ السورة بتمامها، والهاء في أنزلناه كناية عن القرآن والمنزل هو الله تعالى تعظيمًا لأمره كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وفي القرآن من هذا كثير.

وفي تسميتها بليلة القدر خمسة أقوال:

أحدها: ليلة العظمة يقال: لفلان قدرٌ(١) قاله الزهري ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

الثاني: أنه من الضيق؛ أي هي ليلة تضيق فيها الأرض أن تسع الملائكة الذين ينزلون فيها. قاله الخليل بن أحمد ويشهد له قوله ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي ضاق ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) كذا الكلام في النسختين وهو مختصر جدا، والذي في كتب التفسير مثل «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٢٩) قال الزهري: هي ليلة العظمة والشرف، من قول الناس لفلان عند الأمير قدر؛ أي جاه ومنزلة.

الثالث: أن القدر؛ الحكم كأنّ الأشياء تقدر فيها. قاله ابن قتيبة.

الرابع: سميت ليلة القدر؛ لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر. قاله أبو بكر الورّاق.

الخامس: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وتنزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر. قاله ابن الجوزي، قاله شيخنا: علي بن عبيد الله وغيره[1].

---

(١) لقد علق الأستاذ سيد قطب وهو يفسر سورة القدر بكلمات جميلة، وعبارات رشيقة؛ اقتبس بعضها في هذا المكان لما فيها من إشراقات نورانية ومعان إيمانية قال: الحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال. ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعا.

واسمها: «لَيْلَةِ الْقَدْرِ» . . قد يكون معناه التقدير والتدبير. وقد يكون معناه القيمة والمقام. وكلاهما يتفق مع ذلك الحدث الكوني العظيم. حدث القرآن والوحي والرسالة. . وليس أعظم منه ولا أقوم في أحداث هذا الوجود. وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير في حياة العبيد. وهي خير من ألف شهر وهذه الليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر.

فكم من آلاف الشهور وآلاف السنين قد انقضت دون أن تترك في الحياة بعض ما تركته هذه الليلة المباركة السعيدة من آثار وتحولات.

وهذه الليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الإدراك البشري: «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟» فهي ليلة عظيمة باختيار الله لها لبدء تنزيل هذا القرآن. وإفاضة هذا النور على الوجود كله، وإسباغ السلام الذي فاض من روح الله على الضمير البشري =

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ هذا على سبيل التعظيم لها والتشويق إلى خيرها، ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ في هذه الألف شهر قولان:

أحدهما: أنها من زمان بني إسرائيل ثم في ذلك قولان:

أحدهما: ما رواه عطاء، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ذُكر له رجل من بني إسرائيل لبس السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر؛ فعجب رسول الله ﷺ (لذلك، وتمنّى أن يكون ذلك في أمته فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من الألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله تعالى)[1]، وقيل: إن ذلك الرجل يقال له شمعون عليه السلام.

الثاني: أن الرجل كان فيما مضى لا يستحق أن يقال: له عابد حتى

= والحياة الإنسانية، وبما تضمنه هذا القرآن من عقيدة، وتصور، وشريعة وآداب تشيع السلام في الأرض والضمير.

وحين ننظر اليوم من وراء الأجيال المتطاولة إلى تلك الليلة المجيدة السعيدة، ونتصور ذلك المهرجان العجيب الذي شهدته الأرض في هذه الليلة، ونتدبر حقيقة الأمر الذي تم فيها، ونتملى آثاره المتطاولة في مراحل الزمان، وفي واقع الأرض، وفي تصورات القلوب والعقول.. فإننا نرى أمرا عظيما حقًّا. وندرك طرفا من مغزى هذه الإشارة القرآنية إلى تلك الليلة: «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟».

لقد فرق فيها من كل أمر حكيم. وقد وضعت فيها من قيم وأسس وموازين. وقد قررت فيها من أقدار أكبر من أقدار الأفراد. أقدار أمم ودول وشعوب. بل أكثر وأعظم. أقدار حقائق وأوضاع وقلوب.

(١) مثبت من (ق).

يعبد الله تعالى ألف شهر؛ فجعل الله تعالى ليلة القدر خيرًا من ألف شهر التي كانت يعبدون الله تعالى فيها.

والقول الثاني: أن الألف شهر من هذا الزمان. قال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر، وهذا قول قتادة واختاره الفراء وابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ قال أبو هريرة: الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى، وفي الروح ثلاثة أقوال؛ **أحدها**: أنه جبريل ﷺ قاله الأكثرون، وفي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون، ويسلمون على كل قائم أو قاعد يذكر الله ﷻ**»[1].

الثاني: أن الروح؛ طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر. قاله كعب ومقاتل ابن حيان.

الثالث: أنه ملك عظيم من الملائكة يفي بخلق من الملائكة. قاله الواقدي. وذكر سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» عن ابن مسعود: الروح ملك عظيم؛ أعظم من السموات والأرض، والجبال والملائكة، وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة، يخلق الله

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشُعب» (٣٧١٧) عن أنس، وفي سنده أصرم بن حوشب. قال البيهقي في «فضائل الأوقات» (١٥٥): تفرد به أصرم بن حوشب الهمذاني بهذا الإسناد. أ هـ وأصرم متروك الحديث كما قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١٦٧١).

من كل تسبيحة ملكًا، يجيء يوم القيامة صفًا (وحده)[١]، والملائكة بأسرهم يجيئون صفًا. وعن علي رضي الله عنه قال الروح: ملك عظيم، له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون لسانًا لكل لسان سبعون ألف ألف لغة؛ يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة.

قال ابن عباس: هو الذي ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة، ومعه لواء طوله ألف عام فيغرزه على ظهر الكعبة، ولو أذن الله له أن يلتقم السموات والأرض لفعل.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ أي في ليلة القدر قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي بأمر ربهم والمعنى أمر به وقضاه ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال ابن قتيبة: بكل أمر. قال المفسرون: بكل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة إلى قابل.

قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي ليلة القدر سلام وفي معنى السلام قولان؛ **أحدهما:** أنه لا يحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان قاله مجاهد. **الثاني:** أن معنى السلام؛ الخير والبركة. قاله قتادة.

واعلم أن ليلة القدر باقية إلى يوم القيامة. (قاله)[٢] (أبو ذر)[٣] سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «**بل هي في رمضان**»، قلت: تكون مع الأنبياء ما

---

(١) في (ك): «واحدًا».

(٢) كذا في (ق): و(ك)، ولعل الصواب «قال».

(٣) في (ك): «أبو الدرداء» وهو خطأ.

كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «**بل هي إلى يوم القيامة**» قلت: في أي رمضان هي؟ قال: «**التمسوها في العشر الأواخر**»[(١)] .

قال ابن عباس: إن الله سبحانه يقضي الأقضية ليلة النصف من شعبان، ويسلمها إلى أربابها ليلة القدر.

واختلفوا في أخص الليالي بها؛ فذهب الأكثرون أنها في الأفراد، وأن أخص الليالي بها ليلة سبع وعشرين، وهو اختيار أحمد بن حنبل على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ويدل عليه ما روي عن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان متحريًا؛ فليتحرها ليلة سبع وعشرين**»[(٢)]، وغير ذلك من الأدلة.

وذهبت طائفة إلى أنها ليلة إحدى وعشرين، وهو اختيار الشافعي،وذهبت طائفة إلى أنها ليلة ثلاث وعشرين، روي عن عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ[(٣)] وذهبت طائفة إلى أنها ليلة خمس وعشرين، رُوي ذلك أبو بكرة عن النبي ﷺ. وذهبت طائفة خامسة: إلى أن الأولى طلبها أول ليلة من رمضان، وهو مروي عن أبي رزين

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (٣٤٢٧)، وابن خزيمة (١٥٩٦)، والحاكم (٢١٧٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٢١٣). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٤٨٠٨). قال الهيثمي (٥٠٤٥): رجاله رجال الصحيح. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أحمد (١٦٠٨٩)، ومسلم (١١٦٨).

العقيلي، وروي أنها ليلة سبعة عشر وأن ماء البحر يعذب فيها كما رواه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناد جيد كما تقدم، وذهبت طائفة سادسة إلى أنها ليلة ثماني عشرة قاله الحسن ومالك ولكل طائفة حجة ودليل ليس هذا موضع شرحها وستأتي الإشارة إلى ذلك بعد إن شاء الله تعالى.

وقال مجاهد: ليلة القدر ليلة أربع وعشرين من رمضان، وروى سعيد ابن جبير قال: قمنا مع ابن عباس ذات ليلة في المسجد الحرام فخفق رأسه خفقة فقال: أي ليلة هذه؟ قلنا: ليلة أربع وعشرين، قال: الليلة ليلة القدر، رأيت الملائكة نزلوا، قال الحسن: إنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر، وعن الحسن ومالك أنهما قالا: هي (ليلة)[1] ثماني عشرة كما تقدم.

وقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي ليلة القدر؛ سلامة خير كلها ليس فيها شر. وقال مجاهد: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل شرًّا ولا فيها أذى، وكان بعض العلماء يقول: الوقف على سلام على معنى تنزل الملائكة بالسلام، وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر. وقال عطاء: يسلمون على كل مؤمن ومؤمنة من ربه.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو (وابن عامر)[2] وحمزة «مطلَع» بفتح اللام وقرأ الكسائي بكسرها، قال

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «وابن عباس».

الفراء: والفتح أقوى في قياس العربية؛ لأن المطلع بالفتح الطلوع وبالكسر الموضع الذي تطلع منه.

وقال المعافى في «تفسيره»: روى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ سورة القدر؛ أعطي من الأجر كمن صام رمضان، وأحيا ليلة القدر**» قال شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محي الدين النووي -قدس الله سره- واللفظ للشيخ محيي الدين: ومن الموضوع الحديث المروي عن أبي بن كعب في فضل القرآن سورة سورة، وقد أخطأ من ذكره من المفسرين، هذا لفظه في «التقريب والتيسير في علم الحديث» له في النوع الحادي والعشرين الموضوع فذكره، وكلام شيخ الإسلام بمعناه.

قال شيخ السنة البغوي: وفي الجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة؛ ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعًا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات. قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنًا أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر، وسيأتي الكلام على فوائدها وفضائلها إن شاء الله تعالى.

وأما السنة وأقوال علماء هذه الأمة -رضي الله عنهم أجمعين- فقد ثبت في «الصحيحين»[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالًا من أصحاب النبي

---

(١) البخاري (١٩١١)، ومسلم (١١٦٥).

ﷺ أُروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ: «**أري رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر؛ فمن كان متحريها؛ فليتحرها في السبع الأواخر**» وفي «صحيح مسلم»[(١)] عنه عن النبي ﷺ قال: «**التمسوها في العشر الأواخر؛ فإن ضعف أحدكم أو عجز؛ فلا يُغلبن عن السبع البواقي**».

وقد تقدم أن النبي ﷺ كان يجتهد في شهر رمضان على طلب ليلة القدر، وأنه اعتكف في العشر الأول منه، ثم اعتكف في العشر «الأوسط» بعد ذلك في طلبها، وأن ذلك تكرر منه غير مرة، ثم استقر أمره على اعتكاف العشر الأواخر في طلبها وأمر بطلبها فيه.

وفي «الصحيحين»[(٢)] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**»، وفي رواية: «**في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وكان النبي ﷺ يأمر بالتماسها في أوتار العشر (من رمضان في الأواخر)[(٣)]، وفي «صحيح البخاري»[(٤)] عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى**».

---

(١) مسلم (١١٦٥).

(٢) البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١١٦٩).

(٣) كذا السياق في (ق، ك) والصواب أن يكون السياق كما يلي: «في أوتار العشر الأواخر من رمضان».

(٤) البخاري (١٩١٧).

وخرج الإمام أحمد والترمذي[(١)] من حديث أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «**التمسوها في تسع يبقين أو سبع يبقين (أو خمس يبقين)[(٢)] أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة**».

وفي «المسند»، وكتاب النسائي[(٣)] عن أبي ذر قال: كنت أسأل الناس عنها -يعني ليلة القدر- فقلت: يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «**بل هي في رمضان**»، قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت، أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «**بل هي إلى يوم القيامة**»، قلت: في أي رمضان هي؟ قال: «**التمسوها في العشر الأول والعشر الآخر**» قلت: في أي العشرين هي؟ قال: «**في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها**»، ثم حدث رسول الله ﷺ ثم اهتبلت غفلته، فقلت: يا رسول الله أقسمت عليك بحقي إلا ما أخبرتني في أي ليلة العشر هي؟ فغضب علي غضبًا لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال: «**التمسوها في السبع الأواخر، ولا تسألني عن شيء بعدها**»، وهذا مما يستدل به من رجح ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين على ليلة إحدى وعشرين؛ فإن ليلة إحدى وعشرين ليست من السبع الأواخر بلا تردد.

وقد قيل: إنها ليلة أربع وعشرين، وقد تقدم حديث إنزال القرآن في

---

(١) أحمد (٢٠٤٢٠)، والترمذي (٧٩٤) وقال: حسن صحيح.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

ليلة أربع وعشرين، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ «**إذا كان ليلة أربع وعشرين؛ لم يذق غمضًا**»[(١)]، وقد قيل: أنها ليلة سبع وعشرين، قال القاضي شمس الدين بن مفلح في «الفروع» له: وأرجاها ليلة سبع وعشرين؛ نص عليه لا ليلة إحدى وعشرين.

واختار صاحب المحرر كل العشر، وممن قال بهذا أبي بن كعب ﷺ، وكان يحلف عليه ولا يستثنى، وزرًّا بن حبيش، وإليه ذهب ابن عباس.

وروي عن (قنان)[(٢)] بن عبد الله النهمي وهو بالقاف، ذكره ابن ماكولا، والذهبي في التهذيب قال: سألت زرًّا بن حبيش، وعبدة بن أبي لبابة فقال: كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين، ولمسلم قال: أُري رجل أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، فقال النبي ﷺ: «**رؤياكم في العشر الأواخر؛ فاطلبوها في الوتر منها**»[(٣)].

وفي «سنن أبي داود» عن زر بن حبيش قال: قلت لأُبي بن كعب: أخبرني عن ليلة القدر يا أبا المنذر، فإن صاحبنا يسئل عنها، فقال: من يقم الحول يصبها فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن -يعني ابن مسعود-، والله لقد علم أنها في رمضان زاد (مسدد، ولكن كره أن تتكلوا، أو

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/٣٠٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (١٤٠٧) وفي سنده عنبسة ابن جبير قال العقيلي: لا يتابع على حديثه.

(٢) في (ك): «قتادة».

(٣) من حديث ابن عمر رواه مسلم (١١٦٥).

أحب أن لا تتكلوا ثم اتفقا -يعني)[١] مسددًا وسليمان بن حرب- والله إنها لفي رمضان ليلة سبع وعشرين لا يستثنى قلت: أبا المنذر أنى قد علمت ذلك، قال: بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ قلت له: وما الآية؟ قال: تصبح الشمس صبيحة تلك الليلة مثل الطست؛ ليس لها شعاع حتى ترتفع، وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي[٢].

قال الحافظ عبد العظيم المنذري في «حواشيه» فقال: طست وطست بالفتح والكسر، قيل: يحتمل أن هذه الصفة اختصت بعلامة صبيحة الليلة التي أنبأهم النبي ﷺ أنها ليلة القدر؛ وجعلها لهم دليلًا عليها في ذلك؛ لا أن تلك الصفة مختصة بصبيحة كل ليلة القدر، ويحتمل أنها صفة خاصة لها، وقيل في ذلك: أنه لكثرة اختلاف الملائكة في ليلتها، ونزولها إلى الأرض وصعودها بما تنزلت به من عند الله وبكل أمر حكيم، وبالثواب والأجور؛ سترت أجسامها اللطيفة وأجنحتها عنها وحجبت نورها.

وعن معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ أنه قال في ليلة القدر: «ليلة سبع وعشرين» رواه أبو داود[٣]، وعن أبي ذر قال: صمنا مع رسول الله ﷺ فلم يصلِّ بنا حتى بقي سبع من الشهر؛ فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، ثم

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مسلم (٧٦٢)، وأبو داود (١٣٧٨)، والنسائي في «الكبرى» (٣٤٠٦)، الترمذي (٣٣٥١) وقال: حسن صحيح

(٣) أبو داود (١٣٨٦) قال الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود»: صحيح.

لم يقم بنا حتى قام في الخامسة حتى ذهب شطر الليل، ثم لم يقم حتى بقي ثلاث من الشهر؛ فصلى بنا في الثالثة، ودعا أهله ونساءه؛ فقام بنا حتى تخوفنا الفلاح، قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي. نقلته من جامع الأصول(١) . وقيل: هي ليلة تسع عشرة، وقيل: ليلة سبع عشرة، وقيل: ليلة آخر ليلة، وقيل: في جميع شهر رمضان، وقيل: تتحول في ليالي العشر كلها.

قال الإمام مالك(٢) (في قوله ﷺ: «(التمسوها في تاسعة تبقى)(٣) هي ليلة إحدى وعشرين وسابعة تبقى ليلة ثلاث وعشرين وخامسة تبقى ليلة خمس وعشرين»، وقال بعضهم: إنما يصح معناه ويوافق ليلة القدر وترًا من الليالي إذا كان الشهر ناقصًا؛ فأما إذا كان كاملًا فإنها لا تكون إلا في شفع؛ فتكون التاسعة الباقية ليلة اثنين وعشرين، والخامسة الباقية ليلة ست وعشرين، والسابعة الباقية ليلة أربع وعشرين على ما ذكره البخاري عن ابن عباس، ولا تصادف واحدة منهن وترًا. وهذا على طريقة العرب في التاريخ، وإذا جاوزوا نصف الشهر فإنما يؤرخون بالباقي منه لا بالماضي هكذا ذكره بعضهم انتهى.

وروى ابن عبد البر(٤) بإسناد صحيح من طريق سعيد بن جبير قال:

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) كما في «الاستذكار» (٣/ ٤١٢).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) التمهيد (٢/ ٢١٠).

كان ناسًا من المهاجرين وجدوا على عمر في إدنائه ابن عباس فجمعهم ثم سألهم عن ليلة القدر، فأكثروا فيها فقال بعضهم: (ليلة إحدى وعشرين، وقال بعضهم: ليلة ثلاث وعشرين، وقال بعضهم)[١]: ليلة سبع وعشرين، فقال (عمر)[٢]: يا ابن عباس تكلم فقال: الله أعلم، فقال عمر: قد نعلم أن الله يعلم، وإنما نسألك عن علمك فقال ابن عباس: إن الله وترًا يحب الوتر؛ خلق من خلقه سبع سموات، وخلق الأرض سبعًا، وجعل عدد الأيام سبعًا، ورمي الجمار سبعًا، وخلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع، قال: ما فهمته فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] الآيات.

وقرأ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٥-٣٢] ثم قال: والأب للدواب؛ فبين عمر لهم بذلك فضل ابن عباس كما سألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فاختلفوا وسأله فقال: هو أجل رسول الله ﷺ فقال له: ما أعلم منها إلا ما تعلم فبين بذلك فضله.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

وقد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن أنها ليلة سبع وعشرين من موضعين:

أحدهما: أن الله تعالى كرر ذكر ليلة القدر في السورة في ثلاثة مواضع منها، وليلة القدر حروفها تسع، وإذا ضربت في ثلاثة فهي سبع وعشرون.

والثاني: أنه قال ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ فكلمة هي الكلمة السابعة والعشرون من السورة فإن كلماتها كلها ثلاثون كلمة، قال ابن عطية: هذا من ملح التفسير، وذكر ذلك ابن الجوزي والمعافى ابن أبي السنان في تفسير هذه السورة. قال المعافى: وجعل الله المثاني سبعًا يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] (والحواميم سبعًا)[١]، ويقرأ القرآن على سبعة أحرف، والسجود على سبعة أعضاء، وأبواب جهنم سبعة، وأدراكها سبعة، وأصحاب الكهف سبعة، وأهلك عادًا بالريح في سبع ليال، ومكث يوسف في السجن سبع سنين، وذلك بعد أن قال للساقي: اذكرني عند ربك، وقبلها خمسًا والبقرات سبع، والسنين المجدبة سبع، (والمخصبة سبع، والطهارة من نجاسة الكلب سبع)[٢]، ومكث أيوب في بلائه سبع سنين، وتزوج رسول الله ﷺ عائشة وهي بنت سبع سنين، وقال ﷺ: «**شهداء أمتي سبع؛ المطعون والمبطون والغريق، وصاحب الهدم وصاحب ذات**

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

الجنب والمرأة تموت بجمع -يعني نفساء- والحريق» رواه النسائي[1]، وأقسم الله تعالى بـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] إلى قوله ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧] وذلك سبع، وكان طول موسى عليه السلام سبعة أذرع بذراع ذلك القرن، وعصاه سبعة أذرع (وطفرته)[2] سبعة أذرع، فلا أرى ليلة القدر إلا الليلة السابعة والعشرين. انتهى.

قال ابن عطية: ومما استدل به من رجح ليلة سبع وعشرين بالآيات والعلامات التي رويت فيها قديمًا وحديثًا، وبما وقع فيها قديمًا وحديثًا من إجابة الدعاء، وقد استدل أبي بن كعب على ذلك بطلوع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها، وخرَّج عبد الرزاق عن عبدة أنه ذاق ماء البحر ليلة سبع وعشرين فإذا هو عذب ذكره الإمام أحمد، وروى الإمام أحمد[3] عن ابن عباس أن رجلًا أتى النبي ﷺ قال: يا نبي الله إني شيخ كبير يشق عليَّ القيام فمرني بليلة لعل الله أن يوفقني فيها لليلة القدر؟ فقال: «عليك بالسابعة والعشرين» وخرّج البيهقي[4] عن الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة قال: ذقت ماء البحر في ليلة السابع والعشرين من رمضان فوجدته عذبًا.

---

(١) أبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦).

(٢) الطفرة هي الوثبة. «مفاتيح العلوم» (١/ ٤٤).

(٣) أحمد (٢١٤٩)، وقال الهيثمي (٥٠٤٧): رجاله رجال الصحيح. قال شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. وكذا قال ابن رجب في «اللطائف» (١/ ٢١٨)، وصحح ابن عبد البر سنده في التمهيد (٢١/ ٢١٣).

(٤) البيهقي في «الشُعب» من طريق أحمد بن حنبل (٣٦٩٠)، وأحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢٧٧٧).

وذكر أبو موسى بأسانيد له أن رجلًا مقعدًا دعا الله تعالى ليلة سبع وعشرين -يعني من رمضان-، فأطلقه الله تعالى وأقامه وعافاه. وعن امرأة مقعدة أنها أطلقت وشفيت كذلك، وعن رجل كان أخرس ثلاثين سنة، دعا الله تعالى ليلة سبع وعشرين؛ فأطلق لسانه فتكلم، وذكر المعافى في «تفسيره» قولًا خامسًا أن أخص الليالي بها في الأوتار ليلة التاسع والعشرين.

وقال: روي عنه ﷺ أنه قال: «**ليلة القدر ليلة السابع والعشرين أو التاسع والعشرين، وأن الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصى**»(١)، وقال أبو رزين العقيلي: الأولى طلبها في أول ليلة من شهر رمضان، وروى أبو بكر ابن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. انتهى.

قال شيخنا في «اللطائف»: واعلم أن العلامات -يعني التي ذكرت لليلة القدر- لا توجب القطع بليلة القدر، هذا مختصر ما ورد من الأخبار والأقوال فيها.

وأما العمل في ليلة القدر فقد قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه في «صحيح البخاري» وغيره(٢): «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه**».

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه الطيالسي (٢٥٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٢٢) والذي فيه: عدد النجوم.

(٢) البخاري (١٨٠٢)، والنسائي (٢١٩٣).

وفي الترمذي وغيره[١] أن النبي ﷺ أمر عائشة أن تقول فيها: «**اللهم إنك عفو تحب العفو؛ فاعف عنا**». قال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحب إليَّ من الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله تعالى في الدعاء والمسألة؛ لعله يوافق ساعة ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعا كان حسنًا.

وقد كان النبي ﷺ يجتهد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ[٢]؛ فيجمع بين الصلاة والقراءة، والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها، والله أعلم.

وقد قال الشعبي في ليلة القدر: ليلها كنهارها -يعني يجتهد في ليلها وفي نهارها- وقال الشافعي في القديم: استحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها، وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره والله أعلم.

يا ليلة القدر للعابدين اشهدي، يا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي، يا ألسنة السائلين في المسألة جدي واجهدي. شعر:

يا رجال الله جِدوا
رُبَّ داعٍ لا يُرَدُّ

---

(١) الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في «الكبري» (٧٧١٢)، وابن ماجة (٣٨٥٠). قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٨٨)، ومسلم (٧٧٢).

مـــا يـــقـــومُ الـــلـــيـــل إلا
مـــن لـــــه عـــــزمٌ وجِـــــدُ

ليلة القدر عيد المحبين؛ هي ليلة الحظوة بأنس مولاهم، اسمع يا من ضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر؛ فإنها تحسب بالعمر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. قال مالك: بلغني أن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك؛ فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر؛ فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر.

وفي «المسند»[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن في هذا الشهر ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم**» قال جويبر: قلت للضحاك: أرأيت النفساء والحائض، والمسافر والنائم، لهم في ليلة القدر نصيب؟ قال: نعم، كل من تقبل الله عمله فسيعطيه نصيبه من ليلة القدر.

إخواني؛ المعول على القبول لا على الاجتهاد بعمل الأبدان، رب قائم حظه من قيامه السهر، كم من قائم محروم، ونائم مرحوم، هذا نائم وقلبه ذاكر، وهذا قائم قلبه فاجر، إن المقادير إذا ساعدت؛ ألحقت النائم بالقائم لكن العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات، والاجتهاد في الأعمال الصالحات، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة

---

(١) رواه أحمد (٨٩٧٩). قال شعيب الأرنئوط: صحيح، وهذا سند رجاله ثقات.

فيسرون لعمل أهل السعادة، وأهل أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠] المبادرة المبادرة إلى اغتنام العمل في هذه الليلة الشريفة، وما بقي من الشهر، وفي بقية العمر؛ فإن ذلك غنيمة فعسى تستدرك به ما فات وضاع من العمر، وأنشدوا في المعنى:

تولَّى العُمُر في سهوٍ
وفي لَهْوٍ وفي خسرِ
فيا ضيعةَ ما أنفقْـ
ـتُ في الأيام من عُمْري
وما لِي في الَّذِي ضَيَّعْـ
ـتُ من عمري من عذرِ
فما أغفلنا عن وا
جبات الحمدِ والشكرِ
أمَا قد خَصَّنا اللـ
ـهُ بشهرٍ أيِّما شهرِ
بشهرٍ أنْزَلَ الرحمـ
ـنُ فيهِ أشرفَ الذكرِ
وهل يُشبِهُه شهرٌ
وفيه ليلةُ القدرِ
فكمْ مِنْ خَبرٍ صَحَّ
بما فيها من الخيرِ

رَوَيْنَا عن ثقاتٍ
أنها تُطْلَب في الوِترِ
فطُوبى لامرئ يطلبها
في هِذِه العشرِ
فَفِيْهَا تنزلُ الأملا
كُ بالأنوار والبر
وقد قَالَ مولانا سلامٌ هِـ
يَ حتى مَطْلعِ الفجرِ
ألاَ فادَّخِروها إنَّـ
ـها من أنْفَسِ الذُّخْرِ
فكمْ مِنْ معتَقٍ فيها
من النارِ ولا يَدْرِي

المحبون نطوى عليهم الليالي فيعدونها (عدًّا)[1]؛ لانتظار ليالي العشر في كل عام؛ فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم، وخدموا محبوبهم. شعر:

قد مزق الحبُ قميصَ الصبر
وقد غدوتُ حائرًا في أمري
آهًا على تلك ليالي العشر
ما كنَّ إلا كليالي القدرِ
إن عُدن لي من بعد هذا الهجر
وفَّيتُ لله بكل نذرِ

---

(١) مثبت من (ق).

وقام بالحمد خطيب شكري
حمدًا لمن جاد بكل نذر.

رياح هذه الأسحار تحمل أنين المذنبين، وأنفاس المحبين، وقصص التائبين، ثم تعود برد الجواب بلا كتاب وقع لهم الوصل ورفع الحجاب ورسم لهم أن يكونوا من جملة الخدم والأحباب. شعر:

أعلمتم أن النسيمَ إذا سرى
حمل الحديث إلى الحبيب كما جرى
جهل العذول بأنني في حبهم
سهرُ الدجى عندي ألذ من الكرى

[قال][١]: فإذا ورد بريد برد السحر يحمل ملطفات الألطاف؛ لم يفهمها غير من كتب إليه، وخلعت خِلع الرضوان عليه. شعر:

نسيم صبا نجد متى جئت حاملًا
تحيتهم فاطو[٢] الحديث عن الركب
ولا تذع السر المصون فإنني
أغار على ذكر الأحبة من صحبي
لقد سرني إذ جئت بالبشر عنهم
وقرت به عيني وسُرّ به قلبي

[ثم قال][٣]: يا يعقوب الهجر؛ قد هبت ريح يوسف الوصل فلو

---

(١) مثبت من (ق) والقائل هو شيخه ابن رجب .
(٢) في النسختين (فاطوي) والصواب المثبت.
(٣) مثبت من (ق).

استنشقت لعدت بعد العمى بصيرًا، ولو وجدت لما كنت (لفقده)(١) فقيرًا. شعر:

كـان لـي قـلـب أعـيـش بـه
ضـاع قـلـبـي فـي تـقـلـبـه
رب فـارده عـلـيَّ فـقـد
عـيـل صـبـري فـي تـطـلـبـه
(وأغـثـنـي مـا دام بـي رمـق
يـا غـيـاث الـمـسـتـغـيـث بـه)(٢)

قال: لو قام المذنبون في هذه الليلة في هذه الأسحار على أقدام الانكسار، ورفعوا قصص الاعتذار، مضمونها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]؛ أبرز لهم توقيعًا عليها: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] شعر:

أشـكـو إلـى الله كـمـا قـد شـكـى
أولاد يـعـقـوب إلـى يـوسـف
قـد مـسـنـي الـضـر فـأنـت الـذي
تـعـلـم حـالـي وتـرى مـوقـفـي
بـضـاعـتـي الـمـزجـاة مـحـتـاجـة
إلـى سـمـاح مـن كـريـم وفـي

---

(١) في (ق): «لنقده».

(٢) مثبت من (ق) وقائل هذه الأبيات هو سمنون بن حمزة العابد وانظر ترجمته في «صفوة الصفوة» (١/ ٥٢٤).

فـقـد أتـى الـمـسـكـيـن مـسـتـمـطـرًا
جـودك فـارحـم ذلـه واعـطـف
فـأوفـي كـيـلـي وتـصـدق عـلـيّ
هـذا الـمـقـل الـبـائـس الأضـعـف

[قال][(١)]: وقد جاء في حديث عن ابن عباس مرفوعًا: «**إن الله تبارك وتعالى ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد ﷺ؛ فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة مدمن خمر، وعاق والديه، ومشاحن، وقاطع رحم**»[(٢)].

[قال][(٣)]: ولما عرف العارفون جلاله خضعوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا، ما ثم إلا عفو الله تعالى أو النار.

(قال: لولا طمع المذنبين في العفو؛ لاحترقت قلوبهم باليأس من الرحمة، ولكن إذا ذكرت عفو الله)[(٤)] استروحت إلى برد عفوه. قال: ولهذا أرشد النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها إذا صادفت ليلة القدر أن تقول: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفوا عني**».

وروى الترمذي والنسائي وابن ماجة[(٥)] عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي اللهم إنك**

(١) سقط من (ك).
(٢) تقدم تخريجه قريبا.
(٣) سقط من (ك).
(٤) مثبت من (ق).
(٥) تقدم تخريجه صـ ٤٩٦ .

عفو تحب العفو فاعف عني» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملًا ولا حالًا ولا (مقامًا)[1] فيرجعون إلى سؤال العفو، وفي المعنى شعر:

يا رب عبدك قد أتاك
وقد أساء وقد هفا
يكفيك منه حياؤه
من سوء ما قد أسلفا
حمل الذنوب على
الذنوب الموبقات وأسرفا
وقد استجار بذيل عفوك
من عقابك ملحفا
رب اعف عنه
فلأنت أولى من عفا

عباد الله والله ما يغلو في طلبها عشر لا والله ولا شهر لا والله ولا دهر فاجتهدوا في الطلب؛ فرب مجتهد أصاب.

وفي «الصحيحين» و«سنن أبي داود» والنسائي[2] عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ أنه قال: **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم**

---

(١) في (ق): «مقالًا».

(٢) البخاري (١٨٠٢)، مسلم (٧٦٠)، النسائي (٢٢٠٥)، ابن ماجة (١٦٤١).

من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه».
وأخرجه ابن ماجة مختصرًا في ذكر الصوم.

فصل

ذكر الشيخ عبد القادر في كتاب «الغنية» عن ابن عباس ﵄ أنه قال: إذا كان ليلة القدر يأمر الله ﷻ جبريل ﵇ أن ينزل إلى الأرض، ومعه سكان سدرة المنتهى سبعون ألف ملك، ومعهم ألوية من نور؛ فإذا اهبطوا إلى الأرض ركز جبريل لواءه، والملائكة ألويتهم في أربعة مواطن عند الكعبة، وقبر النبي ﷺ ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء، ثم يقول جبريل ﵇: تفرقوا فيتفرقون، ولا يبقى دار ولا حجرة، ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة إلا ودخلت الملائكة فيها إلا بيتًا فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة تماثيل؛ فيسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد ﷺ حتى إذا كان وقت الفجر.

ثم يصعدون إلى السماء فيستقبلهم أهل سكان سماء الدنيا فيقولون لهم: من أين أقبلتم؟ فيقولون: كنا في الدنيا؛ لأن الليلة ليلة القدر لأمة محمد ﷺ، فيقول سكان السماء الدنيا: ما فعل الله بحوائج أمة محمد ﷺ؟ فيقول جبريل: إن الله غفر لصالحيهم، وشفعهم في طالحيهم؛ فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين؛ شكرًا لما أعطى الله هذه الأمة من المغفرة والرضوان، ثم يشيعهم ملائكة سماء الدنيا إلى الثانية، ثم كذلك سماء

إلى سماء إلى السابعة ثم يقول جبريل: يا سكان السموات ارجعوا فترجع ملائكة كل سماء إلى مواضعهم؛ فإذا وصلوا إلى سدرة المنتهى يقولون لهم: أين كنتم؟ فيجيبونهم مثلما أجابوا أهل السموات.

فترفع سكان سدرة المنتهى أصواتهم بالتسبيح والتقديس؛ فتسمع جنة المأوى ثم جنة النعيم، وجنة عدن و«الفردوس»، ويسمع عرش الرحمن فيرفع العرش صوته بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين؛ شكرًا لما أعطى هذه الأمة، (فيقول الله تعالى: يا عرشي لم رفعت صوتك وهو أعلم فيقول)[١]: إلهي الغني؛ إنك غفرت البارحة لصالحي أمة محمد ﷺ وشفعت صالحيها في طالحيها فيقول الله: صدقت يا عرشي، ولأمة محمد عندي من الكرامة ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وذكر أيضًاأنه روى أن النبي ﷺ كان مهمومًا لأجل أمته، فقال الله تعالى: يا محمد لا تغتم؛ فإني لا أخرج أمتك من الدنيا حتى أعطيهم درجات الأنبياء، وذلك أن الأنبياء تنزل عليهم الملائكة بالروح والرسالة والوحي والكرامة، وكذلك أنزل الملائكة على أمتك في ليلة القدر بالسلام والرحمة مني. انتهى.

وذكر صاحب كتاب «الغرائب وإظهار العجائب»[٢] عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يومًا جالسًا؛ فتفكر في ذنوب أمته وخطاياهم

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) ذكره الصفوري في «نزهة «المجالس» ومنتخب النفائس (٢/ ٤٣).

فأشفق لذلك، فبينما هو في ذلك إذا بطائر منظوم بالدر والياقوت من أحسن الطير خلقًا قد وقع بين يديه، فجعل رسول الله ﷺ يعجب من حسنه وصورته، ثم إن الطائر طار حتى أتى البحر، وكشف له عن بصره حتى رآه فأتى جزيرة من الرمل، فجعل يأخذ بمنقاره من الرمل، ويرمي في البحر زمانًا، ثم طار حتى وقف بين يديه، وقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «**وعليك السلام أيها الطائر**» فقال: ألا تسألني من أين جئت؟ ولماذا فعلت ما فعلت؟ قال: «**رأيتك قد وصلت إلى البحر، ورأيتك تأخذ الرمل بمنقارك فتلقيه في البحر**» فقال: نعم، أردت أن أرد جري ماء البحر، وأطمس أمواجه بما أخذته من الرمل بمنقاري، فتبسم رسول الله ﷺ فقال الطائر: ما أضحكك؟ قال: «**عجبت من حسن صورتك وضعف عقلك، وكيف تقدر أن ترد ماء البحر بما تأخذه بمنقارك، وما يبلغ ما تأخذه من البحر؟**» فقال: إن الله تعالى ضربني لك مثلًا حين علم ما خطر ببالك، والذي بعثك بالحق ما ذنوب أمتك في سعة عفوه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره ويجعله في البحر. ونقله في زهر الكمام.

فصل

ذكر جماعة من أهل العلم؛ أن الله تعالى أخفى ليلة القدر لئلا يتكل العبد عليها عند ظهورها فأخفاها؛ ليكون يقظًا في المحافظة على طلبها، ويأخذ حظه في الاجتهاد لها كما أخفي الأرزاق في الكسب ورضاه في الطاعات، وسخطه في المخالفات، وساعة الجمعة والصلاة الوسطى بين الصلوات.

أضاءت ليلة القدر بنور الإيمان فاستبدلت أنوار الفضائل عن ديجور الظلام، وقامت على برزخ الزمان فقاومت سائر الأيام، فزادت بقدرها لا بمقدارها، وقامت في فضائلها مفاخرة الدهر فكانت الحكومة عند فيصل الحق، وطولبت ببينة بيِّنة؛ فنطقت حجة فيها يفرق؛ فشهد لها إنا أنزلناه؛ فكان قضاء الحاكم ليلة القدر خير من ألف شهر.

طوبى للعاملين في هذا الشهر، التائبين فيه، الجامعين بين فرض صيامه وقيام لياليه، فلا يفوتن طالبكم شهر الارتقاب لليلة قدره، فإن لم يطق على سهره؛ فلينبه سر فكره ساعة من ساعات أيامه؛ تعادل أعوام الشهور لا بل الدهور، ليلة القدر قلب الدهر، وناظر رأس رئاسة شهر عيد الفطر، ومصباح أرباح أفراح الساهرين نعيم وفر بر الأجر؛ قيامها محض الصدق وفكاك رق مأسور الخطايا من وهق[1] الفسق، ومدركها ظافر بتوفيق الأماني المقرونة بقرة عين الرائي.

أين المشتاقون المرتقبون لفرحة تحفة اللقاء في سهر شهر ليلة الأسراء وأين المتضرعون عند ما تهجع العيون في حنادس الظلماء؛ فقد تجلت لكم أنوار أقمار القدرة للمشاهدة من غير إعداد واسطة ولا ترداد مغالطة. شعر:

يا ليلةً نامت عيونُ العِدا
عنا وعنها فسرقناها

---

(١) الوهق؛ الحبل يرمى لتربط به الدابة. انظر القاموس المحيط (١/ ١٢٠٠).

عودي ففي أنفسنا للهوى
أوطار شوقٍ ما قضيناها

اسهر ليالي مسراك، وجاف جفنك كراك، واعص من يلحاك، وإن أحببت الوقوف على دار أحبابك، وعراص أترابك (ومألف إلْفك)[١] وصحابك؛ فجرد حسام عزمك لإحراز نعم إيجاب نعم، ولا تنم فتحرم النعم.

لله دَر أقوام لازموا قيام الليل بانشراح الصدر، وتدرعوا جلابيب الوفا (وعروا)[٢] عن القدر، وتحلوا حلى المخافة وتعظيم الأمر؛ فكل لياليهم في خدمته كليلة القدر، أقاموا في مقام أمين مؤتمن، وحرسوا بالطاعات ساعات الزمن؛ فهم في الآخرة في مقعد صدق، وانظر عند من.

إخواني ليلة القدر يفتح فيها الباب، ويُقربُ فيها الأحباب، ويسمع فيها الخطاب، ويردُ الجواب، ويُسدي للعاملين عظيم الأجر ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، يسعدُ فيها المواصل ويتوفر فيها الحاصل، ويقبل فيها (المحامل)[٣]، فيا ربح المعامل النحر﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٤] ليلة تتلقى فيها الوفود، ويحصل (لهم المقصود)[٥]: القبول والفوز والسعود، أترى ما يؤلمك أيها المطرود

---

(١) في (ق): «ومألف ألافك».

(٢) في (ق): «وعزروا».

(٣) في (ك): «الحامل أو العامل».

(٤) مثبت من (ق).

(٥) في (ق): «فهم المنشود».

أحلى جميع طاعاته، وما كان أعم سكينة حافظه، وما كان أتم عمل واعظه، شرُف قائمه بأوفى غنيمة، وعُرف صائمه بأصفى عزيمة؛ كانت لياليه ليالي عتق ومباهاة، وأسحاره أوقات خدم ومناجاة، ونهاره زمان قربة ومصافاة، وساعاته أحيان اجتهاد ومعاناة، تمِّ به لصائمه «الثواب» والأجر، وتبدل فيه بلذة الوصل من الهجر، وأثمرت أغصان الكف عن الهوى بالحجر، واقترنت بركات ليله ببركات الفجر، وقد تقدم أنه إذا كانت ليلة الفطر؛ سميت ليلة الجائزة يعني الهبة والعطية من الله تعالى والمغفرة لعباده المؤمنين.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كانت آخر ليلة من شهر رمضان؛ أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره**»(١) وسبق قوله من حديث أبي هريرة: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه**» مخرج في «الصحيحين» وغيرهما(٢).

قال ابن المنذر في قيام ليلة القدر: إنه يرجى به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها، وقال غيره مثل ذلك في الصوم أيضًا.

قال ابن رجب رحمه الله: والجمهور على أن الكبائر لا بد لها من توبة نصوح، وقد دل حديث أبي هريرة على أن هذه الأسباب الثلاثة كل واحد منها يكفر ما سلف من الذنوب، وهي: صيام رمضان، وقيامه،

---

(١) تقدم تخريجه صـ ٣٨٢

(٢) تقدم تخريجه صـ ٤٠٥

وقيام ليلة القدر بمجرده يكفر الذنوب لمن وقعت له سواءً كانت في أول العشر أو أوسطه أو آخره، وسواء شعر بها أو لم يشعر، ولا يتأخر تكفير الذنوب بها إلى آخر الشهر، وأما صيام رمضان وقيامه؛ فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر، فإذا تمَّ الشهر؛ فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه؛ فيترتب له على ذلك مغفرة ما تقدم من ذنبه، وما تأخر بتمام الشيئين وهما صيام رمضان وقيامه.

قال الزهري: إذا كان يوم الفطر، وخرج الناس إلى (الجبانة)(١) اطلع الله عليهم فقال: عبادي لي صمتم ولي قمتم؛ ارجعوا مغفورًا لكم، وفي حديث أبي جعفر الباقر المرسل: «**من أتى عليه رمضان فصام نهاره وصلى وردًا من ليله، وغض بصره، وحفظ فرجه، وحافظ على صلاته في الجماعة، وبكر إلى الجمعة فقد صام الشهر واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب**».

قال أبو جعفر: جائزة لا تشبه جوائز الأمراء؛ إذا كمَّل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد (قاموا)(٢) بما عليهم من العمل، وبقي ما لهم من الأجر والمغفرة؛ فإذا خرجوا يوم عيد الفطر إلى الصلاة قسمت عليهم أجورهم؛ فرجعوا إلى منازلهم، وقد استوفوا الأجر واستكملوه.

وفي حديث ابن عباس المرفوع: «**إذا كان يوم الفطر؛ هبطت الملائكة إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع من**

---

(١) في (ق): «الجبار».

(٢) في (ق): «وفوا».